



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد درايعية - أدرار

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا

الانحراف وعلاجه في القرآن الكريم والسنة النبوية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث ل م د

تخصص: الكتاب والسنة

من إشراف:

أ. رابح دفرور

من إعداد:

محمد العربي كشتوم

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	المدرسة	الصفة
1	أ.د حدي بلخير	أستاذ	جامعة أدرار	رئيسا
2	أ.د رابح دفرور	أستاذ	جامعة أدرار	مشرفا ومقررا
3	أ.د رضا نعيجة	أستاذ	جامعة أدرار	ممتحنا
4	أ.د عبد العزيز ناصري	أستاذ	جامعة أدرار	ممتحنا
5	أ.د عبد القادر جعفر	أستاذ	جامعة غرداية	ممتحنا
6	أ.د محمد اسطنبولي	أستاذ	جامعة أدرار	مدعوا

السنة الجامعية 2025/2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : 108].

الإهداء

أهدي هذا العمل لوالديّ
ولزوجتي وبناتي وأهلي
ولجميع المسلمين والمسلمات

الشكر

أشكر ربي المنعم

ثم

والديّ وجميع مشايخي

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

إن ظاهرة الانحراف بمختلف أنواعها وألوانها تشكل تهديدا لاستقرار الفرد والمجتمع, وخطرا على أمنه وسلامه, أمنه النفسي وأمنه الاجتماعي, على مختلف الأصعدة, وبدرجات متفاوتة. والإنسان بطبعه كائن ناقص, يحتاج إلى تقويم وتسديد.

وهذا ما شغل بال العلماء والمصلحين, من شتى المدارس والتوجهات. ودفعهم إلى دراسة هذه الظاهرة وتحليلها, والبحث عن العلاج المناسب لها. فاختلقت في ذلك آراؤهم ونظرياتهم, وتنوعت في العلاج طرائقهم وآلياتهم.

والقرآن العظيم أنزله الله سبحانه لسعادة البشرية وهدايتها, ورعاية مصالحها وتنظيم شؤونها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]. والسنة النبوية جعلها شارحة له موضحة لمعانيه مبينة لمقاصده, كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44] ففيهما البلسم الشافي, والدواء الكافي. وقد تناول الكتاب والسنة هذه الظاهرة ودرسها من جميع النواحي.

الإشكالية:

كيف تناول القرآن الكريم والسنة النبوية ظاهرة الانحراف؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية:

كيف حلل الكتاب والسنة هذه الظاهرة؟ وكيف عالجها؟

ما هي أسباب الانحراف التي ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية؟ وما هي آثاره؟

وما هي الطرق والآليات الناجعة لعلاج الانحراف والوقاية منه في المنظور الشرعي, وفق هدي القرآن الكريم والسنة النبوية؟

أهمية البحث وأهدافه:

تتجلى أهمية هذا البحث في أمرين اثنين:

الأول: خطورة ظاهرة الانحراف بمختلف أشكالها, وتفشيها في المجتمع, في الأسرة والشارع والمؤسسات العامة, حتى دور التربية والأدب من المدارس والجامعات. وانتشاره بمختلف الأشكال من الإلحاد والتطرف والغلو والعقوق وقطيعة الرحم والمخدرات والعلاقات المحرمة وأذية الناس وغير ذلك, مما يترجم عنه الواقع ولا يحتاج إلى كثير شرح.

الثاني: أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية ومكانتهما في التشريع, فالقرآن الكريم كلام الله سبحانه الذي أنزله لهداية الناس وإصلاحهم, والسنة تطبيق عملي له. فأنفع علاج لهذه الظاهرة نجده في هذين المصدرين.

فالهدف من هذا البحث هو إبراز منهجية القرآن الكريم والسنة النبوية في علاج هذه الظاهرة, والخلوص إلى نظرة شاملة ومتكاملة لموضوع الانحراف. يتسنى للداعية أو المربي تصور هذه الظاهرة ومعرفة أسبابها وآثارها وكيفية علاجها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية, فيهتدي بهدي النبي صلى الله عليه وسلم ويلتزم بمنهجه.

الأسباب الداعية إلى البحث:

توجد كثير من الدراسات التي اهتمت بموضوع الانحراف, من مختلف التخصصات الإنسانية. حيث بحثه علماء الاجتماع وعلماء النفس, واجتهد فيه الفقهاء والقانونيون, وكتب فيه الدعاة والمصلحون, كل حسب مجاله وخبرته. لكني لم أجد دراسة وافية مؤصلة له من خلال الكتاب والسنة. فأحببت أن أساهم بدراسة هذا الموضوع من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية, وأحاول أن أعطي نظرة شاملة ومتكاملة لهذه الظاهرة, وأصل لها بالأدلة من الآيات والأحاديث, وأبرز المنهجية الشرعية في تناول موضوع الانحراف وكيفية علاجه.

منهجية البحث:

اعتمدت في البحث على استقراء الآيات التي تناولت الموضوع، وتحليلها ودراستها دراسة موضوعية. بالاستعانة بالسنة وتفسير أهل العلم قديما وحديثا، وكتابات أهل العلم فيما يتعلق بالموضوع. معتمدا في ذلك على المنهج التحليلي.

أسست مواضيع البحث على ما جاءت الإشارة إليه واضحة من خلال الآيات القرآنية. وأما السنة النبوية فاكتمت منها بما يشرح ذلك، إذ السنة النبوية عبارة عن تطبيق عملي لما جاء في القرآن الكريم.

اعتمدت في البحث على ما صح من الأحاديث والآثار، فإن كان الحديث في الصحيحين فإن الأمة قد تلقتهم بالقبول فأكتفي بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما ذكرت درجة الحديث من الصحة أو الحسن أو الضعف، معتمدا في ذلك على أحكام أئمة الحديث من المتقدمين والمتأخرين.

لا أتوسع في الكلام في تفسير الآيات، طلبا للإيجاز وتسديدا للسهم نحو الهدف، فلا أذكر خلاف أهل العلم في تفسير الآيات، وأكتفي بذكر الراجح منها مع الإشارة إلى دليله، أو أختار من الأقوال ما يخدم البحث إذا كان للآية أكثر من معنى صحيح، أو أحاول الجمع إذا أمكن، مستعينا في ذلك بأهل التحقيق من المفسرين، مع الإشارة في الهامش إلى من توسع في تفسير الآية وذكر الخلاف فيها وحققه.

أما في الكلام عن معنى الأحاديث فأرجع إلى شروح أهل العلم المعتمدة، وأوجز كلامهم في الحديث بما يخدم الموضوع، وما كان فيها من غريب فأكتفي بشرحه في الهامش.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي وقفت عليها واستفدت منها في بحثي:

- الانحراف ومعالجته كما جاء في الكتاب والسنة, فاطمة حسن عبد الرحيم, موقع: ketabpedia.com : وهو عبارة عن دراسة مجملة لموضوع الانحراف, حيث جاءت في 47 صفحة, أشارت إلى بعض أسبابه ومظاهره.
 - الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج في ضوء القرآن الكريم, دراسة موضوعية. د. داليا محمد شوقي داود, مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية, المجلد الرابع من العدد الثاني والثلاثين, search.mandumah.com : ذكرت بعض أسباب الانحراف التي أشار إليها القرآن لكن فاتتها الكثير, وما ذكرته من الآثار أكثره مستقى من الواقع ولم ترجعه إلى أصله في القرآن.
 - الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري, عبد الرحمن بن محمد الحارثي, رسالة ماجستير-جامعة أم القرى 1432هـ : وهي دراسة مستوعبة, لكنها محصورة في أحاديث صحيح البخاري, وقد استفدت منها في خطة البحث
 - مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة, إدريس محمود إدريس, مكتبة الرشد -الرياض 1426هـ وأصلها رسالة ماجستير: وهي دراسة محصورة على انحرافات الصوفية في جانب الاعتقاد.
- وبحثي جاء لدراسة الانحراف بشكل موضوعي, شامل ومباشر من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم, محاولا بذلك الخلوص إلى نظرة شرعية وتكاملة لموضوع الانحراف وكيفية التعامل معه.

خطة البحث:

جاء البحث في ثلاثة فصول, في مفهوم الانحراف وأسبابه الذاتية والخارجية وآثاره وعلاجه على مستوى الفرد والجماعة. وذلك كالتالي:

الفصل الأول: درست فيه مفهوم الانحراف لغة واصطلاحاً, وذكرت أنواعه من جميع النواحي, ثم بحثت مرادفاته في القرآن الكريم والسنة النبوية والألفاظ المستعملة في التعبير عنه, وختمت بالتقسيم الشرعي له باعتباره المتعددة.

الفصل الثاني: بحثت فيه أسباب الانحراف وآثاره, وقد خلصت إلى نوعين من الأسباب: ذاتية وهي: تسويل النفس الأمانة بالسوء والهوى والحسد والعجب والكبر والسفه والظلم والجهل والغلو والغفلة والكفر ومرض القلب. وخارجية وهي: الشيطان وأساليبه والدنيا وزينتها والمصائب والتقليد الأعمى والصحبة السيئة ودعاة الضلال. وإلى أربعة أنواع من آثار الانحراف ونتائجه: آثار دينية وهي: الزيغ والطبع على القلب وحبوط العمل الصالح. و آثار دنيوية وهي: المصائب والذلة والمعشية الضنكا. و آثار على المجتمع وهي: زوال الأمن والنعم, والعداوة والبغضاء بين الناس والهلاك العام. و آثار أخروية وهي: ما يكون في القبر وفي عرصات يوم القيامة وفي نار جحهم.

الفصل الثالث: في علاج الانحراف وذلك على المستوى الفردي: بالدعاء والاعتصام بالله والتعلق به والحذر والاحتياط وطلب العلم ومحاسبة النفس ومجاهدتها والصبر والتوبة والاستغفار. وعلى المستوى الجماعي: بالدعوة إلى الله والتربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعقوبات الرادعة.

مدخل

تعددت النظريات المفسرة للانحراف حسب مجالاتها وتوجهها, فكان أول من حاول واجتهد في تفسير هذه الظاهرة, المدرسة الكلاسيكية والتي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر, وقامت على مبدأ تحقيق اللذة وتفادي الألم باعتبار أن الإنسان كائن له إرادة حرة يسعى إلى تحقيق منفعته.

ثم انبثقت منها كافة النظريات المفسرة للانحراف والجريمة, فظهرت بعدها المدرسة البيولوجية وانطلقت من فرضية أن المخ يتأثر بالشكل الداخلي للجمجمة وأن شكل الجمجمة يساعد في تفسير الانحراف. ثم تعددت اجتهادات علماء هذه المدرسة, واختلف ضبطهم للصفات الخلقية للمنحرفين التي لا يمكن أن تنضبط ولا أن تعمم, من طول القامة أو قصرها أو حجم الرأس أو الجبهة أو صفة الشعر أو الأعضاء وهكذا.. وأرباب هذه المدرسة أهملوا العوامل الأخرى النفسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها, وركزوا على العامل البيولوجي فقط.

ثم ظهرت المدرسة السيكلوجية النفسية بزعامة سيجموند فرويد والذي حلل الشخصية الإنسانية نفسيا وزعم أن الانحراف منشؤه الاضطرابات النفسية مغفلا بذلك الجوانب الأخرى.

هاتان المدرستان تمثلان الاتجاه الذاتي في تفسير الانحراف الذي يحلل ذات المنحرف بعيدا عن العوامل الخارجية, ما جعل هذا الاتجاه قاصرا غير واف بالمقصود. الأمر الذي أدى إلى ظهور اتجاه آخر موضوعي يراعي الجوانب الأخرى.

ظهرت في الاتجاه الموضوعي عدة مدارس حاولت اكتشاف العوامل المؤثرة في انحراف الإنسان وتفسيرها وعلاجها, منها المدرسة الجغرافية التي ابتدأها ابن خلدون حيث اكتشف تأثير المناخ والجغرافيا على شخصية الإنسان, ثم جيري الذي عمل مديرا للشؤون الوظيفية في فرنسا والذي لاحظ كثرة الجرائم في فصل الصيف وقلتها في فصل الشتاء, ثم تلتها اجتهادات أخرى.

وهكذا المدرسة الاقتصادية والتي لاحظت تأثير المستوى المعيشي في الانحراف, فظهرت فيها عدة نظريات مفسرة لذلك, منها ما يركز على دخل الفرد ومنها ما يراعي نوعية المهنة..

ومن مدارس الاتجاه الموضوعي المدرسة الاجتماعية التي أدخلت العديد من العوامل الاجتماعية في تفسير ظاهرة الانحراف من الدين واللغة والقومية وتماسك المجتمع وتفككه أو انحلاله.

فدوركاييم عالم الاجتماع المشهور مثلاً عندما درس ظاهرة الانتحار وجدها لا ترجع إلى عوامل نفسية أو اقتصادية، وإنما سببها الرئيسي عوامل اجتماعية، خاصة ما يتعلق منها بالدين.

ومنها أيضاً المدرسة السلوكية والتي ترجع الانحراف إلى المحاكاة والتقليد وتفسر الانحراف على أنه سلوك مكتسب مثل باقي أنماط السلوك الأخرى إلا أنه غير سوي.

أما الاتجاه الثالث في تفسير الانحراف فهو الاتجاه التكاملي والذي حاول الجمع بين الاتجاهين الذاتي والموضوعي، فظهرت نظرية فيري الذي يرجع الانحراف إلى تفاعل ثلاثة عوامل: شخصية واجتماعية وجغرافية. ونظرية تيليو وهي نظرية الاستعداد الإجرامي، حيث يعتقد أن بعض الأفراد يحملون استعداداً نفسياً لارتكاب الجريمة لكنها تبقى عوامل كامنة داخل الفرد حتى تواجهه بعض العوامل الخارجية التي تدفعه إلى الانحراف.¹

نلاحظ أن جميع هذه النظريات تفسر الانحراف من زاوية نظر ضيقة وتغفل الجوانب الأخرى، وحتى تلك التي حاولت الجمع بينها وتكميل بعضها ببعض أخفقت عندما تصورت أنه لا بد من تكامل أسباب كثيرة. والحق أن جميع ما ذكره أو أغفلوه يعد أسباباً للانحراف ثم قد تكون أسباب منفردة وقد ينضم بعضها إلى بعض. وأن علاجها لا بد أن يكون من جميع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والجغرافية وغيرها.

والله سبحانه وتعالى وهو أعلم بمكامن النفس البشرية وأخبر بشؤون عباده، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]. قد حلل هذه الظاهرة، خاصة في حديثه عن المنحرفين، وشخصها من جميع الجوانب. من حيث الأسباب أو الآثار أو العلاج.

وبالتأمل في آيات القرآن الكريم وتدبر معانيه مع الاستعانة بالسنة وتفسير أهل العلم يمكن الخلوص إلى ما يلي:

نوعين من أسباب الانحراف: ذاتية وهي: تسويل النفس الأمانة بالسوء والهوى والجهل والغلو والحسد والعجب والكبر والظلم والسفه والكفر ومرض القلب والغفلة. وخارجية وهي: الشيطان وأساليبه والدنيا وزينتها والمصائب والتقليد الأعمى والصحبة السيئة ودعاة الضلال.

¹ انظر: باسم محمد أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة (33-82)

وأربعة آثار للانحراف: دينية ودينية واجتماعية وأخروية.

أما العلاج فيكون على المستوى الفردي والجماعي. ويمكن استخلاص وسائل العلاج على المستوى الفردي في سبعة أمور: الدعاء, والاعتصام بالله والتعلق به, والحذر والاحتياط, وطلب العلم, ومحاسبة النفس ومجاهدتها, والصبر, والتوبة والاستغفار. وعلى المستوى الجماعي في أربعة أمور: الدعوة إلى الله, والتربية والتعليم, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والعقوبات الرادعة.

وتفصيل ذلك في هذه الفصول:

الفصل الأول: مفهوم الانحراف وأنواعه

وفيه مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الانحراف لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: أنواع الانحراف

المبحث الثالث: أسماء الانحراف وأقسامه

تمهيد:

قبل الحديث عن أسباب الانحراف وآثاره وكيفية علاجه لابد من تحديد مفهومه أولاً وتصور معناه. لأن مفهومه يختلف من مجال لآخر، فالانحراف الذي عند علماء الاجتماع غير الانحراف الذي عند علماء النفس وغير الذي عند القانونيين. وهذا يفيدنا في تصحيح مفهومه وضبط معناه، فليس كل ما اصطلاح الناس على وسمه بالانحراف من قول أو فعل هو كذلك، وليس أيضاً كل ما تساهلوا فيه واستجازوه لا يعد انحرافاً.

إذ الإنسان في حقيقة تكوينه ضعيف لم يبلغ درجة العلم الكامل بما يصلح البشرية أو يفسدها. ولا أدل على ذلك من اضطرابه بل تناقضه في تحديد مثل هذه المفاهيم، والتاريخ أصدق شاهد على ذلك، سواء تاريخ البشرية أو تاريخ علومها، فمن أبشع أنواع التعذيب والاستغلال وإهدار كرامة الإنسان إلى مؤسسة إعادة التأهيل المكيفة.

وإذا كان الشرع المطهر من لدن حكيم خبير عليم قدير، فهو أحق من يحدد مفهوم الانحراف، وأعلم وأخبر من يفسر مدلوله. قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157]. ف"كل ما أحل الله تعالى، فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه، فهو خبيث ضار في البدن والدين"¹

وتحديد مفهوم الانحراف يكون أولاً بتناوله من الناحية اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية، ثم تفصيل أشكاله وذكر أنواعه. ثم دراسة المصطلح ومعناه من الناحية الشرعية، من حيث تسميته والتعبير عنه في القرآن والسنة، ومن حيث تقسيمه وذكر أصنافه.

وتفصيل ذلك في هذه المباحث:

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الطبعة الثانية 1999م (488/3)

المبحث الأول: مفهوم الانحراف لغة واصطلاحاً

مفهوم الانحراف في اللغة يرجع إلى العدول والتغير، وفي الاصطلاح يختلف من مجال لآخر، حسب التخصص. ونحن نلقي نظرة حول مفهومه عند علماء الاجتماع والنفس وعند القانونيين، علاوة على مفهومه الشرعي القرآني، حتى تتضح صورته أكثر ويفهم معناه بشكل أوضح.

وتفصيل ذلك في هذين المطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الانحراف لغة

الانحراف في اللغة: هو العدول عن الاستقامة والميل عنها، يقال: حرّف وحرّف وانحرف وتحرف واحرورف. فحرف عن الشيء: مال عنه، وحرّف الكلام: غيره وعدل به عن الصواب، وانحرف عن الطريق: خرج عنها، وانحرف عن الهدى: ضل وزاغ، وفي أثر أبي هريرة: (آمنت بمحرف القلوب)¹، وانحرفت صحته: ساءت. والحرف من كل شيء: طرفه وجانبه، ويقال: فلان على حرف من أمره، يعني: ناحية منه إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه.²

يقول ابن فارس في مادة (حرف): "الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء. فأما الحد فحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره.. والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء. يقال انحرف عنه ينحرف انحرفاً. وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه. ولذلك يقال محارف، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عدله عن جهته. قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]. والأصل الثالث: المحراف، حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج.³

لفظ "الانحراف" في القرآن الكريم والسنة النبوية:

¹ انظر: ابن بطّة العكبري، الإبانة الكبرى، دار الراجعية للنشر والتوزيع - الرياض (171/4)

² انظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة 1414 هـ (43/9) الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية - بيروت (130/1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثامنة 2005 م (799) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة (167/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى 2008 م (475/1)

³ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة دار الفكر، 1979 م (42/2)

كل ما وقفت عليه من استعمال القرآن والسنة للفظ الانحراف استعمال لغوي يدل على التبديل والعدول وتغيير والوجهة.

كما جاء في حديث عائشة الطويل عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى البقيع واتباعها له، قالت رضي الله عنها: (ثم انحرف، فانحرفت)¹ وكما روي في حديث مصير الولاية قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن كان عاصيا لله انحرف به الجسر إلى واد من نار)²

أما في القرآن الكريم فورد بلفظ (المتحرّف) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال: 16] . وهو الذي يعدل عن الجيش ويغير مساره من أجل مكيدة الحرب، فاستثناه من تولية الكفار الدبر.³

وورد بلفظ (الحَرْف) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: 11] . وهو تمثيل لحال المتردد في دينه، كمن يمشي على حرف جبل أو حرف واد، فهو متهمي لأن يزل عنه إلى أسفله فينقلب.⁴

وورد بلفظ (التحريف) كثيرا كما في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46] . أي: يبدّلون معناه ويعدّلون به عن معناه الصحيح.⁵

ولم يرد في القرآن الكريم والسنة النبوية في حدود بحثي استعمال الانحراف بمعنى المعصية أو الخروج عن الصراط المستقيم، وغاية استعماله استعمال لغوي للدلالة على العدول عن الوجهة أو التغيير والتبديل.

المطلب الثاني: مفهوم الانحراف اصطلاحاً:

يختلف مفهوم الانحراف في الاصطلاح من مجال لآخر، فكل تخصص ينظر إليه من زاويته.

¹ رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور، رقم (974) (63/3)

² أخرجه ابن أبي شيبة، كتاب الجنة، ما ذكر فيما أعد لأهل النار، رقم (36894) (200/19)

³ انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية 1984 هـ (289/9)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (212/17)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2000 م (432/8) ابن عاشور، التحرير والتنوير (143/6)

فعلماء الاجتماع يعتبرون الانحراف هو: الخروج عن القيم والمعايير الاجتماعية المتعارف عليها, فهو بهذا الاعتبار يختلف من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر.¹

وعند **علماء النفس والتربية** هو: عبارة عن اضطراب في السلوك ونقص في الشخصية نتيجة الاضطراب في النمو النفسي والعقلي. وعلى هذا, فهم ينظرون إليه كحالة مرضية تستدعي علاجاً طبياً ويغفلون الجوانب الأخرى.²

وأما عند **القانونيين** فهو: الخروج عن القانون الوضعي بحيث يصدر فيه حكم قضائي. غير أن هذه القوانين قابلة للاجتهد فهي من وضع البشر, وتختلف من قانون لآخر.³ ومن جميع هذه الحثيات لا أحد يهتم بالانحراف الفكري العقدي والذي قد يكون أخطر, وغالبا ما يكون المصدر للانحرافات السلوكية الأخرى.

أما **الانحراف من المنظور الشرعي**: فهو الخروج عن الاستقامة بمخالفة أوامر الله.⁴

ويفهم هذا التعريف من أمر الله سبحانه بالاستقامة ولزوم الصراط المستقيم في القرآن الكريم, فأبي عدول عن ذلك أو بعد منه يعد انحرافاً. حيث لم يرد استعمال مصطلح الانحراف في نصوص الكتاب والسنة بمفهومه الاصطلاحي, وكل استعماله في حدود علمي استعمال لغوي كما تقدم, للدلالة على الميل والتغير. لكنه مع ذلك مشهور في كلام أهل العلم خصوصاً المتأخرين, يفسرون الاستقامة بعدم الانحراف.

¹ انظر: باسم محمد أبو عليان, الانحراف الاجتماعي والجريمة, جامعة الأقصى الطبعة الثالثة 2016م (18) محمد عبد الصمد, ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع المسلم ومعالجتها رؤية إسلامية, دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ (147/4).
كريمة عجرود, الانحراف فردانية السلوك واجتماعية رد الفعل, المجلة الخلدونية, جامعة ابن خلدون - تيارت 2013م المجلد 12 (433)

² انظر: كريمة عجرود, الانحراف فردانية السلوك واجتماعية رد الفعل (433) سليمان بن قاسم العيد, سبيل وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي, مدار الوطن- الرياض, الطبعة الأولى 1426هـ (6)

³ انظر: كريمة عجرود, الانحراف فردانية السلوك واجتماعية رد الفعل (433) الانحراف من وجهة نظر القانون, محمد المرزوقي, محمد المرزوقي للمحاماة والاستشارات القانونية blog.ml-advocates.com

⁴ انظر: ابن تيمية, مجموع الفتاوى, مجمع الملك فهد- السعودية 1995م (86/1) سليمان بن قاسم العيد, سبيل وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي (7)

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: 112]: "في الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف"¹, وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كل ما نهى [الله] عنه فهو زيغ وانحراف عن الاستقامة"², وقال الشعراوي: "الاستقامة معناها: عدم الميل أو الانحراف"³

وهذه الاستقامة تكون باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه, فكل مخالفة أو تفريط أو إفراط يعد انحرافاً.⁴

وعلى هذا, يكون الانحراف من المنظور الشرعي أشمل وأدق, لأن المنهيات منها ما يتعلق بالعقائد والأفكار, ومنها ما يتعلق بالسلوك والأخلاق, ومنها ما يتعلق بالمعاملات والعلاقات, وغير ذلك.

وضابط الانحراف من هذا المنظور رباني المصدر فهو **معصوم وثابت**. فقد يتفق المجتمع على عادة معينة ولا يعتبرها انحرافاً في حين أنها مفسدة له وفيها حتفه, كالعلاقات المحرمة في المجتمعات الغربية, أو الزنا أو الخمر. ففي هذه الحالة, المجتمع كله يحتاج إلى إصلاح, فضلاً عن أن يحدد هو معايير الانحراف.

وهكذا القوانين الوضعية فهي خاضعة لاجتهادات البشر وتجاربهم, فالإنسان لا يستطيع أن يحيط بجميع ما يصلح البشر وإن ادعى ذلك, ولا أدل عليه من تغير هذه القوانين من وقت لآخر, فأحياناً يبيحون شيئاً ثم عندما يرون أضراره يجرّمونه, ثم بعد الضغوط يجرّمونه بضوابط, وهكذا.⁵

¹ عبد الله بن عمر البيضاوي, أنوار التنزيل وأسرار التأويل, دار إحياء التراث العربي - بيروت, الطبعة الأولى 1418 هـ (151/3)

² ابن تيمية, مجموع الفتاوى, مجمع الملك فهد - السعودية 1995م (86/1)

³ الشعراوي, تفسير الشعراوي, مطابع أخبار اليوم 1997م (6708/11)

⁴ انظر: ابن عاشور, التحرير والتنوير (177/12) عبد الرحمن بن ناصر السعدي, تيسير الكريم الرحمن, مؤسسة الرسالة, الطبعة الأولى 2000 م (390) ابن تيمية, اقتضاء الصراط المستقيم, الناشر: دار عالم الكتب, بيروت, الطبعة السابعة, 1999م

(82/1) ابن تيمية, الفتاوى الكبرى, دار الكتب العلمية, الطبعة الأولى 1987م (145/2)

⁵ انظر: عبد القادر عودة, التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي, دار الكاتب العربي - بيروت (14/1)

المبحث الثاني: أنواع الانحراف

الانحراف عن الصراط المستقيم ليس على درجة واحدة أو صنفا واحدا، فقد يكون انحرافا كليا بحيث يخرج صاحبه من الملة، وقد يكون دون ذلك. ومن ناحية أخرى قد يكون انحرافا يرجع ضرره على الفرد فحسب وقد يتعدى إلى غيره أو يضر المجتمع برمته. ومن الانحراف أيضا ما يستحق صاحبه العقوبة والردع وعلى درجات متفاوتة، ومنه ما لا يصل بصاحبه إلى العقاب ويكفي فيه التوجيه والتذكرة. لذلك يُقسم الانحراف باعتبارات متنوعة ومن نواح متعددة على حسب مجال البحث والدراسة.

وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

المطلب الأول: من الناحية العقديّة:

يقسم علماء الكلام والاعتقاد الانحراف باعتبار التسمية إلى انحراف أكبر - إن صح التعبير - يخرج من ملة الإسلام، وانحراف دون ذلك بحيث يبقى صاحبه في دائرة الإسلام. لأن دراستهم تنصب على الأسماء والأحكام؛ هل يسمى مسلما مؤمنا أم يسمى كافرا؟ وهل يعامل معاملة الكافر أم معاملة المسلم؟ لذلك يقسمون الفسق إلى قسمين: فسق أكبر مخرج من الملة وفسق أصغر لا يخرج من الملة ويشمل المعاصي التي دون الكفر. وهكذا الشرك: شرك أكبر وشرك أصغر. والكفر: كفر أكبر وكفر أصغر. والنفاق: نفاق أكبر ونفاق أصغر.¹

يقول محمد بن نصر المروزي: "الفسق فسقان: فسق ينقل عن الملة، وفسق لا ينقل عن الملة فيسمى الكافر فاسقا، والفاسق من المسلمين فاسقا، ذكر الله إبليس، فقال: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 50]. وكان ذلك الفسق منه كفرا. وسمى القاذف من المسلمين فاسقا، ولم يخرج من الإسلام، قال الله فيهم: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 4]. قالت العلماء: فكما كان الظلم ظلمين، والفسوق فسقين، كذلك الكفر كفران: أحدهما ينقل عن الملة، والآخر لا ينقل عنها، فكذلك الشرك شركان: شرك في التوحيد ينقل عن الملة، وشرك في العمل لا ينقل عن الملة، وهو

¹ انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن للنشر-الرياض، الطبعة الأولى 2003 م (235-260) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية - السعودية، الطبعة الأولى 1421 هـ (57-68)

الرياء، قال الله جل وعز: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]. يريد بذلك المراءاة بالأعمال الصالحة¹

المطلب الثاني: من الناحية الفقهية والقانونية:

يقسم فقهاء الشريعة وفقهاء القانون الانحرافات باعتبار العقوبة المترتبة عليها، ويعبرون عنها بمصطلح (الجرمة). فيقسمونها إلى ثلاثة أقسام: جرائم الحدود والتي جاء فيها حد شرعي، كالزنا والسرقة والقتل. وجرائم القصاص والتي يعامل الجاني فيها بالمثل كقتل العمد. وجرائم التعزير التي لم يأت فيها حد شرعي وإنما يرجع فيها إلى اجتهاد الحاكم.²

ويقسمونها كذلك باعتبارات أخرى، ونظرهم في ذلك كله إلى تقدير العقوبة المناسبة. فتقسم باعتبار طريقة فعلها إلى إيجابية وهي ما يكون بفعل منهي عنه كالسرقة والزنا، وإلى سلبية وهي ما يكون بالامتناع عن فعل مأمور به كالامتناع عن أداء الزكاة. وتنقسم باعتبار طبيعتها الخاصة إلى جرائم وانحرافات ضد الجماعة وأخرى ضد الأفراد. وغير ذلك.³

يقول عبد القادر عودة: "يمكننا أن نقسم الجرائم أقساماً متنوعة تختلف باختلاف وجهة النظر إليها. فإذا نظرنا إلى الجرائم من حيث جسامة العقوبة قسمناها إلى حدود، وقصاص أو دية، وتعازير. وإذا نظرنا إليها من حيث قصد الجاني قسمناها إلى جرائم عمدية، وجرائم غير عمدية. وإذا نظرنا إليها باعتبار وقت كشفها قسمناها إلى جرائم متلبس بها، وجرائم لا تلبس فيها. وإذا نظرنا إليها من حيث طريقة ارتكابها قسمناها إلى جرائم إيجابية وجرائم سلبية، وإلى جرائم بسيطة وجرائم اعتياد، وإلى جرائم مؤقتة وجرائم غير مؤقتة. وإذا نظرنا إلى طبيعتها الخاصة قسمناها إلى جرائم ضد الجماعة وجرائم ضد الأفراد، وإلى جرائم عادية وجرائم سياسية."⁴

المطلب الثالث: من الناحية السلوكية:

¹ محمد بن نصر بن المروزي، عظيم قدر الصلاة، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1406 هـ (526/2) بتصرف
² انظر: عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية 2003 م (13، 12/5)
عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (80-78/1)
³ انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (83/1، 90، 98) الجرمية والعقوبة في الفقه الإسلامي محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة 1998 م (39، 42، 92، 106، 113)
⁴ عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (78/1)

يقسم أرباب السلوك والتصوف الانحرافات باعتبار ماهيتها ووصفها. فيقسمونها إلى أربعة أقسام: انحرافات ربوبية كالإلحاد والكفر والعظمة والاستبداد والقهر، وشيطانية والتي يتشبه الإنسان فيها بالشيطان كالغش والخداع والأمر بالمعصية وتزيينها، وسبعية والتي يتشبه فيها بالسباع كسفك الدماء وأنواع الاعتداءات، وبهيمية والتي يكون فيها كالبهيمة يحرص فقط على قضاء شهوة البطن والفرج كالزنا والسرقعة، وأكثر الانحرافات من هذا النوع.

ويقسمونها أيضا إلى انحرافات ظاهرة وهي ذنوب اللسان والعين والفرج وسائر الجوارح، وباطنة وهي انحرافات القلب كالنفاق والرياء والحسد. وإلى انحرافات تتعلق بحقوق الله وأخرى تتعلق بحقوق العباد.¹

ويقسمون الانحرافات باعتبار آخر إلى كبائر وصغائر، وهذا أشهر التقاسيم. والكبائر عند أكثر أهل العلم: كل ذنب ترتب عليه حدٌ في الدنيا، أو عذاب في الآخرة، أو لُعن صاحبه، أو غضب الله عليه، أو تبرأ الله منه ورسوله، أو نفى عنه الإيمان أو وصف بالفسق. والصغائر ما دون ذلك.²

ويمكن تقسيم الانحراف أيضا حسب الاصطلاح المعاصر كما يستعمله كثير من المفكرين والمؤلفين في عناوين مقالاتهم وكتاباتهم إلى نوعين: انحراف فكري والذي يكون في الآراء والعقائد كالإلحاد والكفر والتأثر بالشبهات وهذا يدرس في علم العقائد والكلام والأديان،³ وانحراف سلوكي

¹ انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت (16/4) محمد بن أبي بكر ابن القيم، الداء والدواء، عالم الفوائد - مجدة، الطبعة الأولى 1429 هـ (287-289) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريسي - الرياض (51)

² انظر: أحمد بن عثمان الذهبي، الكبائر، دار الندوة الجديدة - بيروت (8) ابن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، الطبعة الأولى 1987م (13/1) ابن القيم، الداء والدواء (293) سعود بن عبد العزيز الخلف، المباحث العقدية المتعلقة بالكبائر ومرتكبها في الدنيا، مجلة الجامعة الإسلامية - العدد 123 (58)

³ ومن ذلك: أبحاث مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، الجمع الفقهي الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، 20-22 جمادى الآخرة 1438 هـ الموقع الرسمي: ar.themwl.org

أو اجتماعي والذي يدرس في علم الاجتماع وعلم النفس, حيث يتعلق بسلوك الإنسان وتصرفاته, ويتناول الظواهر الاجتماعية كالمخدرات والسرقة والعقوق والعلاقات الغير شرعية وغير ذلك.¹

¹ ومن ذلك: الانحراف السلوكي وعلاقته بالمجتمع, أحمد علوان, شبكة الألوكة-قسم الكتب, www.alukah.net
الانحرافات السلوكية الأسباب والعلاج, صباح عباس, دار البيان العربي, ط 1 1993. الانحراف الاجتماعي والجريمة, باسم محمد أبو عليان, ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع المسلم ومعالجتها رؤية إسلامية, محمد عبد الصمد.

المبحث الثالث: أسماء الانحراف وأقسامه.

عبر القرآن الكريم والسنة النبوية عن الانحراف بألفاظ وأسماء كثيرة، للدلالة على خطورته والتأكيد على أهمية والعناية بموضوعه. وتناولناه أيضا بالتحليل والتقسيم، فذكرنا أنواعه وميزا أشكاله.

وتفصيل ذلك كالتالي:

المطلب الأول: أسماء الانحراف ومرادفاته

الانحراف بالمفهوم الشرعي بمعنى الخروج عن الاستقامة لم يرد استعماله في القرآن الكريم والسنة النبوية بهذا اللفظ كما تقدم، غير أنه جاء التعبير عنه بأسماء عديدة، وهي كالتالي:

- 1. الفسق والفسوق :** وأصله الخروج عن الشيء، كقولهم: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره. والانحراف خروج عن الطاعة. قال تعالى عن أكل المحرمات: ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ [المائدة: 3] . وقال تعالى عن إبليس: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 50] . أي: خرج عن طاعة ربه. وكما في قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: 16] . أي: أمرناهم بالطاعة فخالفوا أمر الله وعصوا وانحرفوا.¹
- 2. العصيان والمعصية:** وأصله أن يتمنع بعصاه، والمنحرف شاق لعصا المسلمين. قال تعالى: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: 7] . أي: ركوب ما نهى الله عنه والخروج عن طاعته. وقال: ﴿فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: 9] .²
- 3. الذنب:** أصله فعل ما لا تحمد عقباه اعتبارا بذنب الشيء وعاقبته، والانحراف عاقبته الهلاك. قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: 40] . أي: بسبب كفره وانحرافه وما ارتكبه من المعاصي، وقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ﴾ [غافر: 55] . يعني: اطلب العفو منه.³

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (406/17) (42/18) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (502/4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، الدار الشامية - دمشق، الطبعة الأولى 1412هـ (636)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (290/22) الفيومي، المصباح المنير (414/2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (570)

³ انظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الأهرام-مصر، الطبعة الثامنة عشر 1995م (597) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (361/2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (331)

4. السيئة والسوء: والانحراف يسوء الإنسان ويسوء مجتمعه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: 81] . وقال: ﴿وَمَا عَمِلْتُ مِنْ سُوِّ تَوْدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30] .¹

5. الخطيئة والخطاة والخطأ: من التخطي وهو المجاوزة، فهو مجاوزة وتخط للصواب، والانحراف كذلك. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: 112] . وقال: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: 9] . وقال: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31] .²

6. الإثم: وأصله البطأ والتأخر، والانحراف تأخر عن الخير. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2] . أي: على ترك ما أمركم الله بفعله. وفي الحديث: (والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس)^{3 4}

7. الحوب: بضم الحاء وفتحها، ومعناه: الإثم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2] . يعني: إثمًا كبيرًا، وفي الحديث: (اغفر لنا حوبنا وخطايانا)^{5 6}

8. الزيغ: وهو الميل عن الاستقامة، كقولهم: زاغ البصر. وهذا أقرب المعاني إلى الانحراف من الناحية اللغوية، قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: 7] . "ميل عن الحق

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (281/2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (441)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (208/20) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (189/2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (287) الفيومي، المصباح المنير (174/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (659/1)

³ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم (2553)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (490/9) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (60/1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (63)

⁵ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب كيف الرقى، رقم (3892) وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت 1979م (455/1)

⁶ انظر: ابن جرير، جامع البيان (529/7) ابن عاشور، التحرير والتنوير (221/4) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (113/2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (261)

وانحراف عنه¹. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5] . أي: انحرفوا ومالوا عن الحق وعدلوا عن قصد السبيل.²

9. الضلال والضلالة: وأصله ضياع الشيء وذهابه، والانحراف ضياع عن الحق. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36] . يعني: انحراف وسلك غير سبيل الهدى والرشاد. وغالبا ما يأتي في مقابل الهداية، كما في قوله: ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: 16] .³

10. الفساد والإفساد: وأصله خروج الشيء عن الاعتدال، وهو ضد الصلاح، والانحراف كذلك. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: 220] ، وقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: 116] . يعني: ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم وأهل الانحراف عن انحرافهم.⁴

11. الغي: وهو نقيض الرشد، مشتق من الغاية وهي الغبرة والظلمة ، فذو الغي قد غشيه ما لا يرى معه سبيل الحق. وكذلك الانحراف. قال تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] . أي: الهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات، ويقال أيضا غواية.⁵

12. الجريمة: وأصل الجرم: الكسب والاختطاع، والانحراف في غالبه عمل وكسب. وهذا المصطلح يستعمله القانونيون كثيرا، لأن الانحراف عندهم لا بد أن يكون شيئا ملموسا، وعملا محسوسا. وفي القرآن جاء كثيرا وصف المنحرفين بالمجرمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 55] . يعني: لتتضح طريقهم فتجتنب.⁶

¹ ابن جرير، جامع البيان (183/6)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (358/23) ابن عاشور، التحرير والتنوير (179/28) أحمد بن فارس، معاني اللغة (40/3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (387)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (271/20) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (509) أحمد بن فارس، معاني اللغة (356/3)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (527/15) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (636)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (416/5) علي بن أحمد الواحد، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى 1430 هـ (362/4) أحمد بن فارس، معاني اللغة (399/4)

⁶ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (260/7) أحمد بن فارس، معاني اللغة (446/1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (192)

المطلب الثاني: أقسام الانحراف

يمكن تقسيم الانحراف ثلاثة تقسيمات باعتبارات متعددة: الأول باعتبار ظهوره وخفائه، والثاني باعتبار حجمه وشناعته وقبحه، والثالث باعتبار أثره ومآله.

الأول: باعتبار ظهوره وخفائه.

وينقسم إلى **ظاهر وباطن**: فالظاهر ما يكون علانية يراه الناس، والباطن ما يكون في السر لا يراه الناس، أو يكون متعلقا بالقلب لا يطلع عليه أحد.¹ قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: 120]. قال مجاهد: "معصية الله في السر والعلانية"²

وفائدة هذا التقسيم التأكيد على الإنسان أن يجتنب جميع أنواع الانحراف سواء رآه الناس أم لا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: 151]. يعني: كل الأشياء المحرمة سواء كانت ظاهرة للناس أم كانت في السر. ومنها الزنا، فقد كانوا في الجاهلية كما قال ابن عباس: "لا يرون بالزنى بأساً في السر، ويستقبحونه في العلانية، فحرم الله الزنى في السر والعلانية"³ وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: (لا أحد أغير من الله، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)⁴

الثاني: باعتبار حجمه

وينقسم إلى **كبائر وصغائر أو لَمَم**. قال ابن القيم: "دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر"⁵ والتعبير بالصغائر هو الشائع عند أهل

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (37/8) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (279) الشعراوي، تفسير الشعراوي (3986/7)

² ابن جرير، جامع البيان (73/12) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (323/3)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (218/12)

⁴ رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن} رقم (4634) ورواه مسلم، كتاب

التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، رقم (2760)

⁵ انظر: ابن القيم، الداء والدواء (289)

العلم وجاء في حديث صلاة التساييح: (غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطاه وعمده، صغيرة وكبيرة، سره وعلايته)¹

والذي جاء التعبير به في القرآن هو اللمم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: 32]. والكبائر تقدم أنها كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو عذاب في الآخرة، أو لعن صاحبه، أو غضب الله عليه، أو تبرأ الله منه ورسوله، أو نُفي عنه الإيمان أو وُصف بالفسق. أما اللمم أو الصغائر فهي ما دون ذلك.²

وهذا اللم أو الصغائر لا يكاد يسلم منه أحد، كما كانت العرب تقول:

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألَمَّا³

ومثله ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه)⁴

الثالث: باعتبار أثره

وينقسم إلى ما يغفر وما لا يغفر: والذي لا يغفر هو الشرك بالله، والذي يغفر هو ما دونه من المعاصي. والمقصود هنا إذا مات عليه الإنسان دون توبة، فالعبد إذا تاب إلى ربه تاب الله عليه مهما عظم ذنبه. أما إذا مات دون توبة فإن كان وقع في الشرك والكفر وخرج من دائرة الإسلام فإن الله لا يغفر الشرك أبدا، أما ما دونه من المعاصي فتدخل تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه بذنبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]. وذلك أن الذنوب التي دون الشرك إذا كان صاحبها مؤمنا قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة:

¹ رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب صلاة التساييح، رقم (1297) وابن ماجه، باب ما جاء في صلاة التساييح، رقم (1387) وصححه الألباني، صحيح أبي داود، مؤسسة غراس - الكويت، الطبعة: الأولى 2002 م (40/5)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (538/22) ابن عاشور، التحرير والتنوير (122/27) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (821)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (537/22) محمد بن إسحاق، السير والمغازي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1978 م

(97) والبيت لأمية ابن أبي الصلت. انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة - بيروت 1976 م (133/1)

⁴ رواه مسلم، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، رقم (2657)

منها الحسنات الماحية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114] ، ومنها المصائب المكفرة، لحديث: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه)¹ ومنها دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة الشافعين، وفوق ذلك كله رحمته سبحانه بأهل الإيمان والتوحيد، ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى: (ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة)²

أما الشرك فيقول الله تعالى لنبيه وأكرم خلقه عليه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65] . فالشرك لا يغفره الله أبداً، وهو يحبط جميع الأعمال، وصاحبه خالد مخلد في النار أبد الأبدن. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72] . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)³

¹ رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم (5640) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب

المؤمن فيما يصيبه من مرض، رقم (2572)

² رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، رقم (2687)

³ رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا}، رقم (4227) ومسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، رقم (26)

الفصل الثاني: أسباب الانحراف وآثاره:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب الانحراف الذاتية

المبحث الثاني: أسباب الانحراف الخارجية

المبحث الثالث: آثار الانحراف

المبحث الأول: أسباب الانحراف الذاتية

يبين الله سبحانه ويؤكد أن الإنسان قد طبع على صفات سلبية كثيرة تؤثر عليه وعلى تصرفاته، بل وتدفع به إلى الانحراف والإجرام. ولا ينجيه منها إلا الإيمان والعمل الصالح، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]. وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: 19]. والهلوع: شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر.¹ وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ۚ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: 6-7]. يعني: يتجاوز حده إذا رأى نفسه استغنت.² و(الإنسان) في هذه الآيات المقصود به: النوع والجنس، يعني: الإنسان من حيث هو إنسان، توجد فيه هذه الخلال.³

وهذا يبين غلط بعض الأفكار التي تضيفي المثالية على الإنسان وتصف كل ما هو جميل بأنه إنساني، في حين أن الله سبحانه الذي خلقه وهو أعلم به يبين أن طبعه طبع شرير ما لم يتدارك ذلك بالإيمان والمجاهدة والتقوى.

فالمقصود هنا صاحب النفس الأمارة بالسوء التي لم تترب بالتربية الإيمانية التي تهذبها وتصلحها، وتجعل فعل الخير سجية فيها، وذكر الله وعبادته راحة وطمأنينة لها. وإنما هي نفس أهملها صاحبها فصار أكبر همها إشباع نزواتها واتباع هواها وإشفاء غيضاها وتنفيذ حسدها.

هذه الصفات الكامنة في نفس الإنسان الأمارة بالسوء من الهوى والعجب والكبر والحسد والسفه وقلة العقل هي من أعظم الأسباب التي تؤدي به إلى الانحراف والضلال، وقد جاء ذكرها في سياق الحديث عن أعداء الرسل وعن الضلال والمجرمين والمنحرفين عموماً.

وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (265/23)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (532/24)

³ انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى 1422هـ (340/3)

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (426)

المطلب الأول: تسويل النفس الأمانة بالسوء

النفس إذا كانت منطوية على العجب أو الكبر أو الحسد أو كان صاحبها سفيها قليل العقل أو كانت متشربة للهوى فإنها تدفع صاحبها إلى الانحراف وتأمّره بالسوء وتسهله له. وهذا ما قصه الله علينا من خبر أحد ابني آدم تجاه أخيه الذي امتلأ قلبه حسدا له، ومع إخوة يوسف الذين امتلأت قلوبهم حقدا على أخيه، ومع السامري الذي تشربت نفسه هوى عبادة العجل.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولا: مفهوم النفس والتسويل

لغة: النفس بسكون الفاء: الروح، ويقال للدم نفس كقولهم: لا نفس له سائلة، ومنه النفساء، وتطلق على الجسد والذات.¹

اصطلاحاً: قيل: هي الروح وأن مسماها واحد، وقيل: هما شيئان متغايران. وفي القرآن الكريم تطلق النفس على الذات بجملتها (الجسد والروح)، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: 61]. وتطلق على الروح وحدها، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: 27]. وقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53].²

واختلف هل لابن آدم ثلاث أنفس؟: نفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس أمارة بالسوء، أم أنها واحدة تتغير صفاتها. قال ابن القيم: "والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم"³ فالنفس المطمئنة: هي التي تطمئن إلى ربها بعبوديته، واللوامة: هي التي تلوم صاحبها على تقصيره، والأمانة بالسوء: هي التي تأمر بالسوء.⁴

¹ انظر: الفيومي، المصباح المنير (617/2) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (460/5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (577/1)

² انظر: ابن القيم، الروح، دار الكتب العلمية - بيروت (217)

³ ابن القيم، نفس المرجع (220)

⁴ انظر: ابن القيم، الروح (220-226) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (230,231)

والتسويل والتطويع: هو التزيين والتسهيل والتشجيع على الفعل والإغراء به.¹ يقول ابن عاشور: "التسويل: تزيين ما ليس بزین"²

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دائما يستعيز بالله من شر هذه النفس، فكان يستفتح بذلك خطبه ويعلم ذلك أصحابه كما قال ابن مسعود: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة: (إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا).³ الحديث. وعلم أبا بكر الصديق أن يفعل ذلك في الصباح والمساء، فعن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: (قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه)، قال: (قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعتك)⁴

ثانيا: تطويع النفس سبب قتل أحد ابني آدم أخاه

تقدم ذكر قصة ابني آدم وفيها أن هابيل لما قرب قربانا من خير ماله واتقى الله فيه وأخلص له، تقبله الله سبحانه منه، وأن قابيل لما قرب قربانا من شر ماله لم يُقبل منه. فحسد حينئذ قابيل هابيل وتنامى هذا الحسد في نفسه حتى طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله. فالحسد كان كامنا في قلب قابيل والذي سهل له تنفيذه هو نفسه الشريرة. قال تعالى -في سياق القصة -: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ [المائدة: 30] أي: سهلت نفسه عليه الأمر وشجعت عليه وزينته له.⁵

¹ انظر: الفيومي، المصباح المنير (297/1) (380/2) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1139/2) (1422/2)

² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (297/16)

³ رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم (2118) والنسائي، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، رقم (1404) وصححه الألباني، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، مكتبة المعارف الطبعة الأولى 2000م

⁴ رواه أبو داود، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (5067) والترمذي، رقم (3392) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2753) (580/6)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (220/10) الشوكاني، فتح القدير (37/2)

يقول ابن عاشور: "ودل (طوع) على حدوث تردد في نفس قابيل ومغالبة بين دافع الحسد ودافع الخشية"¹

فهذه الجريمة حصلت بعد التذكير والموعظة والمسائلة والتحذير، فبعد هذا كله طاعته نفسه وذللت له كل عقبة وكسرت دونه كل حاجز فاندفعت نحو الجريمة. فطوعت له نفسه القتل، وقتل من؟ قتل أخيه.²

والحسد لا يكاد يسلم منه أحد؛ لذلك يقال: ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يبيده والكريم يخفيه.³ فالحسد الكامن في النفس لا يؤثر ما لم يُنقذ، والذي يُسهل تنفيذه هي هذه النفس الأمارة بالسوء، لذلك قال سبحانه في سورة الفلق: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 5]. يقول ابن عثيمين: "الحساد نوعان: نوع يحسد ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، لكنه لا يعتدي على صاحبه. والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد. ولهذا قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾"⁴

وهذا الذنب الذي سنه يكون عليه شطر من كل دم بعده، كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل)⁵

ثالثاً: تسويل النفس سبب جريمة إخوة يوسف

ما حصل مع إخوة يوسف يشبه ما حصل مع قابيل وهاييل ابني آدم عليه السلام، فما كان من الحسد من إخوة يوسف عليه السلام تجاهه إنما سولت لهم أنفسهم إخراجهم وتنفيذه. يقول الله جل وعلا في الإخبار عن أبيهم يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]. أي: زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً وحسنته

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير (172/6)

² انظر: سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر 1412 هـ (876/2)

³ انظر: ابن تيمية، أمراض القلوب وشفائها، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية 1399 هـ (21)

⁴ محمد بن صالح ابن عثيمين، تفسير جزء عم، دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية 2002 م (353)

⁵ رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (3335) ومسلم، كتاب القسامة والمحاريب، باب بيان إثم من سن القتل، رقم (1677)

وطوعته لكم وسهله عليكم حتى اقتفرتموه،¹ يقول السعدي رحمه الله: "لأنه رأى من القرائن والأحوال ومن رؤيا يوسف التي قصّها عليه ما دلّه على ما قال"²

والذي يكون شرب النفس يساء به الظن ولا يصدّق في أفعاله المريبة حتى ولو كان صادقا، وهذا ما حصل مع إخوة يوسف عليه السلام بعدما فقدوا أخاه بنيامين أيضا في مصر وأمسكه العزيز عنده، فأخبروا أباهم يعقوب عليه السلام وأكدوا له صدقهم بقولهم: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [يوسف: 82]. لكنه عليه السلام ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: 18]. فلما كان صنيعهم هذا مرتبا على فعلهم الأول ومبينا عليه، سحب حكمه الأول عليه. مع ما سبق لهم من الكذب عليه وعدم الوفاء بالعهد في المحافظة على يوسف عليه السلام.³

رابعا: تسويل النفس سبب دعوة السامري للشرك

السامري كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "كان رجلا من أهل باجرما، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل"⁴ فنفسه لا تزال متعلقة بعبادة البقر هاوية لها، حتى سولت له صنع عجل يعبدونه من دون الله.

لما ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه وترك خلفه بني إسرائيل اغتتم السامري الفرصة فجمع الزينة التي أخذوها من قوم فرعون وصنع منها جسد عجل له خوار مثل البقر ودعاهم إلى عبادته.⁵ فأعجبهم ذلك وقالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه:

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (583/15) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (221/12) الشعراوي، تفسير الشعراوي (6891/11)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (394)

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (304/4) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نخضة مصر - القاهرة، الطبعة الأولى (406/7)

⁴ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية 1964 م (234/11) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (313/5)

⁵ انظر: ابن كثير، قصص الانبياء (120/2) عثمان الخميس، فبهدهم اقتده (385)

[88] . أي: نسي موسى ربه.¹ قال ابن عباس رضي الله عنهما : "فعكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط مثله"² كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 93] .

فلما رجع موسى عليه السلام وسأل السامري عن الدافع له إلى ذلك أجابه بما أخبر تعالى في قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْلَمِرِيُّ﴾ ^(٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿ [طه: 95-96] . أي: زينت لي هذا الفعل وحسنته وأعجبها ذلك, لأن عبادة العجل قد هويتها نفسه وأشربها قلبه.³

والنفس إذا تعلقت بشيء وهويته يصعب عليها فراقه ولا ينفع فيها الوعظ والتذكير غالبا, فرغم وعظ هارون عليه السلام لهم وتذكيرهم بالله إلا أنهم أبوا إلا التمسك به والعكوف عليه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ ^(٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿ [طه: 90-91] . قال بعض السلف: لنحت الجبال بالأظافر أهون من زوال الهوى إذا تمكن في النفس.⁴

المطلب الثاني: الهوى

النار محفوفة بالشهوات, والنفس بطبعها ميالة إلى هذه الشهوات, والحق غالبا ثقیل على النفوس, لذلك الإنسان إذا أتبع نفسه هواها أوردها المهالك. وخطورة الهوى حذر الله سبحانه منه داود عليه السلام وهو نبي من الأنبياء. وأخبرنا أيضا أن بني إسرائيل لما جاءتهم أنبياءهم بما لا يوافق أهواءهم كذبوهم بل وقتلوا كثيرا منهم, وأن المشركين في اتحادهم الأصنام إنما يتبعون في ذلك هوى أنفسهم.

وبيان تأثير الهوى على الأفراد والمجتمعات وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولا: مفهوم الهوى

¹ انظر: ابن جرير, جامع البيان (357/18)

² ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (311/5)

³ انظر: ابن جرير, جامع البيان (363/18) ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (313/5)

⁴ انظر: أبو عبد الرحمن السلمي, عيوب النفس, مكتبة الصحابة - طنطا (24)

لغة: الهوى: ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، وغالبا ما تستعمل في الميل المذموم.¹

اصطلاحا: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع.²

والمقصود بالهوى المذموم الذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك، كما قال الشعبي: "إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه"³ فينظر إلى الشهوة الآنية ولا يفكر في العواقب. أما الهوى الطبيعي في حياة الإنسان والذي هو سبب في بقاءه كهوى الأكل والشرب والجماع فهذا غير مذموم. إنما المذموم الذي يكون فيه تعد لما أباح الله إلى ما حرم. وفي الحديث: (إنما أخشى عليكم شهواتِ العَيِّ في بطونكم وفروجكم، ومُضِلَّاتِ الهوى)⁴

والنفس بطبعها ميالة إلى الشهوات، والشيطان له منفذ على ابن آدم من باب الهوى كما قال علي رضي الله عنه: "إن للشيطان مصاليا وفخوخا" وذكر منها: "واتباع الهوى في غير ذات الله"⁵ لكن الإنسان ميزه الله بالعقل والنهى الذي يعقله ويحجزه وينهاه عما يضره، فيفكر في العواقب ولا ينظر إلى مجرد المتعة العاجلة. فعليه أن يجاهد نفسه ولا ينساق وراء أهوائها التي لا حدود لها. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 41-40] .

¹ انظر: الفيومي، المصباح المنير (643/2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (1347/1) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (16/6)

² انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (257) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (242) ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: 1983 م (22) ابن الجوزي، ذم الهوى، المكتبة الشاملة (12)

³ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، دار البشائر - بيروت، الطبعة الأولى 2013 م (175) ابن الجوزي، ذم الهوى (13)

⁴ رواه أحمد، رقم (19787) والبخاري، رقم (3844) والطبراني، المعجم الصغير، رقم (511) وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (130/1)

⁵ محمد إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة 1989 م (194)

ومن حكمة الله سبحانه في ابتلائه لعباده أن جعل ما يؤدي إلى الجنة ثقيلًا على النفوس لا تهواه غالبًا، وأن ما يؤدي إلى النار يوافق هواها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)¹

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما خلق الله الجنة قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر فقال: يا رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فحفظها بالمكاره ثم قال: اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها فقال: يا رب لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها فقال: يا رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها. فحفظها بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها فقال: يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)²

ثانياً: الهوى يضل عن سبيل الله

الهوى يعمي بصيرة الإنسان حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: (حبك الشيء يعمي ويصم).³ وقد يعرف الحق لكن يمنعه الهوى من اتباعه، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجن: 23]. يعني: بعد بلوغ العلم وقيام الحجة عليه على أحد التفسيرين، فهو يعلم الحق لكنه يتبع هواه.⁴ ومثله الذي قص الله علينا خبره من الأمم الماضية، بلعام أو غيره، حيث آتاه الله آياته لكنه استهوته الدنيا فانسلك منها واتبع هواه.⁵

¹ رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (2822) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه البخاري، كتاب الرقاق، باب حجب النار بالشهوات، رقم (6487) بلفظ: (حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² رواه أبو داود، كتاب السنة، باب خلق الجنة والنار، رقم (4744) والنسائي، كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله، رقم (3763) وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (472/3)

³ رواه أبو داود، أبواب النوم، باب في الهوى، رقم (5130) انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم (1868) (348/4)

⁴ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (268/7)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (574/10) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (173)

وقد بين الله سبحانه أن الهوى يضل صاحبه عن سبيل الله، خاصة فيما يتعلق في الحكم بين الناس، حيث حذر منه داود عليه السلام وهو نبي من الأنبياء، قال سبحانه: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26] . و"الفاء" للسببية، يعني: اتباع الهوى يكون سببا لك للضلال عن سبيل الله.¹

وفي هذه الآية أعظم موعظة في خطورة الهوى، وأنه لا يجوز لأحد أن يبرأ نفسه منه. ويروى أن الوليد بن عبد الملك قال لأبي زرعة: أيحاسب الخليفة؟ فإنك قرأت القرآن وفقّهت. فقال: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود؟ إن الله عز وجل جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ الآية.²

ولما أمر الله بالعدل وأداء الشهادة ولو على النفس أو الأقربين حذر من أعظم عائق يحول دون ذلك فقال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: 135] . لأن الإنسان قد يحمله حب بعض الناس أو بغض بعضهم على ترك العدل، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: 8] .³ ولأن العدل والإنصاف ثقیل على النفوس فلا تهواه غالبا.⁴

ثالثا: تكذيب بني إسرائيل الأنبياء وقتلهم بسبب الهوى

من أعظم الحكم والمقاصد من بعثة الأنبياء وتشريع الشرائع هو إخراج الناس من اتباع أهوائهم إلى طاعة الله وعبادته، لأنهم لو تركوا وأهواءهم لضاعت المصالح الدينية والدينية،⁵ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْخَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 71] .

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (245/23)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (63/7)

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (433/2)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (244/23)

⁵ انظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1997م (289/2) ابن عاشور، الحرير والتنوير

وبنو إسرائيل أخذ الله عليهم عهداً مؤكداً في التوراة أنهم يؤمنون بالله ويتبعون رسله،¹ لكنهم لما أتتهم أنبياءهم بما لا تشتهي أنفسهم وبما يخالف أهواءهم كذبوهم بل وقتلوا كثيراً منهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70].²

ومن ذلك ما يروى عن يحيى بن زكريا حين نهاهم عن زواج المحارم، وكان ملكهم في ذلك الزمان يريد زواج إحدى محارمه وهي أيضاً تريده، فأغرته بقتل يحيى عليه السلام حتى أتى لها برأسه مهراً لها.³ عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: "ما قُتل يحيى بن زكريا إلا في امرأة بغية قالت لصاحبها: لا أرضى عنك حتى تأتيني برأسه، قال: فذبحه فأثاها برأسه في طشت"⁴

وهذا ما حصل أيضاً مع مشركي قريش فلم يكتفوا بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والكفر به، بل حاولوا قتله مرات لكن الله عصمه منهم، كما قال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

رابعا : تعلق المشركين بغير الله بسبب الهوى

بين الله جل وعلا أن اتخاذ المشركين للأصنام والأوثان⁵ ليس لهم عليها دليل ولا برهان وما أنزل الله بها من سلطان، وما دفعهم إلى ذلك إلا الهوى واتباع الظن، وذلك في الرياسة والمكانة التي يحصلونها من ورائها، وما يطمعون في شفاعتها. يقول تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: 23].⁶

وقد عظمت فتنة المشركين بهذه الأصنام حتى كان حبهام إياها من نوع الحب لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: 165].

¹ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م (14،13/6)

² انظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر (119) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (156/3)

³ انظر: إسماعيل بن عمر ابن كثير، قصص الأنبياء، دار التأليف - القاهرة، الطبعة الأولى 1968م (362/2) عثمان الخميس، فبهدهام اقتده، دار الإيلاف - الكويت، الطبعة الأولى 2010م (435)

⁴ رواه ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى 1409هـ (345/6)

⁵ يشرح وينكر الفرق بين الأصنام والأوثان

⁶ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (458/7)

فهم يعتقدون فيها القدرة على نفعهم وإغاثتهم، وأن لها مكانة عند الله ترفع إليه حاجاتهم وتشفع لهم عنده، "فهذا الاعتقاد يحدث انجذاباً من المعتقد يصحبه شعور خفي بأن له قوة عالية مستمدة ممن يحب، ويعظم هذا النوع من الحب بمقدار ما يعتقد في المحبوب من الصفات والمزايا التي بها كان مصدر المنافع"¹ وإذا استولى هذا الحب على القلب فإنه يضعف حب الله فيه، لذلك قال بعدها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165] . لأن حبهم خالص لله.²

وهذا ما يحصل مع غيرهم من العشاق، سواء عشاق الدنيا أو عشاق الصور أو عشاق المجون واللهو، فإنهم يتعلقون بما يهوون إلى درجة العبودية. كما قال ابن القيم:

فالقلب بيت الرب جل جلاله حبا وإخلاصا مع الإحسان

فإذا تعلق بالسَّمْع أصاره عبدا لكل فلانة وفلان

حب الكتاب وحب ألحان الغنا في قلب عبد ليس يجتمعان³

وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم العاشق للدنيا المتعلق بها إلى درجة أن يقدم محابه الدنيوية على مرضاة الله بعبد الدينار والدرهم، فقال عليه الصلاة والسلام: (تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميسة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض)⁴

المطلب الثالث: الحسد

الحسد من الأدواء الخطيرة التي تصيب القلوب وتفسد السلوك، وأول جريمة وقعت على وجه الأرض كانت بسبب الحسد. والحسد هو الذي دفع إخوة يوسف إلى إلقاءه في البئر والتفكير في قتله، وهو الذي منع اليهود من الإيمان بحمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم بصدقه، فهو داء يفتك بالأفراد والمجتمعات. وتفصيل ذلك وبيانه كالتالي:

أولاً: مفهوم الحسد

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار (56/2)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (79)

³ ابن القيم، الكافية الشافية، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية 1417هـ (326)

⁴ رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، رقم (6435)

لغة: الحسد: كراهية النعمة على الغير وتمني زوالها أو أن تتحول إلى الحاسد.¹

ومعناه في الاصطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة.²

والحسد يطلق على الغبطة مجازاً، والفرق بين الحسد والغبطة هو أن الغبطة تمن للحصول على نعمة مثل التي أعجبته في غيره من غير تمن لزوالها عنه، على خلاف الحسد فهو تمن لزوال النعمة على الغير.³

فما جاء من تسمية الغبطة بالحسد في قوله عليه الصلاة والسلام: (لا حسد إلا في اثنتين) الحديث⁴ هي على سبيل المجاز. والعلماء يقررون أن الحسد قسمان: حقيقي ومجازي، فالحقيقي: تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة. وأما المجازي: فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، وهذا لا بأس به.⁵

وهذا الحسد الكامن في النفوس إذا لم يحاربه صاحبه ويكبته فإنه يؤدي به إلى أنواع من الانحرافات والمحرمات من الكذب والظلم والأذية والتعدي على حقوق الغير، لأن الحاسد لا يهنا له بال حتى يزيل النعمة عن محسوده، بأي طريقة كانت.

ثانياً: كفر اليهود بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد

اليهود كانوا يسكنون المدينة ويجاورون الأوس والخزرج، وربما قامت الحرب بينهم في بعض الأحيان فكانوا يستنصرون عليهم إذا قاتلوهم بمجيء نبي آخر الزمان، يقولون: إنه سيبعث نبي في

¹ انظر: الفيومي، المصباح المنير (135/1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (277/1)

² انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (87) أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة - بيروت (408) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2003م (79)

³ انظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة - مصر (128) ابن منظور، لسان العرب (359/7)

⁴ رواه البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم (73) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، رقم (817)

⁵ انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (97/6)

آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وكان من العرب كفروا به حسداً، إذ كانوا ينتظرون أن يأتي منهم من بني إسرائيل.¹

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: 89]. فهم يعرفونه حق المعرفة كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146]، الأنعام 20. لأنه موصوف عندهم في التوراة والإنجيل. لكن الذي منعهم من الإيمان به هو الحسد لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: 54].²

عن صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاًني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.³

بل إنهم من شدة حسدهم للمسلمين يتمنون لو أنهم يكفرون ويتركون دينهم، قال تعالى: والحسد هو الذي منع قريشا أيضاً من الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، فعن المغيرة بن شعبه قال: (إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: (يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله)، فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أنني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك.

¹ انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة الثامنة 1427 هـ (46/2)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (336/2)

³ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (519/1)

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علي فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء، إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي. والله لا أفعل.¹

ثالثا: قتل أحد ابني آدم أخاه بسبب الحسد

ذكر الله سبحانه قصة ابني آدم في القرآن وأمر نبيه أن يتلوها على الناس لما فيها من العبرة والعظة. وجمهور المفسرين أنهما ابني آدم لصلبه بدليل عدم معرفته بالدفن وبعث الغراب لتعليمه وهذا إنما كان في أول أمر البشرية. واشتهر عند المفسرين أن اسمهما قابيل وهايل.²

ومجمل القصة أن أحد ابني آدم وهو هابيل قرب قربانا واتقى الله فيه وأخلص له،³ وروي أنه قدم أفضل ماله، فقبله الله سبحانه منه. وأما قابيل فقرب قربانا من شر ماله فلم يتقبل منه. فحسد حينئذ قابيل هابيل وتنامى هذا الحسد في نفسه حتى طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله.⁴

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۖ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۖ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: 27-30] .

وتأمل في قوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وما فيها من التأكيد والإصرار، وهذا يصور ما عليه الحاسد من الإصرار على ارتكاب الجريمة والعياذ بالله، وما يحدثه الحسد من الشر والخبث والعمى في النفس.

¹ انظر: أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1405 هـ (207/2) الألباني، صحيح

السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية - عمان، الطبعة الأولى (162)

² انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (371/1)

³ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (170/6)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (280) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (112)

ثم تأمل في أي جريمة وقع وعلى من أوقع الجريمة، إنه قد أدى به الحسد إلى قتل أخيه الذي كان ينتظر منه السند والحماية.¹

ومن جهة أخرى فإن الحسد لا يكتفي بإيقاع النفس في الانحراف بل يورثها بعد ذلك الندم والحسرة والخسارة، فهو وبال على النفس حالا ومآلا.

رابعا: أذية إخوة يوسف لأخيه بسبب الحسد

يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب عليه السلام، وكان هو وبنيامين أخوين شقيقين من أم واحدة وسائر إخوته الآخرين من أم أخرى. ولما توفيت أم يوسف عليه السلام وتركته وأخاه صغيرين كان ميل الأب يعقوب عليه السلام إليهما أكثر والمراعاة لهما أشد، فكان ذلك سبب حسد الإخوة الآخرين لهما، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف فكان الحسد له أكثر. ما أدى بهؤلاء الإخوة إلى التآمر عليه ومحاولة التخلص منه.²

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ١٠﴾ [يوسف: 8-10]. فكروا في قتله أو رميه في بلاد بعيدة، ثم أجمعوا على إلقائه في البئر فيلتقطه من يمر من المسافرين ويأخذوه بعيدا فيتخلصوا منه، وكل هذا بدافع الحسد الذي كان يملأ صدورهم تجاهه. قال محمد بن إسحاق: (لقد اجتمعوا على أمر عظيم، من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل)³ وكل هذا من آثار الحسد ونتائجه.

ومعنى قولهم: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9] على أحد التفسيرين، أي: صالحين في أمور دنياكم لذهاب ما كان يشغلكم عن ذلك، وهو الحسد ليوسف وتكدر خواطركم

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (170/6)

² انظر: علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية - بيروت (9/3)

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (373,372/4)

بتأثيره عليكم هو وأخوه،¹ فانظر إلى هذا الداء العضال كيف يترك صاحبه لا تستقر له حياة ولا يهنأ له بال حتى يزيل النعمة عن محسوده أو يزيله بالكلية ولو بارتكاب أقبح الجرائم.

المطلب الرابع: العجب

قص الله علينا خبر الأمم الماضية وكيف أهلكهم العجب ووقعوا بسببه في الانحراف، كقارون الذي أعجب بعلمه وثروته فعلا في الأرض وأفسد فيها، وصاحب الجنتين الذي أعجب بثروته أيضا فأنكر البعث والنشور، وذكر لنا سبحانه حال المسلمين حين أعجبوا بكثرتهم في غزوة حنين وكيف أدى بهم ذلك إلى الانحراف والنكول عن الجهاد في سبيل الله.

فهذه نماذج من الانحرافات سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات ذكر الله سبحانه أن العجب كان سببا رئيسا في وقوعها. وبيان ذلك وتفصيله كالتالي:

أولا: مفهوم العجب

لغة: العجب هو الزهو والترفع والكبر.²

اصطلاحا: هو استعظام النعمة والركون إليها، وتصور استحقاق رتبة غير مستحق لها وهو أصل يتفرع عنه التيه والزهو والكبر والنخوة والتعالي.³

فالعجب شيء كامن في النفس يحيل لها أنها على شيء قد انفردت به عن سائر الخلق، كما قال عبد الله بن المبارك: "أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك"⁴ ما يؤدي بالإنسان إلى الاتكال

¹ انظر: الشوكاني، فتح القدير (10/3)

² انظر: الفيومي، المصباح المنير (393/2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (112/1)

³ انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (371/3) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 1983م (147) ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، 1979م (75)

⁴ أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة الأولى 2003 م (514/10)

وعدم السعي، فلا يجتهد في تربية نفسه والسعي في تهذيبها أو بذل الأسباب في تطويرها وتركيتها. وفي الحديث: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه).¹

ومن جهة أخرى؛ المعجب بنفسه يكله الله إليها،² لقوله عليه الصلاة والسلام: (من تعلق شيئاً وكل إليه)³ وإذا وكل الله العبد إلى نفسه طرفة عين هلك، لذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين)⁴

فعلى الإنسان أن يكل أموره دائماً إلى الله وأن يتبرأ من حوله وقوته، لذلك جاء النهي عن تركية النفس ومدحها، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32]. وكذلك النهي عن مدح الغير أيضاً،⁵ كل ذلك مخافة العجب. وأن يكون دائم المحاسبة لنفسه والمجاهدة لها. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان جالسا ذات يوم، فمرت به جارية تحمل قرية، فقام، فأخذ منها القرية وحملها على عنقه حتى وداها ثم رجع، فقال له أصحابه: يرحمك الله يا أمير المؤمنين! ما حملك على هذا؟ قال: إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها.⁶

ثانياً: تولى المسلمين يوم حنين بسبب العجب

غزوة حنين كانت بعد فتح مكة، خرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ممن جاء مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وألفين من مسلمة الفتح. وهذا العدد لم يجتمع لهم قبل ذلك، فأعجبوا بكثرتهم وقالوا: لن نغلب اليوم من قلة. كما ذكر الله تعالى عنهم في كتابه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً

¹ رواه البيهقي، شعب الإيمان، رقم (731) والبخاري، مسند البزار، رقم (7293) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (412/4) (1802)

² انظر: ابن عثيمين، القول المفيد شرح كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي-السعودية، الطبعة الثانية 1424هـ (523)

³ رواه الترمذي، باب ما جاء في كراهة التعليق، رقم (2072) والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة، رقم (4079) وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى 2000 م (348/3)

⁴ رواه أبو داود، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (5090) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (227) (449/1)

⁵ انظر: يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثالثة 1998م، باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه (494)

⁶ انظر: أحمد بن مروان الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم- بيروت 1419هـ (91/6)

وَصَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿[التوبة: 25]﴾ . فكان نتيجة الإعجاب هو التولي والهروب عن القتال في ابتداء المعركة، ثم عادوا بعد ثبات النبي صلى الله عليه وسلم ومناداته لهم.¹

فوقع ما وقع في أنفسهم من هذا الشعور، وبعضهم باح به وقال: لن نغلب اليوم عن قلة، فلم يرض الله هذا القول، ووكلمهم إلى أنفسهم.² فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وقع في قلوب المسلمين من هذا الشعور والإعجاب بكثرتهم، حذرهم من خطورته وذكرهم بقصة نبي من الأنبياء أعجب بكثرة قومه، وما حصل له، وأن الواجب هو اللجوء إلى الله والاعتماد عليه.³

عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفثيه أيام حنين بشيء لم يكن يفعله قبل ذلك، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: (إن نبيا كان فيمن كان قبلكم أعجبه أمته، فقال: لن يروم هؤلاء شيء، فأوحى الله إليه: أن خيرهم بين إحدى ثلاث: إما أن أسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيحهم، أو الجوع، أو الموت. فقالوا: أما القتل أو الجوع فلا طاقة لنا به، ولكن الموت. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمات في ثلاث سبعون ألفا. فأنا أقول الآن: اللهم بك أحاول وبك أصول وبك أقاتل)⁴

ثالثا: بغي قارون وإفساده بسبب العجب

قارون كان ابن عم موسى وكان وزير فرعون، آتاه الله ثروة عظيمة جدا، لكن أهلكه العجب بنفسه وبما آتاه الله من العلم والذكاء، فجحد نعمة ربه عليه وكفر به، وزعم أنه أوتي ما أوتي من الثروة والمال بذكائه وحذقه ومعرفته بوجوه المكاسب فدفعه ذلك إلى البغي والفساد في الأرض. قال تعالى:

¹ انظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة السادسة 1994 م (498/2) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال - بيروت، الطبعة الأولى (380) الشعراوي، تفسير الشعراوي (5003/8)

² انظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة، الطبعة الرابعة 1997 م (26/4) ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية 1955 م (437/2)

³ انظر: أحمد موسى الحازمي، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الأولى 2013 م (112/4)

⁴ رواه أحمد، رقم (18933)، والدارمي، كتاب السير، باب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، رقم (2631) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (1061) (50/3)

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴿٧٨﴾﴾ [الفصل: 76-78] . وروي أنه كان تقيا وأنه كان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة، لكنه أهلكه العجب بنفسه.¹

وانحرافه يكمن في أمور نصحه عليها قومه: وجدوه بطرا أشرا مغرورا بماله، فقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ يعني: فرح البطر والغرور، ووجدوه قد نسي الآخرة ولم يتزود لها، فقالوا له: ﴿وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ ، ووجدوه مضيعا لحياته فيما لا يعني ولا يعود عليه بالنفع، فقالوا له: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ على أحد المعنيين، ووجدوه مضيعا لحقوق الخلق مسينا إليهم بخيلا بما آتاه الله عليهم، فقالوا له: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ، ووجدوه قد طغى وتجرأ في الأرض وأفسد فيها، فقالوا له: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ . فما أمره أمرا، ولا فهو نهما إلا وهو مخالف له، وإلا لما أمره ولما نهوه.²

فكيف كان رده وجوابه؟ جواب المغرور المعجب بنفسه، قال تعالى مخبرا عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: بحذقي وكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، أو على علم من الله بحالي، يعلم أي أهل لذلك مستحق له.³

رابعا: كفر صاحب الجنتين بسبب العجب

صاحب الجنتين رجل من الأمم الماضية رزقه الله بستانين عظيمين من الأعناب والنخيل والزرع، فأعجب بما آتاه الله من الرزق وأدى به ذلك إلى الكفر باليوم الآخر. فضرب الله به المثل في سورة الكهف تحذيرا من مسلكه، وبيانا لنتيجة العجب ووخيم عاقبته.

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (618، 616/19) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (623) جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى (518)

² انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (11020/18) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ (119/2)

³ انظر: الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الأولى 1414هـ (215/4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (623)

قال تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ۝ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۝﴾ [الكهف: 32-36]. فدفعه غروره وإعجابه بنفسه وبما أوتي من المال والثروة إلى إنكار الآخرة والكفر بالله والعياذ بالله.

حذره صاحبه من هذا المسلك الوخيم، وذكره أن الله هو الذي خلقه وتفضل عليه بهذه النعم، وأن الواجب عليه أن ينسب الفضل إلى أهله وأن يشكر الله على منه وكرمه، ويتبرأ من حوله وقوته، وقال له: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: 39]. لكنه لم ينتصح ولم ينفع فيه الوعظ، فأحيط بثمره وهلكت جنته وصارت خاوية على عروشها، فحسر الدنيا والآخرة.¹

وروي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد، فيقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فيرى فيه آفة دون الموت). وكان يتأول هذه الآية: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: 39]

2

المطلب الخامس: الكبر

الكبر من أعظم أسباب الانحراف، وهو سبب أول ذنب عصي الله به، وذلك حين استكبر إبليس عن السجود لآدم. والكبر هو الذي منع الأمم الكافرة من اتباع الحق والاستجابة للأنبياء

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (157/5) الشعراوي، تفسير الشعراوي (8908/14) ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر 1986م (117/2)

² رواه الطبراني، المعجم الأوسط، رقم (4261) المعجم الصغير، رقم (588) وابن السني، عمل اليوم والليلة، رقم (357) والبيهقي، شعب الإيمان، رقم (4060) وانظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف-الرياض، الطبعة الأولى 1992م، رقم (25/5)(2012)

حيث استكبروا واحتقروا الأنبياء وأتباعهم, وهذا ما حكاه الله عن الكافرين والمشركين من مختلف الأمم.

فهذان نموذجان للانحراف بسبب الكبر على مستوى الأفراد والمجتمعات, وتفصيل ذلك وبيانها كالتالي:

أولاً: مفهوم الكبر

لغة: الكبر والتكبر والاستكبار متقاربة, وهو التعاضم والامتناع عن قبول الحق معاندة, ورؤية النفس أكبر من غيرها.¹

اصطلاحاً: عرفه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس)² واطر الحق: يعني: دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا، وغمط الناس: احتقارهم.³

والفرق بين الكبر والعجب: هو أن الكبر يكون على الغير, فهو يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به. أما العجب فلا علاقة له مع الغير فلا يستدعي غير المعجب, فلو لم يخلق الإنسان إلا وحده لثُصور أن يكون معجباً, أما الكبر فلا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال. ولا يكفي في الكبر أيضا أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه.⁴

فخطورة الكبر تكمن في التعامل مع الغير, فلا يقبل المتكبر نصيح الناصحين ولا وعظ الواعظين, لأنه يحتقرهم ويرى نفسه أفضل منهم.

ثانياً: الكبر سبب لحرمان الهداية من الله.

الإنسان إذا استكبر عن اتباع الحق وقابل دعوة الأنبياء بالإعراض والإسراع والمبادرة إلى التكذيب فإن الله يعاقبه على ذلك بأن يطبع على قلبه فيحرم الهداية والإيمان بعد ذلك, فلا تنفع فيه

¹ انظر: الفيومي, المصباح المنير (523/2), مجمع اللغة العربية, المعجم الوسيط 2(773), المرتضى الزبيدي, تاج العروس من جواهر القاموس, دار الهداية (9/14)

² رواه مسلم, كتاب الإيمان, باب تحريم الكبر وبيانها, رقم (91) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

³ انظر: النووي, المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, دار إحياء التراث العربي-بيروت, الطبعة الثانية 1392 هـ (90/2)

⁴ انظر: أبو حامد الغزالي, إحياء علوم الدين (344/3)

موعظة ولا تذكير، وهذا من أعظم العقوبات. والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: 146]. وصرفهم عن آيات الله يشمل صرفهم عن النظر في الآيات الكونية فلا يعتبرون بها، وصرفهم أيضا عن التصديق بالمعجزات والآيات الدالة على نبوة الأنبياء، فيرون البراهين الساطعة ويقولون هذا سحر مبين ويقترحون غيرها. ويشمل أيضا صرفهم عن آيات القرآن فلا يتأملون ما فيها ولا يتدبرون معانيها. فيطبع على قلوبهم ويختم عليها فما بداخل هذه القلوب من الكفر لا يخرج، وما في خارج هذه القلوب من الإيمان لا يدخل والعياذ بالله.¹

وهذا المعنى يقرره القرآن كثيرا، وهو أن الله سبحانه يعاقب الكفار بالطبع على قلوبهم والختم عليها جزاء كفرهم واستكبارهم، كما قال عن أهل الكتاب: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: 155] أي: بسبب كفرهم.² وقال عن المنافقين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3]. والمعنى: أنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن، فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فهم لا يفهمون الحجج ولا ينتفعون بالآيات والمعجزات والبراهين.³ كما وصفهم الله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: 16]. فهم لا يريدون سماع الحق والهدى ويستكبرون عنه، فأسماعهم مصغية لكن قلوبهم معرضة. لذلك عندما يخرجون من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون للصحابة على سبيل الاستهزاء ماذا كان يقول محمد صلى الله عليه وسلم؟ أما الذين يبحثون عن الحق ويريدون الهداية فقال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17]. أي: وفقهم للتقوى والعمل الصالح.⁴

¹ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (12/1) الشعراوي، تفسير الشعراوي (4355/7)

² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (18/6)

³ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (238/28) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد-السعودية

الطبعة الثانية، 2009 م (554)

⁴ انظر: الشوكاني، فتح القدير (42/5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (786) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (508)

ثالثا: تكذيب الأمم للرسول بسبب الكبر

قص الله جل وعلا على نبيه أحوال الأنبياء السابقين مع أقوامهم وبين له سبب كفرهم تسليمة له وتحذيرا لقومه. وكان في مقدمة أسباب كفرهم وتكذيبهم الاستكبار على الأنبياء حيث رأوا أنفسهم أفضل من الأنبياء وفرحوا بما عندهم من العلم ونظروا إليهم نظرة احتقار وازدراء، وقالوا فيما حكى الله عنهم: ﴿إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: 10] .

ومن قص الله سبحانه قصته للعبرة والتفكر:

1- قوم نوح: قال تعالى حاكيا قول نوح عن قومه: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيْ عَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7] . فمنعهم الاستكبار حتى من سماع ما يقول، فلربما يكون خلاف ما تصوره، وهذا يدل على خطورة الكبر في الصد عن الحق.

2- قوم صالح: قال الله تعالى عنهم: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِء مُّؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِء كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76] . فوصفهم بالذين استكبروا ليدل أنه السبب في كفرهم.

3- قوم شعيب: قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88] . وفي هذه القصة أن المستكبر لا يكتفي بالتكذيب في نفسه بل يسعى جاهدا لصد غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُّؤْمِنِينَ﴾ [سبا: 31]

4- قوم موسى: قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِء بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: 75] . وقال: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِء مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 132-133] . رغم كل هذه الآيات المعجزات منعهم الاستكبار من الانصياع إلى الحق.

5- قوم عاد: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15]

6. قوم ثمود: قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَعُلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر: 23-25] . يعني: استكبروا عليه وقالوا: كيف نتبع بشرا مثلنا؟! وكيف خصه الله بالنبوة من بيننا؟!

7 - قوم محمد صلى الله عليه وسلم: حيث قالوا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: 8] . وقالوا: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: 3] . ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] .

رابعاً: كفر إبليس بسبب الكبر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34] . وفي "ص" ﴿قَالَ يَبْنَئُ بِلَيْسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75] . والمعنى: استكبرت على آدم أم كنت من المتكبرين على ربك؟ فأجاب: بأنه يرى أنه أفضل من آدم، وأن النار أفضل من الطين.¹

وهذه القصة ذكرها الله سبحانه في سورة البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف وص، وهذا يدل على عظمتها وكبير العظة منها، وخطورة الاستكبار. يُذكر الله سبحانه بها الناس خصوصاً المشركين الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكباراً أن يكونوا تبعاً لرجل مثله. حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: 8] . وقالوا: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: 3] . يعني: هو مثلنا لا يفضلنا في شيء، بل منا من هو خير منه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] . يعني: هما أحق منه، فكيف نتبعه؟ تكبرا عليه. لذلك كرر عليهم تعالى قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه، لأنه خلق من نار وآدم خلق من

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (239/21)، محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر - بيروت 1995م (33/1)

طين. حتى صار شيطاناً رجيماً، وحقت عليه من الله لعنته. قال ابن جرير: "مخذّهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسداً وتعظماً، من اللعن والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم"¹.

وحكي أن عوف بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط، فقال: "إني أريد أن أعظك بشيء، إياك والكبر فإنه أول ذنب عصى الله به إبليس، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ الْآيَةَ﴾² فالكبر أمره خطير، خاصة على أهل الولايات والمناصب.

المطلب السادس: السفه وقلة العقل

العقل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان، وهو الذي يحجزه ويمنعه عن فعل ما لا يليق، ويجعله يفكر في العواقب، فإذا فقد هذه النعمة أو لم يحسن استعمالها انحرف. والله سبحانه يحدثنا عن بعض انحرافات الأفراد والمجمعات التي سببها السفه وقلة العقل كقتل الأولاد الذي كان في المجتمع الجاهلي، وأن قلة العقل سبب في تفرق القلوب. وكذلك كثير من الانحرافات كالسخرية من ذكر الله والغفلة عن الآخرة. وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: مفهوم السفه والعقل

لغة: السفه: النقص في العقل،³ والعقل: هو الحابس والمانع عن ذميم القول والفعل، كما يمنع العقل البعير من الهروب.⁴

اصطلاحاً: السفه: خفة تعرض للإنسان تحمله على العمل على خلاف العقل والشرع.⁵

والعقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، ويحجز الإنسان عما لا يليق. قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب.⁶ وظاهر القرآن يدل على أن محله القلب، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى

¹ ابن جرير، جامع البيان (240/21)

² فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة 1420 هـ (645/3)

³ انظر: الفيومي، المصباح المنير (280/1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (1247/1) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (79/3)

⁴ انظر: الفيومي، المصباح المنير (422/2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (1033/1) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (69/4)

⁵ انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (19) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (113)

⁶ انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (152) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (149)

الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿[الحج: 46] . ولا ينفي ذلك أن يكون له اتصال بالدماغ, لأن العقل يتعطل إذا فسد الدماغ.¹

ويسمى أيضا (هُيَة) ويجمع على (هُي), كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: 54] . لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب ما يهلكه.²

ويسمى كذلك (حجر), كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: 5] . لأنه يحجر صاحبه ويمنعه عن ارتكاب ما لا ينبغي.³

وكثيرا ما يدعو القرآن الكريم إلى استعمال العقل ويعود باللائمة على المشركين بأنهم عطلوا عقولهم, لأن العاقل الذي يعلم بأن هذه الدنيا إلى زوال وأن الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة لا يمكن أن يؤثر الفانية على الباقية. قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32] . لذلك يوم القيامة يعترف الكفار أنهم لم يكن لهم عقل راجح ينفعهم ويرشدهم إلى الفلاح, قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10] .⁴

ثانيا: السفه سبب لتفريق القلوب:

العاقل الذي ينظر في عواقب الأمور ويميز بين المصالح والمفاسد يدرك قيمة الاجتماع وضرر التفريق, فيعتبر أن هذه القيمة الاجتماعية ضرورة ملحة لابد من تحقيقها والمحافظة عليها, بعيدا عن المصالح الآنية وحفظ النفس الأنانية. لذلك تجد العقلاء يعضون الطرف ويتغاضون ويتغافلون عن كثير من الأمور حفاظا على الوحدة والاجتماع, بينما تجد السفهاء يسارعون إلى القطيعة عند أول خطيئة.

وهذا ما حكاه الله سبحانه عن المنافقين مع اليهود, في قوله: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: 14] أي: تظن أن هؤلاء المنافقين وأهل الكتاب مؤتلفين مجتمعين

¹ انظر: محمد الأمين الشنقيطي, أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (275/5) ابن عطية, المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (127/4)

² انظر: ابن جرير, جامع البيان (321/18) ابن عاشور, التحرير والتنوير (240/16)

³ انظر: ابن جرير, جامع البيان (402/24) ابن عاشور, التحرير والتنوير (316/30)

⁴ انظر: ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (178/8)

كلمتهم، وهم في الحقيقة قلوبهم مختلفة وبعضهم أعداء لبعض، والسبب أنهم قوم لا يعقلون، لأنهم سطحيون لا يتأملون في العواقب.¹

ومن ذلك ما كان في غزوة بني النضير حين حاول اليهود قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالخروج من المدينة وأجلهم عشرة أيام. وعند تجهزهم للرحيل بعث إليهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي أن اثبتوا ولا تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، وقال كما حكى الله عنه: ﴿وَإِنْ قُوَّتْكُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: 11]، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فعادت لليهود ثقتهم وأبوا الخروج. فلما حمل النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وضرب عليهم الحصار خانهم عبد الله بن أبي وحلفاؤهم من غطفان واعتزلتهم قريضة، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيرا، أو أن يدفع عنهم شرا. فكان عاقبة ذلك أن استسلموا وأجلاهم النبي عليه الصلاة والسلام من المدينة.²

فالذي يجمعهم -في الظاهر- هو حرب الحق وأهله، وإلا فهم بأسهم بينهم شديد، كما قال قتادة: "تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق"³ وهذا يدل على سفههم وتناقضهم.

ثالثا: السفه سبب قتل المشركين أولادهم:

قتل الأولاد جريمة فضيحة لا يقدم عليها إلا سفيه مجنون لا عقل له. فالولد نعمة من الله يأنس به الوالد ويجده لإعانتته وينتفع به المجتمع وفيه حفاظ على النسل، بل وصفه الله سبحانه بأنه زينة الحياة الدنيا، وكم ممن حرم من الولد فأنفق الملايين من أجل تحصيله. وإن تعجب فعجب صنيع كثير من سفهاء العرب في الجاهلية من قتل البنات خشية العار، ففروا من جريمة الزنا ووقعوا في أشنع منها وهي جريمة القتل، وقتل من؟ قتل البراءة التي لا ذنب لها.⁴

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 140]. أي: لأجل السفه: وهو الطيش والخفة. لا لحجة عقلية ولا شرعية.⁵ وليس هذا فحسب بل من سفههم

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (106/28) ابن جرير، جامع البيان (292/23)

² انظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة (309,308/1) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (268)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (292/23)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (113/8) الشعراوي، تفسير الشعراوي (3963/7)

⁵ انظر: الشوكاني، فتح القدير (190/2)

حرموا على أنفسهم كثيرا من المباحات والنعم التي أنعم الله بها عليهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 140] الآية"¹

ومن سفاهتهم وسطحية عقولهم أنهم يعتقدون أن هذا الولد هو سبب فقرهم، وكأن الأغنياء ليس لهم أولاد. لذلك نهاهم الله عن ذلك وبين لهم أنه هو الذي يرزقهم ويرزق أولادهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151]. وفي ختم الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ "دليل على أن هذه الأمور إذا التزم بها الإنسان فهو عاقل رشيد، وإذا خالفها فهو سفيه ليس بعاقل."²

رابعا: قلة العقل سبب السخرية من الأذان

الأذان من شعائر الدين الظاهرة وفيه من ذكر الله وتعظيمه والدعوة إلى الصلاة ما يدعو إلى العبرة والموعظة. فلا يسخر من ذلك إلا سفيه لا عقل له. وهذا ما ذكره الله سبحانه عن المشركين، فقال: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 58]. أي: بسبب أنهم قوم لا يعقلون، لأنه لا يوجد في الدعوة إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء، والذي جعله كذلك هو سفههم وسخافة عقولهم. لأنهم لو استعملوا عقولهم وتأملوا ما في الصلاة من الأجر وما في تضييعها من الوعيد، وأن الفلاح الحقيقي هو فلاح الآخرة، لما صدر منهم ذلك، ولكنهم قوم لا يعقلون ونظرهم قاصر على الحياة الدنيا.³

ومن ذلك ما جاء في حديث أبي محذورة رضي الله عنه قبل إسلامه، لما سمعوا مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن جعلوا يحاكونه ويستهزئون به، فلما وقف أبو محذورة بين يدي رسول الله وألقى إليه التأذين ليؤذن يقول: "فقمتم، ولا شيء أكره إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا مما يأمرني به." ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة، وأمارها حتى بلغت سرتة، ثم قال رسول الله صلى

¹ رواه البخاري، كتاب المناقب، باب جهل العرب (184/4)

² ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (39/1)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (432/10) ابن عاشور، التحرير والتنوير (242/6) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (118)

الله عليه وسلم: (بارك الله فيك). فذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهية، وعاد ذلك محبة له. بل صار من مؤذنيه.¹

وهذا يدل على أن القضية قضية هوى غيب عقولهم حتى صاروا يتصرفون تصرف السفهاء، وانشغلوا عن التأمل فيما فيه نجاحهم لو كانوا يعقلون، وهذا ما ذكره الله أيضا عن المشركين وسخريتهم من المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [110-109].

المطلب السابع: الظلم

الظلم من أسباب الانحراف ومن موانع الهداية والتوفيق. وكثيرا ما يؤكد الله سبحانه أنه لا يهدي القوم الظالمين، ويذكر سبحانه أن الظلم هو السبب في انحراف البشرية بعدما كانت أمة واحدة على التوحيد والإيمان، وكان السبب أيضا في كفر أهل الكتاب من بني إسرائيل وتفرقهم. وبيان ذلك وتفصيله كالتالي:

أولا: مفهوم الظلم

لغة: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.²

اصطلاحا: مجاوزة الحد، والتعدي عن الحق إلى الباطل فيما يقل ويكثر. وهو ثلاثة أنواع:

ظلم بين الإنسان وبين الله: وأعظمه الشرك والكفر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 254].
وظلم بينه وبين الناس: كالتعدي على حقوقهم وأخذ أموالهم بغير وجه حق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشورى: 42]

¹ رواه أحمد، رقم (15380) وابن ماجه، باب الترجيع في الأذان، رقم (709) ورواه أبو داود مختصرا، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، رقم (500) وصححه الألباني، صحيح أبي داود (411/2)

² انظر: الفيومي، المصباح المنير (386/2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (1341/1) ابن منظور، لسان العرب (373/12)

وظلم بينه وبين نفسه: ويكون بالمعاصي والذنوب, كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: 32]. وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل: 44].¹

وغالبا ما يطلق الظلم على التعدي على الحقوق الذي يكون بين الناس, وذلك أن هذا الظلم -مع أنه انحراف في نفسه- يؤدي إلى أنواع أخرى من الانحراف, فالظالم المعتدي على غيره على سبيل المثال لابد أن يقع في الكذب والزور والتحريف, والظالم أيضا عاص بظلمه فلا بد أن يفتح عليه باب إلى معاص أخرى فالمعصية تنادي أختها. بالإضافة إلى أن الله يعاقبه بخذلانه وحرمانه من التوفيق والهداية.

ثانيا: الله حجب الهداية عن الظالمين

الله سبحانه وتعالى يعاقب الظالمين على ظلمهم بأن يحرمهم من الهداية والتوفيق إلى العمل الصالح, فلا يشرح للحق صدورهم, ولا يحرك للعمل ظهورهم. والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وقد وردت هذه الآية في مواضع كثيرة, وجاءت في مواضع أخرى دون توكيد.² وهي صريحة في أن الظلم من أعظم أسباب منع الهداية. وقوله: ﴿الظَّالِمِينَ﴾ على العموم, فتعم جميع أنواع الظلم. وهذا عقوبة من الله جل وعلا على ظلمهم والعياذ بالله.³

والمقصود بالهداية هنا هداية التوفيق لا هداية البيان والإرشاد, يقول ابن جرير: "لم يعن أنه لا يُبَيِّنُ للظالمين الواجب عليهم من فرائضه. وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه, وقد عمَّ بالبيان جميع المكلفين من خلقه؟ ولكنه عني جلّ وعزّ أنه لا يُؤَفِّقُهُمْ, ولا يشرحُ للحق والإيمان صدورهم".⁴

ويقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27]. والمعنى أن الله يثبت الذين آمنوا في الحياة عند ورود الشبهات عليهم باليقين وعند عروض الشهوات عليهم بالتقوى, ويثبتهم أيضا عند الموت فيختم

¹ انظر: الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن (537) علي بن محمد الجرجاني, التعريفات (147) زكريا بن محمد

السنيني, الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة, دار الفكر المعاصر - بيروت, الطبعة الأولى 1411هـ (73)

² انظر: البقرة 258, آل عمران 86, المائدة 51, الأنعام 144, التوبة 19, التوبة 109, القصص 50, الأحقاف 10, الصف 7, الجمعة 5.

³ انظر: الشوكاني, فتح القدير (5/269) ابن عاشور, التحرير والتنوير (11/35) محمد رشيد رضا, تفسير المنار (12/141)

⁴ ابن جرير, جامع البيان (1/167)

لهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين. أما الظالمون فإنه يضلهم ويحرمهم من الهداية ولا يثبتهم عند ورود الشبهات والشهوات عليهم فينحرفون. وهذا من عاقبة الظلم. وهذا يشمل كل ظالم حتى من ظلم نفسه، وهم في ذلك على درجات متفاوتة.¹

ثالثا: الظلم سبب انحراف البشرية بعدما كانت أمة واحدة على الهدى

الناس بعد آدم عليه السلام كانوا أمة واحدة متفقين على الإيمان والتوحيد ثم لما وقع الظلم من بعضهم لبعض وبغى بعضهم على بعض بسبب تنافسهم على الدنيا وقع الانحراف والاختلاف بينهم، فمنهم من ثبت على الإيمان ومنهم من كفر، فكان سبب انحرافهم ظلُّهم وبغى بعضهم على بعض. يقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: 213].

قال ابن عباس: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلَفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) قال: (وكذلك هي في قراءة عبد الله -يعني ابن مسعود- {كان الناس أمة واحدة فاختلَفوا})²، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: 19]. أي: بأن بقي بعضهم على الحق والإيمان وكفر البعض الآخر.³

ثم بين سبحانه سبب انحراف بعضهم عما كانوا عليه من الهدى ودين الحق في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ فـ (بغيا بينهم) مفعول لأجله لـ (اختلَفوا)، والمعنى أن السبب الذي أدى بهم إلى الاختلاف والانحراف هو البغي والظلم الذي حصل من بعضهم على بعض.⁴

¹ انظر: الشوكاني، فتح القدير (129/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (425)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (275/4)

³ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (95)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (310/2)

وهذا البغي والظلم يتجلى في مظهرين اثنين: الأول: نوازع نفسية بأن بقصد كل فريق منهم تغليب الآخر فيحمل الشريعة على غير محاملها ليفسد ما حملها عليه الآخر، فيفسد كل فريق منهم صواب غيره، وأبعد من ذلك أن يحصل التناصح بينهم أو التواصي بالحق عند الخطأ.¹

الثاني: ما قاله الربيع: "بغيا على الدنيا وطلب ملكها وزخرفها وزينتها، أيهم يكون له الملك والمهابة في الناس، فبغى بعضهم على بعض، وضرب بعضهم رقاب بعض"² فهذا الظلم الذي يحصل منهم من أجل الدنيا يفتح لهم باب الانحراف من الكذب والغش والاعتداء وسفك الدماء حتى يصل بهم إلى الكفر والشرك.

رابعاً: الظلم سبب انحراف أهل الكتاب

ما حصل للناس قبل نوح من الاختلاف والتفرق والانحراف حصل أيضاً مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى. يقول تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: 19]. أي: أن اختلافهم في الدين - بأن ثبت بعضهم على الحق وانحرف البعض الآخر - ناشئ عن بغى بعضهم على بعض وظلم بعضهم لبعض.³

وهذا الاختلاف الحاصل في أهل الكتاب نوعان: أحدهما: اختلاف كل أمة مع الأخرى في صحة دينها، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 113]. فكل أمة تضلل الأخرى وتكفرها. وثانيهما: اختلاف كل أمة منهما فيما بينها وافتراقها فرقا متباينة. فاليهود اختلفوا فيما بينهم والنصارى كذلك.⁴ كما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (افترقت اليهود على

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (310/2)

² ابن جرير، جامع البيان (282/4)

³ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (197/3)

⁴ ابن عاشور، نفس المرجع (197/3)

إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة¹

وهذا هو الواقع أيضا من أمة الإسلام، ومصادقه قوله عليه الصلاة والسلام: (لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى؟ قال: (فمن؟)² يعني: فمن غيرهم؟

حيث افتزقت أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى فرق كثيرة متناحرة فيما بينها، يكفر بعضهم بعضا ويبدع بعضهم بعضا. وأعظم سبب في ذلك هو البغي والظلم الواقع من بعضهم على بعض، فأول الفرق ظهورا هم الخوارج الذين بغوا على المسلمين وفارقوا جماعتهم فكفروهم واستحلوا دماءهم فنشأ عن ذلك شر عظيم على أهل الإسلام حتى يوم الناس هذا.³

ومثلهم الرافضة الذين كفروا الصحابة وجعلوا أي بلد لا تظهر فيه عقائدهم بلاد كفر، ووالوا اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وقتلوهم وشردوهم. ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم، وهم شر من الخوارج.⁴

المطلب الثامن: الجهل

لا شك أن الجهل من أعظم أسباب انحراف المجتمع لذلك تسعى كل الأمم لمحاربته ونشر العلم والمعرفة. والقرآن يبين لنا أن سبب إغراض أكثر الناس عن الحق هو الجهل، وأن سبب كفر جماعة من اليهود هو الجهل أيضا. وهكذا كثير من الانحرافات سببها الجهل ومما قصه الله علينا تطير آل فرعون وثمود.

وتفصيل ذلك وبيانه كالتالي:

¹ رواه أبو داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم (4596) والترمذي، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، رقم (2640) وابن ماجه، باب افتراق الأمم، رقم (3991) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (203) (402/1)

² رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (3456) ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم (2669) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

³ انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (349/3)

⁴ انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (356/3)

أولاً: مفهوم الجهل

لغة: الجهل: ضد العلم، ويأتي بمعنى: الحمق والسفه والطيش.¹

اصطلاحاً: الجهل نوعان: بسيط: وهو عدم الإدراك بالكلية. ومركب: وهو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.²

والمقصود هنا هو بيان أن الجهل سبب من أسباب الانحراف بغض النظر عن إعدار صاحبه أو مؤاخذته. مع أنه في كثير من الأحيان يكون هذا الجهل متقصدا بإعراض صاحبه عن التعلم والاستماع إلى الوعظ والتذكير.

والجاهل يكون فريسة سهلة لشياطين الإنس والجن وما يلقونه من الشبهات ولو كان حسن النية مجتهدا في الخير. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إن الشياطين قالوا لإبليس: يا سيدنا ما لنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد؟ فقال: انطلقوا. فانطلقوا إلى عابد قائم يصلي فقالوا له: إنا نريد أن نسألك. فقال له إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال: لا. فقال: أترونه؟ كفر في ساعة. ثم جاء إلى عالم في حلقة يضاحك أصحابه ويحدثهم، فقال: إنا نريد أن نسألك، فقال: سل، فقال: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ قال: نعم، قال: وكيف؟ قال: يقول لذلك إذا أراد: كن فيكون، قال إبليس: أترون ذلك؟ لا يعدو نفسه، وهذا يفسد علي عالما كثيرا"³

ثانياً: الجهل سبب إعراض أكثر الناس عن الحق

بين الله سبحانه أن سبب انحراف أكثر الناس وإعراضهم عن اتباع الحق هو الجهل، وذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24] . أي: أن

¹ انظر: الفيومي، المصباح المنير (113/1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (980/1) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (490/1)

أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (413/1)

² انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (80) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (74) زكريا بن محمد

السنيني، الحدود الأنينة والتعريفات الدقيقة (68,67)

³ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة الأولى 1994م (1/127)

جهلهم وعدم علمهم بالحق سبب لهم الإعراض الذي نتج عنه الشرك واتخاذ آلهة مع الله لا أساس لها من الصحة.¹ قال البقاعي: "بل هم جهلة والجهل أصل الشر والفساد".² وهذا الذي نلاحظه في الواقع، فالجاهل لا قيمة للعلم عنده فلا تجده يحرص على العلم ولا يسعى لمعرفة ما يجب عليه أو يحرم. بينما من آتاه الله شيئاً من العلم والهدى تجده يحرص على استفادة المزيد من قراءة الكتب أو حضور دروس العلم، لأنه يعرف أهميته وقيّمته.

ويقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 55]. يعني: لا يعلمون أن ذلك حق فمن أجل جهلهم به يكفرون ويكذبون.³

ويخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العلم يقل في آخر الزمان ويكثر الجهل، والمقصود بالعلم؛ العلم بالله واليوم الآخر الذي يورث الخشية ويحجز المرء عن الانحراف، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: 7].⁴ فينتج عن ذلك زوال الخشية من القلوب ومن ثم انتشار الفتن والقتل وفشو الزنا والخمور. عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد)⁵

ثالثاً: الجهل سبب كفر جماعة من اليهود

لقد وصف الله جل وعلا أحبار اليهود بأنهم يعرفون الكتاب ويعرفون صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم،⁶ لكن هناك طائفة منهم جهال لا يعلمون التوراة وما فيها من

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (427/18) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (78/4)

² انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة (406/12)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (104/15) ابن عاشور، التحرير والتنوير (200/11)

⁴ انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (11313/18) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (166/6)

⁵ رواه البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، رقم (81) ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور

الجهل، رقم (2671) وانظر: ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة - بيروت 1379 (179/1) النووي، المنهاج شرح صحيح

مسلم بن الحجاج (221/16)

⁶ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (72)

صفات النبي صلى الله عليه وسلم إلا أكاذيب وظنون فاسدة تلقوها من أحبار السوء، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 78] . يعني: أنهم يجهلون القراءة والكتابة، ولا يعلمون التوراة وما فيها من صفات نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما عندهم من ذلك إلا أكاذيب وظنون فاسدة.¹ قال مجاهد: "أناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب، أمانى يتمنونها"²

وقوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يعني: إلا يشكون، ولا يعلمون حقيقته وصحته، فهم يسمعون من رؤسائهم وأحبارهم أشياء يحسبونها من كتاب الله وهم غير متيقنين منها، فآفتهم الجهل.³ يقول الشعراوي: "وهؤلاء ربما لو كانوا يعلمون ما في التوراة من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم لآمنوا به"⁴

وهذا الذي حصل مع بعض رجالات قريش أيضا، كانوا يقلدون كبراءهم ولا يعرفون عن الإسلام شيئا، فلما صار الأمر إليهم وعرفوا الإسلام آمنوا. ومنهم عمرو بن العاص حيث يقول عندما سأله رجل عن تأخر إسلامه: "إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدّم، وكانوا ممّن يوازي خلّوبهم⁵ الجبال فلما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم فأنكروا عليه، فلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حقّ بيّن، فوقع في قلبي الإسلام"⁶

رابعاً: الجهل سبب تطير آل فرعون وثمود

¹ انظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر (12)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (311/1)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (266,265/2)

⁴ الشعراوي، تفسير الشعراوي (414/1)

⁵ الخلّوب: كثير الخداع، أي: أنهم أذكاء جدا لا يمكن خداعهم. انظر: الفيومي، المصباح المنير (176/1)

⁶ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ (538/4)

التطير مأخوذ من الطير، لأن العرب يتشاءمون أو يتفألون بالطيور إذا ذهب يميناً أو شمالاً عند زجرها، وهو يعم التشاؤم بكل مرئي أو مسموع، وهو مناف للتوحيد والتوكل على الله، ولا يصدر إلا من جاهل بالله وسننه في كونه.¹

وقد ذكره الله سبحانه من جملة انحرافات قوم فرعون، وذكر أن سببه الجهل، قال تعالى في الإخبار عنهم في تصرفهم مع موسى ومن معه: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]. فقد ابتلى الله سبحانه فرعون وقومه بالقحط والجذب، ونقص ثمارهم وغلاتهم، من أجل أن يتذكروا وينزجروا ويتوبوا إلى الله، لكنهم لجهلهم بحكمة الله وأن ما يصيبهم إنما هو بقضاء الله وقدره، كانوا إذا جاءهم الخصب والرزق قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإذا جاءهم جذب وقحط تشاءموا، وقالوا: هذا بسبب موسى ومن معه. فما دخل موسى ومن معه بما يحصل؟ لكنه الجهل الذي يفعل بصاحبه ما لا يفعله العدو بعدوه.² قال ابن جرير: "فلجهلهم بذلك كانوا يطيطرون بموسى ومن معه"³

وهذا ما حصل أيضاً مع قوم صالح عليه السلام، فكانوا إذا أصاب أحدا منهم سوء تشاءموا بنبي الله صالح عليه السلام والمؤمنين معه و﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ [النمل: 47]، وما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيراً. فكان صالح عليه السلام يبين لهم أنه لا دخل لهم بما يحصل لهم، وإنما هو من عند الله بقضائه وقدره، اختباراً لهم وامتحاناً، قال تعالى: ﴿قَالَ طَّيَّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47]، أي: تُختَبَرُونَ بالسراء والضراء والخير والشر.⁴

¹ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (528) حافظ حكيم، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى 1990 م (990/3)

² انظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر (166,165)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (48/13)

⁴ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (198/6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (606) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (381)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الطيرة لا تأثير لها، وأن المسلم ينبغي أن يكون متفائلاً وأن يقول الكلمة الطيبة التي تدخل السرور على النفس وتبعث على النشاط والعمل، فقال عليه الصلاة والسلام: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة)¹

المطلب التاسع: الغلو

الغلو من أسباب الانحراف لذلك جاء التحذير منه في الكتاب والسنة، وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن انحراف الأمم قبلنا كان بسبب الغلو في دينهم. ومن مظاهره الغلو في الصالحين والتعلق بهم والتعصب لأقوالهم، وقد يصل إلى دعائهم من دون الله. والغلو في تكفير الناس وإخراجهم من ملة الإسلام.

وبيان ذلك كالتالي:

أولاً: مفهوم الغلو

لغة: التشدد والتصلب والإفراط ومجاوزة الحد.²

اصطلاحاً: مجاوزة الحد المعترف شرعاً أو عقلاً أو عرفاً، سلباً أو إيجاباً.³

من أهم مميزات شريعة الإسلام الوسطية والسماحة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] أي وسط بين الإفراط والتفريط. قال ابن جرير: "فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به. ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"⁴

¹ رواه البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، رقم (5756) ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، رقم (2224) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

² انظر: الفيومي، المصباح المنير (452/2)، معاصرة (1638/2) التعرقات الفقهية (158)

³ التحرير والتنوير (290/6) القول المفيد (419/1) الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف (8)

⁴ ابن جرير (627/2)

فالغلو في الدين من أعظم أسباب الانحراف. ومن مظاهره الغلو في الصالحين وإطراؤهم ورفعهم فوق منزلتهم، كما حصل مع قوم نوح وقوم عيسى عليهم السلام. أو الغلو في تكفير الناس وتبديعهم والقدح فيهم وبخسهم حقهم، وإنزالهم تحت منزلتهم. وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ومن مظاهره التشدد في العبادة وتحميل النفس فوق طاقتها، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا)¹ والمعنى: أن أي أحد يغلو ويتشدد في الأمور الدينية ويترك السماحة والترفق فإنه ينقطع. والسداد: هو التوسط من غير إفراط ولا تفريط، والمقاربة: إذا لم يستطع بلوغ الكمال فيعمل بما يقارب منه. ومع ذلك ييشر بالثواب.² قال ابن حجر: "والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره"³ لذلك جاء النهي والتحذير من الغلو في الكتاب والسنة.

ثانيا: النهي والتحذير من الغلو

نهى الله سبحانه عن الغلو وحذر منه، وحذر كذلك من أهله، وبين أنه سبب للضلال والإضلال. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77] وأهل الأهواء المقصود بهم الغلاة من أحبارهم ورهبانهم الذين أساءوا فهم الشريعة وغلوا فيها.⁴

وكان غلو النصارى في إطراء المسيح عليه السلام ورفعهم فوق منزلته حتى وقعوا في الشرك والعياذ بالله وادعوا أنه الله أو ابن الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. كما قال تعالى في الإخبار عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْنَصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30] أو الغلو والمبالغة والتنطع في التعبد والتشديد على النفس حتى وقعوا فيما وقعوا فيه من الابتداع والرهبانية التي ما أنزل الله بها من سلطان وتحريم ما أحل الله.

¹ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، رقم (39) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² انظر: ابن حجر، فتح البراي (95-94/1)

³ ابن حجر، فتح البراي (95/1)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (290/6)

وكان غلو اليهود على النقيض من ذلك حتى وصل بهم الغلو إلى تكذيبه والطعن فيه وحاوله قتله وقذف أمه وغير ذلك من البهتان العظيم، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: 156-157] الآيات.¹

فالغلو من أعظم أسباب الانحراف والهلاك، لذلك حذر الله سبحانه منه ونبيه عليه السلام. وبين عليه الصلاة والسلام أن الغلو هو سبب هلاك الأمم قبلنا، فقال عليه الصلاة والسلام ناصحا ومحذرا، بأبي هو وأمي: (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)²

ومظاهر الغلو كثيرة، سواء برفع الناس فوق منزلتهم وجاوزه الحد في مدحهم وإطرائهم، أو الغلو في القدح فيهم وإنزالهم دون منزلتهم. ومن أخطرها الغلو في أهل العلم والصلاح والديانة، إلى درجة تقديسهم وتأليههم وجعلهم وسطاء يُدعون من دون الله، أو الغلو في تقليدهم والتعصب لأرائهم إلى درجة اتخاذهم أربابا من دون الله يحلون الحرام ويحرمون الحلال. وفي الجهة المقابلة الغلو في الحكم على الناس وإساءة الظن بهم إلى درجة تكفيرهم واستحلال دمائهم وأعراضهم.

عليك بأوساط الأمور فإنها طريق إلى نهج الصواب قويم

ولا تك فيها مفرطا أو مفرطا كلا طريقي قصد الأمور ذميم³

ثالثا: الغلو في الصالحين

احترام الصالحين وتقديرهم أمر مطلوب، لكن المحذور هو الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم. لأن ذلك يؤدي إلى التعلق بهم والتعصب لأرائهم، وربما وصل إلى درجة تأليههم ودعائهم من دون الله. كما حصل مع قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23] قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (585/8)

² رواه أحمد، رقم (1851) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (١٢٨٣) (278/3)

³ انظر: عبد القدر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، مكتبة الخانجي-القاهرة، الطبعة الرابعة 1997م (123 /2)

التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عبت¹ أي: أنهم لما اتخذوها أول مرة، كان ذلك للذكرى والتنشيط على العبادة، فلما مات ذلك الجيل وجاء جيل آخر لا يدري المقصود منها، تعلق بها وأفرط في حبها وغلا فيها حتى عبدها من دون الله.²

وهذا ما حصل أيضا مع قوم عيسى عليه السلام، غلا فيه النصارى وفي أمه حتى اتخذوها إلهين يدعونهما من دون الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116] الآيات. لذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو فيه، حتى لا يحصل لنا كما حصل مع النصارى. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله).³

ومن مظاهر الغلو في الصالحين تقليدهم والأخذ بأقوالهم واعتقاد صحتها حتى ولو كانت مخالفة لشرع الله. وهذا ما حصل أيضا مع أهل الكتاب كما قص الله عنهم في كتابه، قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31] يقول النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الآية: (أما إثمهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه)⁴ وما حصل في التاريخ الإسلامي من التعصب للمذاهب الفقهية أو العقديّة وما نتج عنه من المفاسد معروف مشهور.

رابعاً: الغلو في التكفير

أجرى الإسلام الحنيف أحكام الناس على الظاهر، فمجرد ما يسلم الإنسان ويقول لا إله إلا الله يحرم دمه وماله وعرضه وحسابه على الله في الآخرة. عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال:

¹ رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، رقم (4920)

² ابن حجر، فتح الباري (669/8)

³ رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم}، رقم (3445)

⁴ رواه الترندي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم (3095) عن عدي بن حاتم وقال: حديث حسن غريب.

وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (3293) (861/7)

يا رسول الله! أرايت إن لقيت رجلا من الكفار. فقاتلني. فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها. ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله. أفأقتله يا رسول الله! بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقتله) قال فقلت: يا رسول الله، إنه قد قطع يدي. ثم قال ذلك بعد أن قطعها. أفأقتله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقتله. فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال)¹ ومعنى (إنه بمنزلك) أي: معصوم الدم محكوم بإسلامه، و(إنك بمنزلته) أي: مباح الدم بالقصاص لورثته، لا أنه بمنزلته في الكفر.²

وقد شدد الإسلام على إطلاق الحكم على الناس بالتكفير وحذر من ذلك، وأمر بالتثبت والستر على الناس إحسان الظن بهم. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما امرئ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما. إن كان كما قال. وإلا رجعت عليه)³ أي: أنه إن كان من نودي وحكم عليه بالكفر كافرا حقا فقد صح وصفه بذلك، وإلا رجع وصف التكفير على الذي أطلق الحكم بالتكفير، فكأنه نادى على نفسه بالكفر لتكفيره المسلم الذي هو مثله.⁴

لذلك جاء التخليط في شأن الخوارج الذين يكفرون المسلمين بأدنى شبهة، وتقبيح فعلهم، والترهيب من سلوك مسلكهم، وبيان وخيم عاقبة أمرهم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله. يا محمد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن يطع الله إن عصيته! أيامني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ إن من ضئضى هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من

¹ رواه البخاري، كتاب المغازي، رقم (4019) ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، رقم (95)

² النووي، رياض الصالحين (152)

³ رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم (6104) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان

حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم (60)

⁴ انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (50/2)

الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)¹ والضئضى: أصل الشيء. ويقتلون أهل الإسلام: لأنهم يكفروهم.²

المطلب العاشر: الغفلة

الانغماس في الدنيا وملذاتها والاهتمام بها وحدها والغفلة عن التأمل في آيات الله الشرعية والكونية والتدبر فيها وعن التفكير في الآخرة وفي مصير الإنسان، من أسباب الانحراف. وقد حذر الله سبحانه عباده من الغفلة وأهلها، وبين أنها من أسباب الغي والانحراف، وأنها من صفات الكفار.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: مفهوم الغفلة

لغة: الغفلة: غَيِّبَ الشيء عن بال الإنسان وسهوه عنه وعدم تذكره له.³

اصطلاحاً: متابعة النفس على ما تشتهي، وقيل: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة، وقد تستعمل في الإهمال والإعراض، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1].⁴

والمقصود هنا الغفلة عن آيات الله الشرعية أو الكونية فلا يتأمل فيها ولا يعتبر بها، والغفلة عن الآخرة فلا يتفكر في مصيره ولا يهتم بنجاته، بل شغله الشاغل هو الدنيا وشهواتها.

والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة أن تهمل مسألة كان يجب ألا تهمل، وألا تغيب عن بالك. أما النسيان فشيء خارج عن إرادة الإنسان واختياره. والغفلة قد تطلق على ما كان بغير قصد، لكن أكثر استعمالها في القرآن الكريم فيما كان عن قصد بإعراض وتشاغل، والمذموم منها ما كان كذلك لأنه مناط التكليف والمؤاخذه. أما الغفلة عن غير قصد فلا مؤاخذه عليها، ويعبر عنها غالباً بالنسيان. لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]. ولم يقل ولا تكن

¹ رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، رقم (7432) ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخواص وصفاتهم، رقم (1064)

² انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (162/7)

³ انظر: الفيومي، المصباح المنير (449/2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (1039)

⁴ انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (162) سعيد بن علي القحطاني، الغفلة: مفهومها وخطرها وعلاماتها وأسبابها وعلاجها، مطبعة سفير - الرياض (7)

من الناسين، لأن النسيان خارج عن إرادة الإنسان ولا يدخل تحت التكليف فلا ينهى عنه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكروها عليه).¹ وقد يعبر عن الغفلة المقصودة بالنسيان، كما في قوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67].²

ثانياً: تحذير الله من الغفلة

العاقل الحريص على نجاته إذا علم أن بين يديه موعداً أمام الله سبحانه للحساب والجزاء فإنه لا يغفل عنه، ويكون دائم الذكر له والعمل من أجله. لذلك حذر الله تعالى من الغفلة فقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]. "أي: لا تكن من الغافلين عن مطلوبات الله بالحدود التي بينها الله عز وجل. لأن الغفلة معناها انشغال البال بغير خالقك، وأنت إن جعلت خالقك في بالك دائماً فإنك لا تغفل عن مطلوباته في الغدو والآصال وفي كل وقت"³

وحذر سبحانه أيضاً من مصاحبة الغافلين المنشغلين بالدنيا عن الآخرة، لأنهم من أسباب الغفلة، وأمر بمصاحبة وملازمة أهل الذكر والإخلاص، والصبر معهم وإن كانوا فقراء، لأنهم يذكرون بالله واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]. لأن الغافل المتبع لهواه لا يدعوك إلا لاتباع الهوى والانشغال بالدنيا عن الآخرة.

ومن تحذير الله سبحانه من الغفلة والتنفير منها وتقبيح أمرها تذكيره تعالى بأن الغافل يعاقبه الله بتشتيت أموره والغفلة عن مصالحه ونسيان حظوظ نفسه. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ

¹ رواه ابن ماجه، أبواب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم (2046) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه. وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم (1830) (375/1)

² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (107/9) الشعراوي، تفسير الشعراوي (9476/15) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (362/2، 342/1) سعيد بن علي القحطاني، الغفلة: مفهومها وخطورها وعلاماتها وأسبابها وعلاجها، مطبعة سفير - الرياض (8)

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي (4553/8)

فُرْطًا» "أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع"¹ كما قال عليه الصلاة والسلام: (من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له)² ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19] . أي: نسوا الله وتركوا حقوقه وغفلوا عن العمل للآخرة، فأنساهم حظوظ أنفسهم ومصالحها، والجزء من جنس العمل.³ قال سفيان: "نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم."⁴

ثالثا: الغفلة من صفات الكفار

وصف الله سبحانه الكفار بالغفلة التامة، وذلك بصيغة الحصر كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] . لأنهم غفلوا عن أعظم ما يجب التفكير فيه، فعفلوا عن التدبر في آيات الله والتأمل فيها، وغفلوا عن التفكير في مصيرهم وآخرتهم وعن العمل لها. فهم وإن كانت لهم قلوب لكنهم لا يتأملون بها ولا يتفكرون في آيات الله، ولهم أعين لكنهم لا ينظرون بها نظر اعتبار، ولهم آذان لكنهم لا يتدبرون بها ما يسمعون من الدلائل والبراهين.⁵

فهم غافلون عن التأمل في آيات الله الكونية رغم تعددها وتنوعها وعظمتها ودقتها وانتظامها، وغافلون عن التدبر في آيات الله الشرعية رغم إحكامها وتفصيلها من لدن حكيم خبير. قال تعالى:

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (154/5) وانظر: ابن جرير، جامع البيان (9/18) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (475)

² رواه أحمد، رقم (21590) والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (2465) وابن ماجه، أبواب الزهد، باب الم

بالدنيا، رقم (4105) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (949)

(633/2)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (300/23) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (77/8)

⁴ الشوكاني، فتح القدير (245/5)

⁵ انظر: الشوكاني، فتح القدير (305/2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (359/9) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (309) ابن

عاشور، التحرير والتنوير (185/9)

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَائِلَتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: 7] .¹

وهم أيضا غافلون عن الآخرة وعن العمل لها، إذ كل همهم منصب على الحياة الدنيا. كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 7] . "قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة."²

بالإضافة إلى غفلتهم عن أنفسهم والتفكير في مآلها والسعي في نجاتها، عقوبة على غفلتهم عن الله ونسيان حقه، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19]

رابعاً: الغفلة سبب الغي والضلال

التأمل في آيات الله الكونية والشرعية والتفكير في الآخرة وفي مصير الإنسان من أعظم أسباب الهداية والاستقامة، والغفلة عن ذلك من أسباب الانحراف. كما بين الله سبحانه ذلك في وصفه لحال المنحرفين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146] . والباء: للسببية، أي: السبب في كفرهم وغيهم هو إعراضهم عن آيات الله الكونية والشرعية وغفلتهم عنها، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. وهذه الغفلة كانت عن قصد، لذلك جاءت بصيغة ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ للدلالة على استمرار غفلتهم وأنها وصف لازم لهم. لأنها لو كانت عن غير

¹ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (251/11) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (358)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (636)

قصد فإنها قد تعزيبهم وقد تفارقهم.¹ قال السعدي: "والسبب في انحرافهم هذا الانحراف.. غفلتهم عما يراد بها [يعني: الآيات] واحتقارهم لها."² هذا في الغفلة عن الآيات.

أما الغفلة عن الآخرة وكونها سببا في الانحراف وعدم الإيمان فقد بينها الله سبحانه في قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]. يعني أن حالهم اليوم في الدنيا هم في غفلة عن هذا الأمر العظيم، لا يتفكرون فيه ولا يعملون له، لأن أكثر ما يلهيهم ويشغلهم هو الدنيا وشهواتها.³

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ ، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾)⁴

المطلب الحادي عشر: الكفر

الإنسان بطبعه - كما وصفه الله خالقه - ظلوم كفار ولا يصلحه ويهذبه إلا الإيمان والعمل الصالح، فإذا كان الإنسان كافرا بالله واليوم الآخر فإنه ييأس من رحمة الله فلا دافع له إلى رحمة الخلق، وما الذي يمنعه من افتراء الكذب على الله؟ وما الذي يدفعه إلى العمل الصالح؟ لذلك يحدثنا القرآن الكريم أن الذين يستأذنون في التخلف عن الجهاد هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وأن الذين يفترون على الله الكذب هم الذين لا يؤمنون بآيات الله، ويخبرنا أنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (115/13) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (302/1) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ (154/2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (107/9)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (302)

³ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (493) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (308)

⁴ رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ}، رقم (4730) ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (2849)

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: مفهوم الكفر

لغة: أصل الكفر: الستر والتغطية, وسمي ضد الإيمان كفراً لأنه تغطية للحق.¹

اصطلاحاً: ضد الإيمان, ويكون بالقول والفعل والاعتقاد, كمن يسب الله أو يسجد للصنم أو يحدد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.²

والكفر كما تقدم قد يكون كفراً أكبر يخرج من الملة, وقد يكون كفراً أصغر دون ذلك لا يصل بصاحبه إلى أن يخرج من دائرة الإسلام, وهو ما ورد تسميته كفراً لكن دلت أدلة أخرى أنه لا يخرج من الملة, كقوله عليه الصلاة والسلام: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)³ والمقصود هنا الكفر الأكبر المخرج من الملة.

لا شك أنه ليس بعد الكفر ذنب, لكن المقصود أن الإنسان إذا كفر بالله واليوم الآخر لم يعد له رادع يردعه عن ارتكاب مختلف الجرائم, فلا يحجزه عن ذلك إلا الرقابة البشرية القاصرة. بل حتى الضمير الكامن في نفسه يخفت شيئاً فشيئاً حتى يفقد الإحساس الروحي, كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [البقرة: 74]

وهذا ما يزيل العجب من ارتكاب بعض المجرمين جرائم غير إنسانية يندى لها الجبين, حتى يقال: أهؤلاء بشر أم وحوش؟! أين إنسانيتهم؟ لقد قست قلوبهم بكفرهم حتى صارت كالحجارة لا إحساس لها بل هي أشد قسوة منها, لأن من الحجارة كما قال تعالى: ﴿لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74].

ثانياً: الكفر بالله واليوم الآخر سبب التخلف عن الجهاد

¹ انظر: الفيومي, المصباح المنير (535/2) أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (191/5) الفيروزآبادي, القاموس المحيط (471/1)

² انظر: ابن تيمية, مجموع الفتاوى (335/12) ابن حزم, الإحكام في أصول الأحكام, دار الآفاق الجديدة - بيروت (49/1)

ابن القيم, الصلاة وأحكام تاركها, مكتبة الثقافة - المدينة المنورة (45) محمد عميم الإحسان البركتي, التعريفات الفقهية (183)

³ رواه البخاري, كتاب الأدب, باب ما ينهى من السباب واللعن, رقم (6044) ومسلم, كتاب الإيمان, باب بيان قول النبي

صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر), رقم (64) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الجهاد في سبيل الله فيه بذل للنفس وتضحية بالحياة التي يكابد الإنسان من أجل الحفاظ عليها، ولا يهون ذلك إلا الإيمان بالله واليوم الآخر. وهو برهان على صدق الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15] .

لذلك أخبر الله سبحانه أن الذين يستأذنون في التخلف عن الجهاد هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿ [التوبة: 44-45] . لأنهم لا يرجون ثواب الله في الآخرة على أعمالهم، ولأنهم يرون أن بذل المال فيه دون فائدة، وأن فيه آلاما وتعرضا للقتل الذي ليس بعده حياة. وأتى بـ(إنما) التي تفيد الحصر لأن هذا الفعل لا يصدر إلا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.¹

أما قتال الكفار والتضحية بأنفسهم الذي يحصل أحيانا، فهو في سبيل مصالح دنيوية مضمونة، وكثير منهم يُخرج مكرها في سبيل لقمة عيشه، وقد يثور بعضهم حمية وعصية تعمي بصائرهم ولا يأبهون بالعواقب، وغير ذلك من الأغراض. أما أن يخرج في سبيل الله يبتغي الأجر الأخروي حتى ولو لم يكن أي فائدة دنيوية في خروجه فهذا لا يحصل إلا لمن آمن بالله واليوم الآخر. لذلك قد يخرج المنافقون والكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان خروجهم إلى غنيمة قريبة سهلة المنال طمعا فيها، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ [التوبة: 42] . أي: لما بعدت عليهم أبوا الخروج، وكان ذلك في غزوة تبوك الواقعة على أطراف الشام.

ثالثا: الكفر سبب افتراء الكذب على الله

افتراء الكذب على الله من أعظم الموبقات، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الأنعام 144، الأعراف 37، يونس 17، الكهف 15.² أي: لا أحد أشد ظلما ولا أعظم جرما ممن

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (159/4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (213، 212/10) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (405/10)

² وبالواو {وَمَنْ أَظْلَمُ} : الأنعام 21 ، 93، هود 18، العنكبوت 68، الصف 7.

اختلق على الله الكذب، فرغم أن له شريكا يدعى من دونه أو أنه جعل وسطاء يرفعون إليه الحاجات كما قاله المشركون، أو ادعى أن له ولدا أو صاحبة كما قالت اليهود والنصارى، أو ادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله، أو أن الله شرع ما لم يشرعه.¹

وآيات الله الشرعية والكونية ناطقة بأن الله أحد لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وما ينبغي له ذلك، وأنه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه دون واسطة. ولا يجرؤ على قول ذلك إلا من كان لا يؤمن بآيات الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 105]. و(إنما) أداة حصر، و(يفتري) فعل مضارع يدل على التجدد. وهذا رد على المشركين حين اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بافتراء الكذب على الله، فبين لهم أن هذا الفعل محصور فيهم لا يفعله إلا الذين لا يؤمنون بآيات الله وأنه صفة لازمة لهم. لأنهم لا يرجون على الصدق ثوابا، ولا يخافون على الكذب عقابا، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب. ومن لا يؤمن بالدلائل الواضحة التي هي آيات صدق وحق لا يسعه إلا الافتراء لترويح تكذيبه.²

وهذا ما حصل مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى حين حرفوا كتبهم، افتروا على الله أعظم الافتراء، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]. وصار الأقباط والرهبان يشرعون لهم من دون الله ما لم يشرعه ويحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال. عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾. قال: (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه)³ ومثلهم الروافض الذين يعتقدون تحريف القرآن وزعموا أن له ظاهرا وباطنا فافتروا على الله الأكاذيب وجعلوا للأئمة الاثني عشر تصرفا في الكون، وخطأوا جبريل

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (296/11) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (245/3) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (287/7)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (302/17) ابن عاشور، التحرير والتنوير (291,290/14)

³ رواه الترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة التوبة، رقم (3095) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (3293) (861/7)

عليه السلام، وكفروا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وقذفوا زوجه المبرأة من فوق سبع سموات.¹

رابعاً: الكفر سبب اليأس من روح الله

اليأس من روح الله والقنوط من رحمته لا يصدر من المؤمن الذي عرف الله وعرف قدرته وحكمته ورحمته، وإنما هو من صفات الكافرين "إذ فيه إما التكذيب بالربوبية، وإما الجهل بصفات الله تعالى"² قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87] . فلكفرهم بالله هم يستبعدون رحمته. لأنه بحسب إيمان العبد بربه وعلمه به يكون رجاءه به وحسن ظنه به.³

واليأس من روح الله أو القنوط من رحمته من كبائر الذنوب كما في الحديث: (الكبائر: الشرك بالله والإيأس من روح الله والقنوط من رحمة الله)⁴ مع ما يفتح على الإنسان من انحرافات أخرى من استبعاد التوبة والإسراف في المعاصي، وربما البطر والأشر الذي يجعل الإنسان عدائياً عديم الرحمة إذ أيس من رحمة الله، كما قال عليه الصلاة والسلام: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء)⁵ فهو قد يأس من هذه الرحمة فلا يرجوها وبالتالي لا شيء يشجعه على رحمة الناس، وهذا ما نشاهده في الكفار. وقد يؤدي هذا القنوط إلى الاكتئاب فيفقد الأمل في الحياة ما يصل به -والعياذ بالله- إلى التفكير في الانتحار، لذلك نجد نسبة المنتحرين بين الملاحدة كبيرة. لكن

¹ انظر: كتاب الشيعة والقرآن، إحسان الهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (274/3)

³ انظر: جامع البيان (232/16) الشوكاني، فتح القدير (59/3) التحرير والتنوير (49/13) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (404)

⁴ رواه الطبراني، المعجم الكبير، رقم (8783) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2051) (79/5)

⁵ رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم (4941) والترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم (1924) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (925) (594/2)

المؤمن لا يفعل ذلك، لأنه يعلم أن له ربا يساعد عباده، وما دام المؤمن قد أخذ بالأسباب، فسبحانه يهبه مما فوق الأسباب.¹

ويصف الله سبحانه الكفار أيضا في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: 23]. لأنهم ليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك أقدموا على ما أقدموا عليه من الشرك والمعاصي، فليس في قلوبهم ما يطعمهم في رحمة الله فلم يعملوا ما يحصلون به هذه الرحمة في الآخرة. فهم في الدنيا قد يئسوا من رحمة الله ولم يطمعوا فيها لأنهم لم يصدقوا ما أخبرت به الرسل فأدى بهم ذلك إلى اليأس من رحمته في الآخرة وهي الجنة. فاليأس حاصل في الدنيا والآخرة، هما قولان لأهل التفسير لكن لا منافاة بينهما.²

المطلب الثاني عشر: مرض القلب وقسوته

القلب هو قائد الأركان في الإنسان فإذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، وقد بين القرآن الكريم أن الذي منع الأمم قبلنا من التوبة رغم ما أصابها من البأساء والضراء هو قسوة قلوبهم. وأن الشيطان يجد منفذا إلى القلب القاسي المريض فيؤثر عليه. وأن الطاعات تثقل على صاحب القلب المريض مثل ما يحصل للذين في قلوبهم مرض من الهلع عند نزول آيات القتال.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولا: مفهوم القلب ومرضه وقسوته

لغة: المرض: كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة.³

والقسوة: الصلابة والاشتداد والغلظ.⁴

والقلب: تحويل الشيء من جهة إلى جهة، وخالص الشيء، والقلب من الفؤاد معروف ويطلق على العقل، وسمي كذلك لأنه أخلص شيء في الإنسان.¹

¹ انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (7055/11)

² انظر: الشوكاني، فتح القدير (229/4) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (124/2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (629)

³ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (311/5) الفيومي، المصباح المنير (568/2)

⁴ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (85/5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (1324/1) الفيومي، المصباح المنير (503/2)

اصطلاحاً: هو الفؤاد وقيل: أخص منه. وهو محل الانفعال والقبول والرفض، والعقل محل إدراك الشيء وتصوره.²

ومرضه: يكون بالشبهات والشهوات. في الشبهات بالشك والنفاق، وفي الشهوات بميله للفاحشة والزنا.³ وقسوته: تصلبه وغلظه بحيث لا تنفع فيه الموعظة ولا يدخله الهدى.⁴

وقسوة القلب ناتجة عن الغفلة وتراكم الذنوب. أما الغفلة فكما حصل مع أهل الكتاب قبلنا حيث طال عليهم الزمن واستحكمت عليهم الغفلة فقسى قلوبهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: 16]. قال السعدي: "فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتنطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين"⁵

أما الذنوب وتأثيرها على القلوب فقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه،⁶ وإن زاد زادت، حتى يعلو قلبه، فذاك الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾)⁷

¹ انظر: أحمد بن فارس، معاني اللغة (17/5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (127/1) الفيومي، المصباح المنير (512/2)

² انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (178) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (176) ديبان الديان،

موسوعة أحكام الطهارة، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الثانية 2005 م (89/9)

³ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (290/5)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (233/2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (55)

⁵ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (840)

⁶ صقل قلبه: أي: نظف ومحى أثر الذنب. انظر: الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 1. دار الفكر، بيروت

— لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ (1622/4)

⁷ رواه أحمد، رقم (7951) والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، رقم (3334) وابن ماجه، أبواب

الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم (4244) وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب

(271/2)

والقلب إذا قسا وفسد فإن سائر الجسد يتأثر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)¹

ثانيا: قسوة القلب تحجز العبد عن التوبة

القلب إذا قسا فإنه لا تنفع فيه المواعظ والزواجر. وهذا ما حصل مع الأمم قبلنا على ما قصه ربنا سبحانه، حيث ابتلاهم الله بأنواع الابتلاءات من ضيق المعيشة ومختلف الأمراض من أجل أن يتذكروا ربهم ويحسوا بضعفهم فيخبتوا ويتضرعوا إليه ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم. لكن قسوة قلوبهم حالت دون ذلك، فصارت لا تؤثر فيها موعظة ولا تزجرها مصيبة ولا يدخلها إيمان. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 42-43]. فإله سبحانه أرسل إليهم رسلا يدعوهم إلى الله تعالى، فكذبوهم، فابتلاهم في أموالهم بشدة الفقر وضيق المعيشة، وابتلاهم في أجسامهم بالأمراض والآلام. رجاء أن يتذللوا لربهم، ويخضعوا له وحده بالعبادة لكن قسوة قلوبهم تمنعهم من ذلك.²

ومن ذلك ما حصل مع قوم فرعون، فقد أخذهم الله بأنواع المصائب والابتلاءات فلم تؤثر فيهم شيئا، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]. فابتلاهم الله سبحانه وأرسل عليهم سيلا جارفاً أغرق الزروع والثمار، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا الكرب ويوقف هذا الطوفان، نؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. ثم أرسل عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم، كذلك لم يؤمنوا ولم يوفوا بعهدهم. ثم أرسل عليهم القمل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات، فلم يؤمنوا. ثم أرسل عليهم الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، كذلك لم تحرك فيهم شيئا. ثم أرسل عليهم أيضاً الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دماً، ولم يجدوا ماء صالحاً للشرب، فلم تلن قلوبهم ولم تتأثر. وهذا معنى قوله

¹ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبأ لدينه، رقم (52) ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (1599) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

² انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (3615/6) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (132)

تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فهي متحجرة لا إحساس فيها، إذ لم تنفع فيها كل هذه الآيات.¹

ثالثاً: قسوة القلب ومرضه منفذ لتأثير الشيطان

الشيطان عدو ابن آدم الأكبر، وقد توعد بإضلاله وإغوائه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. والله سبحانه قد عصم المؤمنين المخلصين منه، فوساوسه ونزغاته لا تؤثر إلا على الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 53]. ففتنة الشيطان وما يلقيه من الوسوس والشبهات لصرف الناس عن الهدى² تؤثر في طائفتين من الناس، الطائفة الأولى: ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالشبهات أو الشهوات، فتؤثر فيهم أدنى شبهة تطرأ عليهم، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار فتنة لهم.

الطائفة الثانية: ﴿الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، فيسهل حينئذ التأثير فيها لأنها خاوية، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا³

أما الطائفة الثالثة وهو الذين أوتوا العلم فأولئك رسخ الإيمان في قلوبهم حيث يعلمون أنه الحق من ربه لا شبهة فيه، فلا تؤثر فيهم وساوس الشيطان ولا شبهاته، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 54].

وكذلك فتنة الشهوات فإن الشيطان يصطاد بها مرضى القلوب كما في الحديث: (المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان)¹ أي: زينها في نظر الرجال، وقيل: نظر إليها ليغويها ويغوي بها.²

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (365، 364/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (301) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (166)

² انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (284/5-290) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (388)

³ انظر: ابن القيم، الداء والدواء (361) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (542)

ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32] . قال السعدي: "أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تُمِيلُهُ ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض. بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعو إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه."³

رابعاً: مرض القلب سبب الضعف عن الجهاد

الجهاد في سبيل الله يحتاج إلى قوة إيمان و يقين بالله لأن فيه بذلاً للنفس والمال، وهذا ما لا يقدر عليه ضعاف الإيمان والذين في قلوبهم مرض، أي: شك ونفاق، فتراهم يتضايقون من آيات الجهاد كما أخبر الله عنهم: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: 20] . يعني: نظر الذي غشي عليه وصرع خوفاً من الموت، وذلك لما يحصل لهم من الخوف والهلع عندما تأمرهم بالجهاد مع المسلمين.⁴

وعند اشتداد الحرب ينكصون على أعقابهم ويغلب الشك لإيمانهم، كما أخبر الله تعالى عنهم في غزوة الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12] . أي: باطلاً.⁵ يقول ابن كثير: "أما المنافق، فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسيكة،⁶ ضعف حاله فتتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه، لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال"⁷

¹ رواه الترمذي، أبواب الرضاع، رقم (1173) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2688) (424/6)

² انظر: محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت (283/4)

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (663)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (175/22) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (509)

⁵ انظر: جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين (551)

⁶ حسيكة: حقد وضغينة. انظر: ابن مظور، لسان العرب (411/10)

⁷ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (388/6)

بل فوق هذا تجدهم يسارعون إلى موالاة الكفار, كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: 52] . أي: ظفر وغلبة للمشركين,
فيدورون علينا. فيكونون بذلك قد ضمنوا ودا منهم, وهذا لضعف إيمانهم وسوء ظنهم برهم.¹

¹ انظر: ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (132/3) السعدي, تيسير الكريم الرحمن (135)

المبحث الثاني: أسباب الانحراف الخارجية

الإنسان بطبعه يتأثر ولا يثبت على حال، فهو مخلوق أجوف لا يتمالك. كما جاء في حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما صور الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام تركه، فجعل إبليس يطوف به ينظر إليه، فلما رآه أجوف، قال: ظفرت به خلق لا يتمالك)¹ وأجوف معناه: خال من الداخل، والخالي من الداخل يقبل أن يشغل ويملاً، والأجوف ضعيف الصبر لا يتقوى بعضه ببعض فلا يثبت ثبوت ما ليس بأجوف، ومن حيث إنه مفتقر إلى الغذاء فإنه لا يصبر عنه. لذلك استنتج الشيطان بأنه خلق لا يتمالك، يعني: لا يملك نفسه ويجبسها عن الشهوات والمؤثرات، ولا يملك دفع الوسواس عنه.²

ووصفه سبحانه وتعالى أيضاً بأنه مخلوق ضعيف لا يثبت أمام المغريات ولا يصبر عن الشهوات. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]. فهو مخلوق ضعيف، ومن جميع الوجوه. ضعيف البنية، ضعيف العزيمة، ضعيف الصبر، ضعيف الإيمان.. لذلك ناسب أن يخفف الله عنه. وكثير من المفسرين يحمل الآية بدلالة السياق على أنه ضعيف في جانب النساء لا يصبر عليهن، لكن اللفظ أعم من ذلك، وهو الواقع أيضاً.³ ووصفه سبحانه أيضاً بأنه يتأثر عند المكروه والمصيبة وعند الخير والنعمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: 19-21]. فالإنسان يتأثر بعوامل خارجية كثيرة، تضله وتكون سبباً في انحرافه. أشار إليها القرآن الكريم وبينها في حديثه عن المنحرفين.

وقد فتح الله لي في استخراج ستة أسباب وعوامل، وهي: الشيطان وأساليبه في إغواء بني آدم، والدنيا وزينتها، والمصائب، والتقليد الأعمى، والصحبة السيئة، ودعاة الضلال.

وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

¹ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، رقم (2611)

² انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (164/16) الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، إشراف: علوي بن

عبد القادر السقاف www.dorar.net

³ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (188/1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (175)

المطلب الأول: الشيطان

الشيطان الرجيم عدو الإنسان الأكبر, قطع على نفسه عهداً بأنه سيبدل كل ما يستطيع في سبيل إغواء ابن آدم. وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يسلطه على ابن آدم اختباراً وابتلاءً, كما أعطاه قدرات يتمكن من خلالها في التأثير عليه. غير أن هذه القدرات مجرد وسوسة وتخيل وتزيين, إذ لا يمكنه إجبار أحد على شيء, وليس له أي برهان أو آية على صدقه. فلا ينخدع به إلا المغفلون.

وتفصيل كالتالي:

أولاً: مفهوم الشيطان

لغة: الشيطان: من شطن إذا بعد عن الحق أو عن رحمة الله, وكل عات متمرّد من الجن والإنس والدواب يقال له شيطان, وقيل: هو من شاط يشيط إذا بطل أو احترق.¹

اصطلاحاً: هو اسم لكل عارم متمرّد من الجن أو الإنس أو الحيوان.² كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112]. وفي الحديث: (الكلب الأسود شيطان)³

والشيطان يطلق على إبليس علماً له بالغلبة, فإذا قيل: "الشيطان" فإن الذهن لا يكاد ينصرف إلا إلى إبليس. فغالب استعماله على إبليس وذريته, أما غيره فيطلق مضافاً كقولك: شياطين الإنس مثلاً, أو يفهم من السياق.⁴

والمقصود في هذا المبحث هو إبليس وذريته, وكونهم من أعظم أسباب انحراف ابن آدم. لشدة عداوتهم له واجتهادهم في إغوائه وإضلاله.

¹ انظر: الفيومي, المصباح المنير (313/1) أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (184/3) (235/3) الفيروزآبادي, القاموس المحيط (1209) ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (115/1)

² انظر: محمد عميم الإحسان البركتي, التعريفات الفقهية (125)

³ رواه مسلم, كتاب الصلاة, باب قدر ما يستر المصلي, رقم (510) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

⁴ انظر: أحمد بن محمد الحفاجي, حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي, دار صادر - بيروت (81/3) أبو حيان الأندلسي,

البحر المحيط في التفسير, دار الفكر - بيروت 1420هـ (441/3) محمد سيد طنطاوي, التفسير الوسيط للقرآن الكريم (344/2)

ثانيا: عداوة الشيطان لبني آدم

بدأت عداوة إبليس لآدم منذ خلقه الله، فعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما صور الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام تركه، فجعل إبليس يطوف به ينظر إليه، فلما رآه أجوف، قال: ظفرت به خلق لا يتمالك)¹ ومعنى لا يتمالك: لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وعند الغضب، ولا يملك دفع الوسواس عنه.² وهذا يدل على أن طبع إبليس طبع خبيث حتى قبل أن يؤمر بالسجود لآدم.

فلما نفخ الله في آدم من روحه وأسجد له ملائكته أظهر الخبيث حسده لآدم وعداوته له، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يٰٓآدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: 117]. فلم يزل بهما حتى أوقعهما في المعصية، وأهبطوا جميعا إلى الأرض. ثم أعلن الخبيث عداوته لجميع بني آدم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62]. أي: لأستولين عليهم ولأضلنهم.³

وقال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: 36]. قال ابن جرير: "أما عداوة إبليس لآدم وذريته فلحسده إياه واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: 76]. وأما عداوة آدم وذريته إبليس، فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره"⁴ وقد جاء التصريح بهذه العداوة البينة بين الشيطان والإنسان في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: 5]. وقال: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ البقرة 168 208 الأنعام 142 الأعراف 22 يس 60 الزخرف 62.

ومن المعلوم أن العدو يجد ويجتهد في الإضرار بعدوه وإيصال الشر والأذى إليه بكل طريق، وبذل الوسع في إضلاله والإيقاع به، وحرمانه من الخير بشتى الوسائل. لذلك حذرنا الله منه وأمرنا

¹ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقا لا يتمالك، رقم (2611)

² انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (164/16)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (489/17)

⁴ ابن جرير، جامع البيان (537/1)

باتخاذهم عدواً وأخذ الأهبة والاستعداد له. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6].¹

ثالثاً: تأثير الشيطان على ابن آدم

من حكمة الله سبحانه أن سلط الشيطان الرحيم على الإنسان ابتلاءً واختباراً، ليتبين المتقي المطيع لله من العاصي المنحرف.² وقد مكن الله سبحانه هذا الشيطان وأعطاه قدرات يستطيع من خلالها التأثير في ابن آدم، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64]. قال ابن كثير: "ومعناه: تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه. وهذا أمر قدري"³

ومما مكنه الله سبحانه عليه: الوسوسة، وهي خواطر يلقيها الشيطان في أنفس الناس، ونحن وإن كنا لا ندرك حقيقتها وكيفيتها لكننا نجد آثارها في النفس.⁴ قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: 20]. وقال: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: 5]. ولكل إنسان قرين من الجن لا يفارقه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة)⁵ ويستطيع النفوذ في ابن آدم ويجري فيه مجرى الدم، كما قال عليه والسلام: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)⁶ ولا يمكن للإنسان أن يراه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27].

¹ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (49) سيد قطب، في ظلال القرآن (2926/5)

² انظر: عمر بن سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الرابعة 1984 م (169) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة - بيروت 1978 م (236)

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (94/5)

⁴ انظر: الفيومي، المصباح المنير (658/2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (633/30) سيد قطب، في ظلال القرآن (4011/6) عمر سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين (88)

⁵ رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، رقم (2814) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

⁶ رواه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم (2038) ومسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً، رقم (2174) من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها.

وقد يزين للإنسان الصور القبيحة مما حرم الله ويقبح في عينه الصور الجميلة مما أباح الله، كما في الحديث: (المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان)¹ أي: زينها في نظر الرجال.² وهذا أمر مشاهد ومحسوس فتجد الرجل يزهّد في زوجه الحلال وهي من أجمل النساء وتراه يفتن ويسيل لعابه فيمن هي دونها في الجمال. كما أنه يتلاعب به في منامه ويريه ما يزعجه، فعن جابر قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فندحرج فاشتدّت على أثره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي: (لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك)³

وهذا غاية ما يؤثر به الشيطان على الإنسان أن يوسوس له بالسوء أو يزين له الباطل أو يسوغ له الانحراف، أما أن يجبره على الفعل فهذا ما لا طاقة له به. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: 22]. والسلطان معناه: الغلبة والقهر، أي: لم أكن مجبراً لكم على اتباعي فيما أمرتكم.⁴ وقيل: الحجة والبرهان، أي: ما كان لي من حجة ولا برهان أقنعكم فيما دعوتكم إليه.⁵

رابعاً: تنوع أساليب الشيطان في إغواء بني آدم

الشيطان يبذل كل وسعه في إغواء بني آدم ويقف له بكل طريق ولا يفوت أي فرصة، قد درس نقاط ضعف عدوه دراسة دقيقة. إذا ناسب التخويف خوف، كحال الفقر والمرض. وإذا ناسب الوعد والتمنية وطول الأمل وعد ومنى وأمل، كحال الصحة والرخاء. ينزغ بين النفوس ويوقع بينها العداوة والبغضاء، ويزين العمل السيئ ويثبط عن العمل الصالح. قد قعد لابن آدم بكل طريق كما

¹ رواه الترمذي، أبواب الرضاع، رقم (1173) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال: حديث حسن صحيح. و صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2688) (424/6)

² انظر: محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (283/4)

³ رواه مسلم، كتاب الرؤيا، باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام، رقم (2268)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (219/13) محمد الأمين بن عبد الله الهري، تفسير حقائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن، دار طوق النجاة-بيروت، الطبعة الأولى 2001 م (373/14)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (561/16) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (489/4)

قال عليه الصلاة والسلام: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه)¹ ويقول الله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۖ﴾ [الأعراف: 16-17] .

ويقول تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64] . فالله سبحانه أذن له كونا وقدرا وشاء أن يستعمل كل ما أوتي في سبيل إغواء بني آدم. من الصوت، سواء وسوسته أو كل صوت داع إلى المعصية يستعين به. ومن جنوده من شياطين الجن والإنس من كل ركب وراجل. وبمشاركته في المال والأولاد، ويدخل في ذلك كل معصية فيها كسب حرام ومنع للحقوق وتزيين للفاحشة أو ترك لتربية الأولاد والأهل على الصلاح.²

ومن الأساليب المذكورة في القرآن الكريم: التخويف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ﴾ [آل عمران: 175] . والوعد والتمنية، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: 120] . وإيقاع العداوة والنزغ بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَادَۃً وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: 91] . ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: 53] . وتزيين العمل السيئ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمُ﴾ [الأنفال: 48] .

وفي المطلب التالي تفصيل هذه الأساليب.

المطلب الثاني: أساليب الشيطان في إغواء بني آدم

الشيطان لا يدخر أي مجهود في سبيل إغواء بني آدم، وقد قطع على نفسه وعدا وأقسم أنه سيحاول ما استطاع لإضلالهم وحرفهم عن الصراط المستقيم، وأنه سيستعمل شتى الوسائل الممكنة في سبيل تحقيق ذلك. وما أخبرنا الله سبحانه من وسائله لنحذرها ونتقيها: التخويف، والوعد والتمنية، والنزغ بين الناس وإيقاع العداوة بينهم، وتزيين العمل السيئ.

¹ رواه أحمد، رقم (15958) والنسائي، كتاب الجهاد، رقم (3134) عن سيرة بن الفاكه المخزومي رضي الله عنه. وصححه

الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2979) (1186/6)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (461) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (288)

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: التخويف

من أساليب الشيطان: تخويف ابن آدم ليقعه في المعصية والانحراف. ومن ذلك: تخويف المؤمنين بأوليائه وأنصاره وحزبه ليشبطهم عن الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ [آل عمران: 175]. يعني: يخوفكم أنصاره وجنوده من المشركين، قال مجاهد: "يخوف المؤمنين بالكفار"¹ وذلك ليرهبهم المؤمنون ويجنبوا عن مواجهتهم. ومن ذلك ما حصل في غزوة أحد لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وسمع أن أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه ودعاهم إلى الخروج لقتالهم، فخرجوا على ما بهم من الجراح استجابة لله ولرسوله، فلما وصلوا إلى حمراء الأسد جاءهم بعض الناس وقال لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: 173]، تخويفاً لهم وترهيباً. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ أي: إن ترهيب من رهب من المشركين، وقال: إنهم جمعوا لكم، داع من دعاة الشيطان.²

ومن ذلك: التخويف بالفقر والمستقبل ليشبط المسلم عن النفقة في سبيل الله. وقد جاء التحذير من أسلوبه هذا بعد الحث والتحريض على النفقة، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: 267]، ثم قال بعدها: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: 268]، أي: أنه "يخيل إليكم بوسوسته أن الإنفاق يذهب بالمال ويفضي إلى سوء الحال، فلا بد من إمساكه والحرص عليه استعداداً لما يولده الزمن من الحاجات"³، وفي هذا تحذير منه ومن أساليبه، يعني: إياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتهم، وليس هذا نصحا لكم، بل هذا غاية الغش.⁴

¹ ابن جرير، جامع البيان (416/7)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (169/2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (157) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (غزوة حمراء الأسد 258) خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى 2006 م (342/1)

³ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (62/3)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (115) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (617/1)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فيإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ الآية).¹ واللمة بفتح اللام وتشديد الميم: القرب والإصابة. والمراد بها ما يقع في القلب من الخطرات بواسطة الشيطان أو الملك.²

ثانيا: الوعد والتمنية³

من أساليب الشيطان: أن يغرق الإنسان في الأمانى الباطلة والوعود الزائفة ويغريه بطول الأمل، بخيالات يلقبها في النفس. فيعمل بالمعاصي ويسوف التوبة ويتمنى المغفرة دون أن يأتي بموجباتها، فيستعين الشيطان بذلك على تهمين انتشار الضلالات والانحراف بين الناس.⁴ قال تعالى في الإخبار عنه: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّتُهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: 120]. أي: إلا وعودا زائفة، خداعا وكذبا، فيمنيهم بطول العمر ودوام الصحة والعافية، ويعدهم بالفوز والنجاة ومغفرة الذنوب، ثم يوم القيامة يقول لهم، كما حكى الله عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: 22]. وهو لا يزال كذلك على الدوام يعد ويمني، لذلك جيء بالفعل المضارع.⁵

ومن ذلك أمانى أهل الكتاب بأنه لا يدخل الجنة غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:

¹ رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، رقم (2988) وقال: حديث حسن غريب. وحسنه الألباني. انظر:

أبو الحسن الشيخ، تراجمات الألباني، دار المعارف - الرياض، رقم (21)

² انظر: محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (265/8)

³ مصدر: متى يمّي، أي: جعله يحب الشيء ويرغب في تحقيقه. انظر: أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة

(2131/3)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (205,204/5)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (224/9) ابن كثير (416/2) علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط (105/7) الميسر

(97) الشوكاني، فتح القدير (596/1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (206/5)

[111] . أي: أنها مجرد أُماني باطلة لا دليل عليها ولا برهان حتى في كتبهم, أغراهم الشيطان بها.¹ وهكذا جميع من انتسب إلى أي دين ولو إلى الإسلام دون أن يعمل ويجتهد, ومن لم ينتسب إلى دين أو كتاب من باب أولى. قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝﴾ [النساء: 123-124] . فالإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي, ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.²

ومن ذلك أيضا أُماني المنافقين, حين يطمعون في النجاة ويطلبون من المؤمنين انتظارهم فيضرب بينهم بسور, قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: 14] . ومعنى ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت. ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: خدعتكم الأُماني الباطلة, حيث تمنوا أن ينالوا مثل المؤمنين دون عمل. ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ يعني: الشيطان, فأطعمهم بالنجاة من العذاب والفوز بالجنة. قال قتادة: "كانوا على خدعة من الشيطان, والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار"³

ثالثا: النزغ بين الناس وإيقاع العداوة بينهم.

إذا انتشرت العداوة بين الناس وصاروا إلى الكراهية والبغضاء وساءت علاقاتهم انفتح عليهم باب خطير من الانحرافات من الكذب والغيبة والنميمة والظلم والعدوان والغش وسوء المعاملة. لذلك يحرص الشيطان الرجيم كل الحرص على بث هذه العداوة والنزغ بين الناس؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53] الإسراء 53. أي: يفسد بينهم ويسيء محاورة بعضهم لبعض, فيستغل الكلمات النابية والحركات المريبة فينزغ في النفس ويوسوس بالشر وسوء الظن فيفسد العلاقة.⁴ ومن ذلك ما حصل

¹ انظر: ابن جرير, جامع البيان (508/2) محمد رشيد رضا, تفسير المنار (350/1)

² روي مرفوعا ولا يصح, وثبت موقوفا على الحسن. انظر: الألباني, سلسلة الأحاديث الضعيفة (217/3)

³ ابن جرير, جامع البيان (185/23) ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (18/8) السعدي, تيسير الكريم الرحمن (839)

⁴ انظر: ابن جرير, جامع البيان (469/17) الشعراوي, تفسير الشعراوي (8612/14)

بين يوسف وإخوته، كما قال عليه السلام فيما حكى الله عنه: ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ تَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: 100] . وهذا شيء مشاهد ومعروف. لذلك أرشد سبحانه إلى مراقبة ما يصدر من الإنسان من كلمات وتصرفات وأن يختار الأحسن منها.¹ وفي الحديث: (لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار)² أي: يغري بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه. ولو كان ذلك على سبيل المزاح، كما جاء في رواية: (وإن كان أخاه لأبيه وأمه)³ فالشيطان لا يفوت أي فرصة.⁴

ومن أسلحة الشيطان في إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس: الخمر والميسر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: 91] . "فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء"⁵

رابعاً: تزيين العمل السيئ

ومن أساليب الشيطان: تزيين العمل السيئ وتحسينه، بما يوسوس للإنسان ويخيل إليه أنه حق وصواب. فلا ينفع حينئذ الوعظ ولا التذكير، ولا تأثر الزواجر ولا المصائب، لأن المنحرف يرى نفسه أنه على حق والعياذ بالله، فلا يفكر في التوبة ولا التغيير. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 37] . وهذا من أخطر الأمور على الإنسان، لذلك أكثر الله سبحانه من التنبيه إليه والتحذير منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (131/15) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (460)

² رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، رقم (7072) ومسلم،

كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم (2617) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

³ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم (2616) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁴ انظر: ابن حجر، فتح الباري (25/13)

⁵ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (243)

فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأنعام: 42-43].¹

ومن ذلك ما فعل مع المشركين يوم بدر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 48]. حيث خيل إليهم أنهم الأغلبية الذين على الحق وأنهم المستمسكون بدينهم، وأن عددهم أكثر. قال الحسن: "ألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم، ولن تغلبوا كثرة"² ويذكر أهل السير أنه تبدى لهم في صورة سراقه بن مالك وأنه أجارهم من قومه من أن يؤتوا من ناحيتهم.³

وهو الذي زَيَّنَ لكثير من المشركين قتل أولادهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: 137]. و ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ فاعل مؤخر، قال مجاهد: "شياطينهم، يأمرهم أن يذبحوا أولادهم خيفة العيلة"⁴ فيزين لهم أن يذبحوا أولادهم الذكور خشية الفقر، والإناث خشية العار.⁵

وفي قوم سبأ يقول الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 24]. فهم يرون أنفسهم أنهم على حق، ومن كان كذلك فلا مطمع في هدايته.⁶ وفي قوم عاد وثمود أيضاً يقول: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: 38]. قال ابن جرير: "مستبصرين في ضلالتهم، مُعْجِبِينَ بِهَا، يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال"⁷

المطلب الثالث: الدنيا وزينتها

¹ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (197/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (256) ابن جرير، جامع البيان (357/11)

² ابن جرير، جامع البيان (11/13)

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (73/4) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (186)

⁴ ابن جرير، جامع البيان (136/12)

⁵ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (274) الشعراوي، تفسير الشعراوي (3958/7)

⁶ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (604)

⁷ انظر: ابن جرير، جامع البيان (35/20)

الدنيا بزینتها وزخارفها وملهیاتها وملذاتها تغري الإنسان وتنسیه الآخرة وتشغله عن العمل لها. وهذا ما أخبر الله سبحانه عن الکافرين من أنهم غرقهم الحياة الدنيا حتى صار کل همهم وعملهم لها ومن أجلها. ومن المناذج التي ذكرها الله سبحانه في كتابه: فرعون وملؤه والنمرود وقارون وصاحب الجنيتين. كما أخبر سبحانه أن المترفين من الدنيا هم أعداء الرسل وأنهم أول من یکذب بهم ویصد عن سبیل الله. وتفصیل ذلك کالتالي:

أولاً: مفهوم الدنيا وزینتها

لغة: الدنيا مؤنث الأدنى، وأصله من الدنو وهو القرب، وتطلق على الحياة الحاضرة لقربها.¹

وفي الاصطلاح: ما یقابل الآخرة. كما جاء في عدد من الآيات: ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ﴾ [البقرة: 217]، وقد قرنت معها في ستة عشر موضعاً. والآخرة تبدأ بما بعد الموت كما سیأتي، فیکون ما قبل الموت هو دنیا الإنسان.²

والزينة: في اللغة: الحسن وهو نقيض الشين.³ وفي الاصطلاح: المقصود بها کل ما یُتمتع به في الدنيا من أنواع المتاع من المال والبنون والنساء وغير ذلك. كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ﴾ [آل عمران: 14]. وقال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46].

ومن حکمة الله سبحانه أن جعل هذه الحياة الدنيا دار امتحان واختبار، وجعل الإنسان بطبعه ميالاً إلى الشهوات.⁴ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7]. وفي الحديث عن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على

¹ انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (299/1) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (303/2) ابن منظور، لسان العرب (272/14)

² انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة السادسة 1421 هـ (107/2)

³ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (41/3) الفيومي، المصباح المنير (261/1)

⁴ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (196/3)

من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم).¹ وهذا يدل على أن الدنيا من أعظم أسباب الانحراف التي يجب الحذر منها.

ثانيا: تحذير الله من الاغترار بالدنيا.

بين الله سبحانه حقيقة الحياة الدنيا وشدة فتنتها وسرعة انقضائها وفنائها، وضرب لها مثلا بالأرض عندما تخضر وتزدهر ويعجب الناس بها ثم لا تلبث أن تيبس وتضمحل. قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلًا^ط وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20]. فهذه هي حال الدنيا وحال أهلها معها، هم فيها في لعب وهو غافلون عن الآخرة، يجتهدون في تحصيل زينتها من المآكل والملابس والمراكب والمسكن، كل واحد منهم يفاخر الآخر ويريد أن يكون هو الغالب في أمورها، والأكثر مالا وولدا. لكن سرعان ما تنقضي وتزول عنهم. مثلها مثل الأرض ينزل عليها الغيث فتخضر وتزدهر ويعجب الناس بجمالها ومناظرها الخلابة لكن سرعان ما تصفر ويذهب حسناتها ثم تكون حطاما فتاتا يابسا متهشما كأن لم تغن بالأمس ولم تحي يوما.² لذلك قال بعدها: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ فهذه الجملة مقررة للمثل المتقدم ومؤكدة له، والمعنى: أن الدنيا وشهواتها ما هي إلا متاع زائل سريع الفناء يخدع من تعلق به لأنه سرعان ما ينقضي ويذهب، وفي هذا تنفير منها وتحذير من الاغترار بها.³

وحذرنا الله سبحانه أيضا من الدنيا ومن الاغترار بها وبزينتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: 33]. يعني: حذار أن تخدعكم الحياة الدنيا بزخارفها وشهواتها ومغرياتها ومطالبها فتتشغلوا بها وتتركوا الاستعداد للآخرة.⁴

¹ رواه البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم (3158) ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم (2961)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (841) الميسر (540)

³ انظر: الشوكاني (210/5) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (221/14) محمد الأمين بن عبد الله الهري،

تفسير حدائق الروح والريحان في روائي علوم القرآن (486/28)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (684) ابن جرير، جامع البيان (158/20) محمد الأمين بن عبد الله الهري، تفسير

حدائق الروح والريحان في روائي علوم القرآن (302/22)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)¹ ومعناه: تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وإن كانت النساء من جملة زينتها، لكن خصها بالذكر لخطورتها.²

ثالثا: الدنيا سبب ضلال الكفار

لما كانت الدنيا منتهى أمان الكفار وشغلهم الشاغل ألهمتهم عن الآخرة وعن العمل لها وخدعتهم بزينتها ومتعها، فصار كل همهم وتفكيرهم وعملهم لها ومن أجلها فضلوا وضيعوا حظهم من الآخرة. قال تعالى: ﴿يَمَعُشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: 130]. يعني: خدعتهم بالاهتمام بها والتمتع بشهواتها وحب الرياسة فيها، ورأوا أن اتباع الرسل يحرمهم من ذلك.³ قال ابن جرير: "اكتفى بذكر "الحياة الدنيا" من ذكر المعاني التي غرَّتهم وخدعتهم فيها"⁴

ومن ذلك ما حكاه الله عن فرعون وملأه، حيث آتاهم الله زينة وأموالا في الحياة الدنيا فضلوا عن سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: 88]. والمعنى: أن ما أتوا من زينة الحياة الدنيا ومن الأموال كان سببا في ضلالهم وإضلالهم، وهذه لام (لِيُضِلُّوا) عند أكثر المفسرين: (لام العاقبة) أي: أن عاقبة ونتيجة هذا المال والزينة هو الضلال.⁵

ومثله النمروذ⁶ الذي أطغاه ملكه حتى ادعى الربوبية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: 258]. ومعناه: أن الذي حمله على الكفر والإلحاد والعناد وادعاء الربوبية ومحاجة إبراهيم عليه السلام هو ما آتاه الله من الدنيا، من الملك والجاه والقوة

¹ رواه مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم (2742) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (55/17)

³ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (94/8)

⁴ ابن جرير، جامع البيان (123/12)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (178، 177/15) الشعراوي، تفسير الشعراوي (6167/10)

⁶ هكذا اشتهر اسمه على لسان كثير من المفسرين مع أنه لم يأت به خبر صحيح. انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (1123/2)

والسيطرة، ويذكر أنه ملك الدنيا كلها وأنه مكث أربعمئة سنة في ملكه.¹ وتقدم خبر قارون وما أوتي من الثروة العظيمة وما حصل له من الانحراف، وصاحب الجنتين وإعجابه بثروته واغتراره بها.

رابعاً: المترفون أول من يعادي الرسل

المترفون هم المنعمون في الدنيا أصحاب البذخ والثراء الفاحش الذين قد فُتحت لهم أبواب الدنيا على مصراعيها فانغمسوا في الملذات والشهوات. هؤلاء هم أول من يعادي الرسل حفاظاً على دنياهم وعلى ترفهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: 34].² "لأن الترف من شأنه أن يفسد الفطرة، ويبعث على الغرور والتطاول، ويحول بين الإنسان وبين التمسك بالفضائل والقيم العليا، ويهدي إلى الانغماس في الرذائل والشهوات"³

أما عامة الناس البسطاء الذين لم تفسدهم الدنيا وليس عندهم ما يخسرونه منها فغالباً هم الذين يكونون أتباع الرسل، كما جاء في حديث أبي سفيان لما سأله هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم: أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. قال هرقل: وهم أتباع الرسل.⁴ ومن ذلك ما قاله قوم نوح عليه السلام لنبيهم، قال تعالى في الحكاية عنهم: ﴿وَمَا نَرْنَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ﴾ [هود: 27]. وكما حصل مع قوم صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّنَا صَلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءٍ مُّؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76].

قال سيد قطب: "فهي قصة معادة، وموقف مكرور، على مدار الدهور. وهو الترف يغلظ القلوب، ويفقدها الحساسية ويفسد الفطرة ويغشيها فلا ترى دلائل الهداية فتستكبر على الهدى

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (686/1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (39/3)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (521/6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (212/22) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (432)

³ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (297/11)

⁴ رواه البخاري، بدأ الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم (7) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، رقم (1773)

وتصر على الباطل، ولا تتفتح للنور. والمترفون تخدعهم القيم الزائفة والنعيم الزائل، ويغرمهم ما هم فيه من ثراء وقوة، فيحسبونه مانعهم من عذاب الله، ويخالون أنه آية الرضى عنهم، أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء"¹

المطلب الرابع: المصائب

المصائب التي تصيب الإنسان من الفقر والمرض والخوف وغيرها كثيرا ما تكون سببا في انحرافه إذا لم يمن الله عليه بالثبات والتحلي بالصبر. مثل ما يحصل من بعض الناس إذا أصابه خير ونعمة اطمئن للإسلام وإن أصابته مصيبة من فقر أو حاجة انقلب على وجهه كما أخبر الله سبحانه. ويخبرنا القرآن أيضا أن مصيبة الفقر هي التي كانت سببا في قتل المشركين أولادهم، ومصيبة موت النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هي التي كانت سببا في انقلاب المسلمين على أعقابهم يوم أحد لما أشيع ذلك وكانت أيضا سببا في ارتداد كثير من العرب عن الإسلام لما حصلت حقيقة.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولا: مفهوم المصيبة

لغة: المصيبة: الشدة النازلة وكل مكروه يحل بالإنسان.²

اصطلاحا: تشمل كل ما لا يلائم الطبع من الخوف والجوع والفقر والمرض والموت وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 155].³

ومن سنة الله سبحانه أن يتلي عباده ويختبرهم بأنواع المصائب ليتبين المؤمن الثابت الصادق من المنحرف الكاذب، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن (2910/5)

² انظر: الفيومي، المصباح المنير (349/1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (527/1)

³ انظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (217) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (209) ابن جرير، جامع البيان (220/3)

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [العنكبوت: 1-3] .

ولا شك أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة من فقر أو مرض أو خوف إذا لم يتحل بالصبر والثبات والتحمل فإن ذلك يؤدي به إلى الانحراف. وكثير من جرائم السرقة والغش والنصب والاحتيال سببها الفقر والحرمان، ومثلها الزنا والعلاقات المحرمة. وإذا اضطرب الأمن وعم الخوف لم يكدر يستطيع المسلم إقامة دينه ولا دنياه.

وهكذا إذا فجع المسلم في أهله أو ماله وحيبيه فإنه إذا لم يتحل بالصبر أدى به ذلك إلى التسخط على القدر والجزع وسوء الظن بالله، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155] . لأنها أمور تحتاج إلى صبر وثبات وتحمل.

ثانيا: المصيبة سبب للانتكاسة والانحراف

الإنسان إذا كان ضعيفا في دينه فإن المصائب تؤثر فيه وترزعزع إيمانه، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: 11] . وهذه الآية نزلت في بعض الناس من الأعراب، يسلم ويهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا وجد رغدا في العيش وتمتع بالصحية والعافية اطمأن بالإسلام، وإن أصابته فتنة وابتلي بمصيبة من فقر أو مرض انقلب على وجهه وارتد عن دينه والعياذ بالله.¹ قال ابن زيد: "إذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر"²

ومن ذلك ما حصل لمرضى القلوب من ضعاف الإيمان والمنافقين في غزوة الأحزاب عندما توالى عليهم المصائب والكروب والمخاوف دخلهم الريب والشك وأرادوا الفرار من الجهاد، ويخبر سبحانه عنهم أنهم: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا

¹ انظر: خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة (697/2)

² ابن جرير، جامع البيان (577/18)

يَسِيرًا ﴿[الأحزاب: 14] . يعني: لو دخل جيش الأحزاب إلى المدينة من جوانبها، ثم سئلوا الشرك بالله وترك الإسلام والارتداد عنه، لأجابوا إلى ذلك بسرعة وما تأخروا إلا يسيرًا، خوفا منهم.¹

ويمكن التمثيل أيضا بما حصل مع المسلمين في بداية الإسلام من التعذيب والاضطهاد والمصائب التي نزلت عليهم، فمن المسلمين من افتتن وأجاب المشركين. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدرع الحديد وصهروههم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد." والمقصود هنا هو بيان مدى تأثير هذه المصائب على الإنسان، لكن إذا كان مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان فلا إثم عليه في ذلك، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: 106]

ثالثا: الفقر سبب قتل المشركين أولادهم

من ضلالات الجاهلية وانحرافاتهم الشنيعة قتل الأولاد، تارة من شدة الفقر وتارة خوفا من حصوله في المستقبل. فلما جاء الإسلام نهاهم عن ذلك وبين لهم أن الله سبحانه هو الرزاق الذي يرزقهم جميعا الآباء والأولاد. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَكِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151] . والإملاق: الفقر والفاقة. ومعنى ذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم سواء الذكور أم الإناث بسبب الفقر، والولد في اللغة يعم الذكر والأنثى.² قال القرطبي: "وقد كان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور خشية الفقر، كما هو ظاهر الآية"³

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (227/20) نخبه من العلماء، التفسير الميسر (419) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (284)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (217/12) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (362/2)

³ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (132/7)

وقوله: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ يدل على أن الفقر حاصل، فيقتل ولده حتى يخفف النفقة عن نفسه. وأحيانا قد لا يكون الأب فقيرا لكنه يخاف حصوله في المستقبل، كما قال في الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: 31]. وهذا غالبا ما يكون من جهة البنت التي لا كسب لها، وقد يكون خوف افتقار البنت فيما بعد بموت أبيها، كما قال إسحاق بن خلف: إذا تذكرت بنتي حين تندبني فاضت لعبرة بنتي عبرتي بـدم أحاذر الفقر يوما أن يلم بها فيهلك الستر عن لحم على وضم¹

وهذا من عظام الذنوب وكبائر الإثم، كما قال تعالى بعدها: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31] وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك). قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك). قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك).²

رابعا: مصيبة موت النبي عليه الصلاة والسلام سبب للانقلاب على الأعقاب

مصيبة موت النبي صلى الله عليه وسلم هي أعظم المصائب على الإطلاق، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا أيها الناس، أيما أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي)³

ولما أشيع يوم أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم مات انقلب كثير من أهل الشك والارتياب على أعقابهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144]. والانقلاب على الأعقاب عامة تشمل الارتداد عن الدين الذي جاهر بالدعوة إليه بعض المنافقين لما أشيع مقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: قُتِلَ

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (87/15)

² رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون}، رقم (4477)

³ رواه ابن ماجه، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، رقم (1599) وانظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم

محمد فالحقوا بدينكم الأول. وتشمل أيضا الارتداد عن العمل كالجهاد ومكافحة الأعداء وتأيد الحق.¹

قال ابن عاشور: "والمقصود من الآية العتاب على ما وقع من الاضطراب، والثناء على الذين ثبتوا ووعظوا الناس، والتحذير من وقوع الارتداد عند موت الرسول عليه السلام، وقد وقع ما حذرهم الله منه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ارتد كثير من المسلمين، وظنوا اتباع الرسول مقصورا على حياته، ثم هداهم الله بعد ذلك، فالآية فيها إنباء بالمستقبل."²

فالانحراف بسبب هذه المصيبة حصل مرتين، يوم أحد عند إشاعة خبر موت النبي صلى الله عليه وسلم وعند موته حقيقة عليه الصلاة والسلام. وروي عن عائشة أنها قالت: "لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب، واشترأت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم، حتى جمعهم الله على أبي بكر رضي الله عنه"³

المطلب الخامس: التقليد الأعمى

التقليد الأعمى من أعظم أسباب الانحراف خاصة الفكري، وهذا الذي حكاه الله سبحانه عن عامة الأمم. منعهم التعصب لما كان عليه الآباء وتقليدهم تقليدا أعمى من الاستجابة للرسول والإيمان بهم واتباعهم. فرغم ما تأتيهم به الأنبياء من الآيات والبراهين إلا أن هذا التعصب والتقليد لأبائهم المنحرفين أعمى بصائرهم واستولى على نفوسهم وعطل عقولهم.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولا: مفهوم التقليد

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (258/7) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (133/4)

² ابن عاشور، التحرير والتنوير (113/4)

³ ابن كثير، البداية والنهاية (173/8)

لغة: التقليد: تعليق شيء على شيء, كالقلادة تعلق على العنق.¹ والأب: معروف, ويطلق على الجد مجازاً.²

اصطلاحاً: التقليد: قبول قول الغير من غير حجة.³ والأب: كل من كان سبباً في إيجاد شيء, أو إصلاحه أو ظهوره.⁴

ولا شك أن هذا التقليد مذموم بحال, فالإنسان أكرمه الله بالعقل ليميز الهدى من الضلال والصواب من الخطأ والنافع من الضار. وكثيراً ما يدعو القرآن لاستعمال العقل ويعود باللائمة على الإنسان إذا عطل عقله الذي أكرمه الله به. وقد أقام سبحانه على الحق الدلائل والبراهين التي يستدل بها العقل على صحتها. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 242]. وقد جاء قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في ثلاثة عشر موضعاً من القرآن الكريم والرابع عشر بالياء ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

"كذلك آيات النظر العقلي والتفكر والتفكير كثيرة في الكتاب العزيز, فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكر والعقل والتدبر, وأن الغافلين الذين يعيشون كالأنعام لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية, التي لا تركز الأنفس ولا تصعد بها في معارج الكمال, بعرفان ذي الجلال والجمال"⁵

ثانياً: التقليد الأعمى سبب انحراف الأمم

خلق الله سبحانه الإنسان وأكرمه بالعقل ليميز به الحق من الباطل والنافع من الضار, ثم كلفه بناء على هذا العقل. ولم يوجب سبحانه على الإنسان تقليد الرسل تقليداً محضاً حتى أقام البرهان الساطع على نبوتهم وأيدهم بالآيات والمعجزات الدالة على صدقهم. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: 25] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء من نبي إلا قد

¹ انظر: أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (19/5) الفيومي, المصباح المنير (512/2)

² انظر: أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (44/1) الفيومي, المصباح المنير (2/1)

³ انظر: عبد الكريم النملة, المذهب في أصول الفقه المقارن, مكتبة الرشد - الرياض, الطبعة الأولى 1999م (2387/5) عياض

بن نامي السلمي, أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله, دار التدمرية - الرياض, الطبعة الأولى 2005 م (476)

⁴ انظر: الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن (57) محمد عميم الإحسان البركتي, التعريفات الفقهية (14)

⁵ محمد رشيد رضا, تفسير المنار (202/11)

أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر¹ حتى قال بعض أهل العلم: إن من قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم من غير نظر في نبوته يكون مقلدا.²

فالتقليد الأعمى دون النظر والتعقل لا شك يضل الإنسان، وهذا الذي حكاه الله سبحانه عن المكذبين من مختلف الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23] . فاعترفوا بأنهم مقلدون تقليدا أعمى وأنهم لا برهان لهم في تكذيبهم للأنبياء.³ ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170] . والهمزة للإنكار والتعجب، والمعنى: كيف يقلدون آباءهم تقليدا أعمى؟! فماذا لو كان آباءهم هؤلاء لا يستعملون عقولهم ولا برهان لهم على ما هم عليه من الدين.⁴

والاعتذار بهذا التقليد الأعمى عند الله غير مقبول، لأن الله سبحانه منحهم عقولا يميزون بها الصواب من الخطأ. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: 67] . قال ابن عاشور: "ومقصود من هذا الخبر أيضا الاعتذار والتنصل من تبعة ضلالهم بأنهم مغرورون مخدوعون، وهذا الاعتذار مردود عليهم بما أنطقهم الله به من الحقيقة إذ قالوا: {إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا} فيتجه عليهم أن يقال لهم: لماذا أطعتموهم حتى يغروكم.. لأن كبراءهم ما تأتي لهم إضلالهم إلا بتسبب طاعتهم العمياء إياهم واشتغالهم بطاعتهم عن النظر والاستدلال فيما يدعونهم إليه من فساد."⁵ وقال القرطبي: "في هذا زجر عن التقليد"⁶

لكن إذا كان هؤلاء الآباء على بينة من أمرهم وعلى برهان من ربهم فاتباعهم والاقتراء بهم عن بينة لا منقصة فيه، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

¹ رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، رقم (4981) ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة

نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، رقم (152) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (211/2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (75/2)

³ انظر: الشوكاني، فتح القدير (631/4)

⁴ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (74/2)

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير (117/22)

⁶ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (249/14)

بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿يوسف: 37-38﴾

ثالثا: التقليد الأعمى سبب شرك قوم إبراهيم

من النماذج التي ذكرها الله سبحانه في التمسك بما عليه الآباء رغم إقامة الحجة وبيان المحجة: قوم إبراهيم. فقد ناظرهم إبراهيم عليه السلام وأقام لهم البرهان الساطع على بطلان ما يعبدونه من الأصنام، لكن تقليدهم لأبائهم أعماهم عن استعمال عقولهم وتدبر ما جاءهم به من البينات مع وضوحها. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: 69-74]. وهنا أقام عليهم الدليل العقلي، فخاطب عقولهم: هل هذه الأصنام تسمعكم إذا دعوتموها فتستجيب لكم؟ فيما تنفعكم إذا عبدتموها؟ هل تضركم إذا تركتم عبادتها؟ فأجابوا: لا، ما يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا ولا يضرُّون، وإنما وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال ابن جرير: "وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك"¹ وقال الشعراوي: "فحجتهم التقليد الأعمى، ولو كان عندهم حجة لذاتية العمل لقالوها."²

وأخطر من ذلك أن إبراهيم عليه السلام كسرهما بيديه ورأوا ضعفها وعجزها بأم أعينهم، وبين لهم بالدليل المحسوس الذي ما بعده بيان، ثم هم لا يزالون مستمسكين بهذا التقليد الأعمى. وهذا يدل على خطورة هذا التقليد إذا سيطر على النفوس وعطل العقول. قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهَيْنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهَيْنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء: 58-65]. ومعنى قولهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: في عبادتكم ما لا

¹ ابن جرير، جامع البيان (362/19)

² الشعراوي، تفسير الشعراوي (9575/15)

يستحق العبادة. وقد قال ذلك بعضهم لبعض.¹ فهم اعترفوا ورجعت إليهم عقلوهم برهمة من الزمن. وهذا يدل على أن البرهان الواضح له سلطة على العقل. لكن سرعان ما رجعوا إلى باطلهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَكِيسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: "تغيرت آراؤهم بعد أن كادوا يعترفون بحجة إبراهيم فرجعوا إلى المكابرة والانتصار للأصنام"² وهذا يصور الحالة التي يكون عليها المقلد من التعصب والعمى، فهو يرى الدليل الواضح ببصره لكن التقليد والتعصب يعمي بصيرته.

رابعاً: التقليد الأعمى سبب ضلال قوم النبي صلى الله عليه وسلم.

قوم النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا بدعا من الأمم، وإنما ساروا على نهج أسلافهم من التعصب لما عليه الآباء وتقليدهم تقليداً أعمى. وقد بين الله سبحانه لنبيه سبب ضلال الأمم قبله، تسلية له في تكذيب قومه له، وأن تعصبهم لما كان عليه آباؤهم كان حجة لجميع الأمم قبلهم، وأن الأنبياء عليهم السلام قبله عانوا مثل ما يعانیه. قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22-23] {على أمة}: يعني على دين وملة. فليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد.³

ومما يصور شدة تمسكهم بما عليه الآباء وتعصبهم له وأنه ليس لهم دليل على شركهم وكفرهم إلا هذه الحجة ما رواه سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: (أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله.⁴ وتأمل قوله: ويعيدانه بتلك المقالة. لأن هذا غاية ما عندهم من الحجاج.

¹ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (25/2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (103/17)

² ابن عاشور، التحرير والتنوير (104/17)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (584/21) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (224/7)

⁴ رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، رقم (1360) ومسلم، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، رقم (24)

وهكذا كان الحال أيضا مع اليهود رغم ما آتاهم الله من العلم والكتاب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عقاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجه ومالك بن عوف: بل نتبع ما ألقىنا عليه آباءنا، فإنهم كانوا أعلم وخيرا منا. فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]."¹

المطلب السادس: الصحبة السيئة

الإنسان اجتماعي بطبعه وهو يؤثر ويتأثر، لكنه غالبا ما يكون تأثره أكثر من تأثيره، وغالبا أيضا ما يكون تأثره سلبا أكثر منه إيجابا. ذلك أن النفوس تميل إلى الشهوات والرتوع في الملذات ويثقل عليها الالتزام والانضباط. ومن هنا تكمن خطورة الصحبة السيئة، فالنفس تحتاج إلى من يقويها ويشد من أزرها لا أن يساعدها في ضعفها وغفلتها. لذلك نهى الله سبحانه عن اتخاذ أهل الفساد والانحراف بطانة وأصدقاء، وبين شدة فتنهم وخطورة صحبتهم ووخيم عاقبتها في الدنيا والآخرة. وتفصيل ذلك كالتالي:

أولا: مفهوم الصحبة

لغة: الصحبة: المرافقة والملازمة وحصول الرؤية والمجالسة².

اصطلاحا: الصحبة لا تطلق في العرف إلا لمن كثرت ملازمته³.

فالصحبة أخص من الرفقة، لأن الصحبة فيها ملازمة ومعاشرة، أما الرفقة فتقال للمقوم ما داموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد، فلا يشترط فيها طول العشرة والملازمة.

أما الصداقة فهي أخص منهما لأن فيها صدقا في المحبة ولذلك سمي الصديق صديقا، وهي تختص كذلك بالإنسان بخلاف الرفقة والصحبة¹.

¹ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (552/1) ابن جرير، جامع البيان (305/3)

² انظر: الفيومي، المصباح المنير (333/1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (507/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1268/2)

³ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (475) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (8/1) الفيومي، المصباح المنير (333/1)

والمقصود هنا الصحبة التي يكون فيها للإنسان علاقة مع صاحبه تجمع به، فهذه هي التي يكون فيها تأثير أو تأثير. ومن أمثلتها: البطانة التي تحيط بالرئيس أو الأمير أو المدير، وزملاء العمل أو الدراسة، وأصحاب الجوار والحي أو اللعب والسمر، وصحبة القرابة كالزوجة والأخ. وأشدها تأثيرا الصداقة التي تجمع بين اثنين بخالص المحبة والوفاء.

ثانيا: نهي الله سبحانه عن الصحبة السيئة

الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده، يبين لهم كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويحذرهم من كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم. فكل ما فيه ضرر على الإنسان سواء في الدنيا أم في الآخرة وسواء علم وجه الضرر فيه أم جهله فإن الله ينهاه عنه ويحرمه عليه رحمة به. كما قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْلُ لُهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157].² ومن ذلك الصحبة السيئة، حيث نهي سبحانه أن يتخذ المؤمن بطانة من أهل الفساد والانحراف، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]. وبطانة الرجل هم خاصته والناس الذين يصاحبونه ويجلسون معه ويعرفون أسراره.³ وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفائهم من اليهود وأهل النفاق منهم ويصاحبونهم، وكانت بينهم مودة وعلاقة، بالأسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام، فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم.⁴

وقد بين الله سبحانه في الآية ضرر هؤلاء على المؤمن، وأنهم يجتهدون في إفساده والإضرار به، وأنهم يحبون ويتمنون مشقته وعنته ولا يريدون الخير له، وأنهم يكرهونه ويتحدثون عنه بسوء، وما تخفي

¹ انظر: حازم خنفر، غاية المنوّة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، دار الصديق، الطبعة الأولى 2009م (17،16)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (305) الشعراوي، تفسير الشعراوي (1704/3)

³ انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (1706/3)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (140/7)

صدورهم أكبر. كل هذا بينه الله لنا حتى نحذر ونكون عقلاء عارفين لمصالحنا وما فيه الخير لنا.¹
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)²

ومن أجل ذلك أيضا نهي الله سبحانه عن نكاح المشركين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ﴾ [البقرة: 221].
فنهى الله سبحانه عن الزواج بهم أو منهم وذكر العلة في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ﴾، لأن هذه المخالطة بالزواج تؤثر على الإنسان. قال السعدي: "ويستفاد من تعليل الآية، النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة فالخلة المجردة من باب أولى، وخصوصا الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها"³ وفي الحديث: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)⁴

ثالثا: تأثير الصحبة السيئة

الصحبة السيئة لا ينتظر منها النصح بالخير أو الدعوة إلى الصلاح، بل صاحب السوء يسعى جاهدا لأن تكون مثله وأنيسا له في درب الفساد والانحراف. والنفوس ضعيفة، فهي أولى أن تحتاج إلى من يعينها ويشد من أزرها، فكيف بالذي يأمرها بالسوء ويحثها على الانحراف ويشجعها عليه؟!

ومما يدل على خطورة الصحبة السيئة وشدة تأثيرها ما قصه الله سبحانه عن نبيه في حاله مع المشركين. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 73-74]. فقد حاولوا معه مرات عديدة وبشتى الطرق ليوافقهم ويتبع أهواءهم، ومن ذلك ما ذكره قتادة أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه،

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (138/7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (144) الشعراوي، تفسير الشعراوي (1709/3)

² رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (4832) والترمذي، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم (2395)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن. وحسنه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (168/3)

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (99)

⁴ رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (4833) والترمذي، أبواب الزهد، رقم (2378) عن أبي هريرة

رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (927) (597/2)

وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقاربهم في بعض ما يريدون ثم منعه الله وعصمه من ذلك.¹ فهذا نبي الله وهؤلاء مشركون معلومة نواياهم الخبيثة ومع ذلك قارب أن يميل إليهم، لا لضعف منه ولكن لشدة مبالغتهم في التحيل والخداع.² فكيف بالصاحب الرزين الذي يلبس لباس الناصح الأمين، فالفتنة به أكبر والانخداع به أعظم.

ويقص الله سبحانه علينا خبر المؤمن الذي دخل الجنة، وقد كان له صاحب في الدنيا يجادله في اليوم الآخر ويدخل عليه الشبهات، حتى كاد أن يضلّه ويرديه. قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۖ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَدِينُونَ ۚ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ ۚ فَأَطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ۖ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۖ﴾ [الصافات: 50-57]. والقريّن: هو الصاحب الملازم، أي: يقول له صاحبه الكافر: كيف تصدق بأننا إذا متنا وصرنا ترابا أننا سنبعث ونجازي على أعمالنا؟! أي: أن ذلك مستبعد. يجادله في البعث واليوم الآخر ويحاول تشكيكه في صحته رجاء أن يرجع به إلى الكفر. فأقسم بأنه كاد أن يهلكه، ولولا نعمة الله عليه بالثبات والإيمان لكان معه في النار والعياذ بالله. وقيل: إنها نزلت في الرجلين اللذين حكى الله عنهما في سورة الكهف، فيكون غناه وحاله أزيد في الفتنة.³

رابعاً: الصحبة السيئة من أسباب الضلال

كم من إنسان يريد التوبة فيثبته عنها صاحبه السيئ، وكم من إنسان تاب ويريد الإصلاح فلا يزال به صاحبه السيئ حتى يرجعه إلى ما كان عليه. ومن ذلك ما حصل مع عقبة بن أبي معيط حيث كان يجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويسمع منه. فنهاه صاحبه أبي بن خلف عن ذلك ومنعه، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۖ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۚ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ﴾ [الفرقان: 27-28].

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (507/17) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (299/10)

² انظر: محمد الأمين بن عبد الله الهرري، تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن (196/16)

³ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (82/15) ابن عاشور، التحرير والتنوير (116/23، 118) السعدي،

تيسير الكريم الرحمن (703)

[29] . قال ابن هشام: "وكانا متصافيين، حسن ما بينهما. فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه، فبلغ ذلك أبيًا، فأتى عقبة فقال له : ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه؟! وجهي من وجهك حرام أن أكلمك -واستغلظ من اليمين- إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه. ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعِصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الآيات¹ هذا هو المشهور في سبب نزولها، لكنها عامة في كل ظالم انحرف بسبب صاحبه.²

فيوم القيامة يدرك أنه لم يكن صائبا في متابعته هذا الصاحب، وأنه كان السبب في انحرافه، فيندم أشد الندم على مصاحبته واتخاذة خليلا. وحينئذ تنقلب تلك المحبة والصدقة والمسامرة إلى عداوة وبغضاء وملاومة، كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67] . "وإن عداة الأخلاء لينبع من معين ودادهم.. لقد كانوا في الحياة الدنيا يجتمعون على الشر، ويملي بعضهم لبعض في الضلال. فالיום يتلاومون. واليوم يلقي بعضهم على بعض تبعة الضلال وعاقبة الشر. واليوم ينقلبون إلى خصوم يتلاحون، من حيث كانوا أخلاء يتناجون"³

ومن ذلك أيضا ما حصل مع عم النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يروي سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: (أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله.⁴

¹ ابن هشام، السيرة النبوية (361/1)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (262/19) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (45/6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (108/6)

³ سيد قطب، في ظلال القرآن (3201/5)

⁴ رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم (3884) ومسلم، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، رقم (24)

المطلب السابع: دعاة الضلال

دعاة الضلال من أعظم أسباب الانحراف، لخفاء أمرهم وانخداع الناس بهم، لذلك حذر الله منهم وكشف مكرهم وتلبيسهم وذكر نماذج منهم من أهل السلطة والديانة مثل فرعون والسامري وغيرهم. ليكون الناس على بينة من أمرهم، وليأخذوا حذرهم واحتياطهم، حتى لا يندموا ولات مندم كما حكى الله عن أصحاب النار. وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: مفهوم دعاة الضلال

لغة: الدعوة: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، والدعاة: جمع داع وهو الذي يمارس الدعوة.¹ والضلال: ذهاب الشيء وضياعه في غير حقه.²

اصطلاحاً: الدعوة: إمالة الجمهور وجذبهم إلى شيء معين بأي وسيلة.³ والضلال: ما يقابل الهداية، وهو الخروج والانحراف عن الحق.⁴

والمقصد بدعاة الضلالة علماء السوء الذين يفتنون الناس في دينهم بما يفتونهم من الفتاوى الباطلة حفاظاً على مكانتهم واتباعاً لأهوائهم. مثل ما كان عليه علماء اليهود والنصارى، حيث يقول تعالى عنهم: ﴿لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34]. وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم من أن ذلك سيحصل في هذه الأمة، حيث أخبر أنه سيأتي عليها زمان شر، من أبرز مظاهره هؤلاء الدعاة، وذلك في حديث حذيفة رضي الله عنه، حيث يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم) قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن) قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر) قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة إلى أبواب

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (279/2) الفيومي، المصباح المنير (194/1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (286/1)

² انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (356/3) الفيومي، المصباح المنير (363/2)

³ انظر: سعيد بن علي القحطاني، العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير - الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ (12)

⁴ انظر: محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (134)

جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: (هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)¹

ويدخل في هؤلاء الدعاة أيضا دعاة الضلال من أهل السلطة والرياسة الذين يفتنون الناس في دينهم، ويصدون عن سبيل الله، حيث ينخدع الجمهور بهم ويظنونهم على شيء مما يظهرونه من الحرص على مصالحهم، كما هو الحال عند كثير من الحكام المخادعين والملوك المتجبرين. لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: (أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)² والإمام: هو مقتدى القوم ورؤسائهم، ومن يدعوهم إلى قول أو فعل أو اعتقاد.³

ثانيا: دعاة الضلال من أسباب الانحراف

الناس تبع لعلمائهم ودعاتهم، يرجعون إليهم ويستفتونهم في أمور دينهم. والعلماء والدعاة هم الذين يعظون الناس ويذكروهم بالله ويأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المکر. فإذا فسد هؤلاء القدوات والموجهون فسد الناس، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)⁴ وكما قال الشاعر:

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد⁵

¹ رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم (7084) ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة، رقم (1847)

² رواه أبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم (4252) والترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين، رقم (2229) عن ثوبان رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (1582) (109/4)

³ انظر: الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (334/1)

⁴ رواه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم (100) ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، رقم (2673) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

⁵ انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (61/1)

وهذا ما ذكره الله سبحانه تماماً عن أهل النار الذين انحرفوا بسبب أئمة الضلال، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۖ﴾ [٦٦] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ۖ﴾ [الأحزاب: 66-67]. يعني: أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك والانحراف، أطعناهم واتبعناهم واعتقدنا أن عندهم شيئاً، وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء.¹ وقال أيضاً في الحكاية عنهم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: 99]. قال السعدي: "وهم الأئمة الذين يدعون إلى النار"²

وبين الله سبحانه شدة مكر هؤلاء الأئمة بأتباعهم، وخداعهم وتزيين الباطل لهم واستمرارهم على ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ۖ﴾ [سبأ: 33]. والمكر: هو الاحتيال والخداع. ومعنى ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: ملازمتهم المكر ليلاً ونهاراً، فهم دائماً مستمرون في تزيين الشرك والانحراف لهم والإلحاح عليهم في التمسك به. كقولهم: إنه دين آبائكم وكيف تأمنون غضب الآلهة عليكم إذا تركتم دينكم ونحو ذلك، يغرونهم ويخبرونهم أنهم على هدى وغيرهم على الباطل.³

ثالثاً: تحذير الله من دعاة الضلال

لخطورة دعاة الضلال وعظيم فتنتهم وانخداع كثير من الناس بهم حذر الله سبحانه منهم وبين أساليبهم وفضح أطماعهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]. قال السعدي: "هؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة"⁴ ويقول تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (331/20) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (249/14) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (484/6)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (593)

³ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (209/22) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (302/14) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (519/6)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (240)

بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى ﴿ [طه: 16] . أي: فتهلك.¹ يقول السعدي: "في هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل"²

وبين سبحانه أنهم ليس لهم هم في هداية الناس ونجاتهم في الآخرة، إنما هدفهم الأكبر هو الدنيا وما يحصلونه من الأموال والمناصب والشهوات والأهواء. فيستعملون الدين وسيلة لذلك. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34] . الأحبار: علماء اليهود، والرهبان: علماء النصارى. وأكل أموال الناس بالباطل له صور كثيرة: كأخذ رشوة من أجل حكم أو إحقاق باطل، أو كما يفعله سدنة القبور وما يأخذونه من الهدايا والندور، أو كمن يسايرون أهواء السلطان فيحلون الحرام للحفاظ على مناصبهم، أو كما يفعله القساوسة والرهبان من أخذ الجعل على مغفرة الذنوب وصكوك الغفران. وهم في ذلك كله ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ويجرفون دين الله ويحلون الحرام ويحرمون الحلال ويلبسون على الناس لئلا يفوتهم ما يأخذونه منهم، ويحافظون على مكاسبهم ومناصبهم. وهذا يشمل تحريف دينهم وتضليل العامة عن حقيقته وإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمنوا به ويتبعوه. وقد تبعهم على ذلك كثير من علماء الإسلام.³ مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: (لتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم)، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)⁴

ومن عظيم فتنهم أنهم قد يستدلون بكلام الله، لكنهم يتبعون في ذلك المتشابه منه ولا يردونه إلى المحكم، فيلبسون على الجهال والسذج. كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 7] . عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (278/5)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (503)

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (138/4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (344/10) محمد الأمين بن عبد الله الهري،

تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن (217/11) ابن عاشور، التحرير والتنوير (175/10)

⁴ رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (3456) ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم (2669) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تَأْوِيلَهُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: 7] , قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم).¹ وفي هذه الآية يخبر تعالى أن الزيغ موجود أولاً ثم يتطلبون الدليل عليه، لأن مقصودهم ليس البحث عن الحق واتباعه. وإنما هدفهم التشبيه على باطلهم والتلبس على الناس.²

رابعاً: نماذج من دعاة الضلال: فرعون والسامري

الناس غالباً ما ينخدعون بالسطحيات وينبهرون بالمظاهر. والذي يغرمهم ويفتنهم صنفان من الناس: الصنف الأول: أصحاب الدنيا، أهل الثراء والبذخ والمكانة والجاه، فيقولون: لم يبلغ هؤلاء ما بلغوا إلا بذكاء خارق وعقل راجح ورأي سديد، فيتلقون كل ما يصدر عنهم بالتسليم والتصديق بل والانبهار، فيحاولون تقليدهم والسير على خطاهم وإن كانوا منحرفين، ولسان حالهم يقول: لو كان ما جاءت به الرسل حقاً لم يسبقهم إليه أحد. وهذا في عصرنا مثل ما يحصل مع الشخصيات الغربية ومن يسمون بالنجوم العالمية. والصنف الثاني: أصحاب الديانة والتعبد الزائف، من المنافقين الذين يخدعون الناس بالمظاهر، فيتخيلهم الناس أنهم العباد الزهاد الأقرب إلى الله. مثل ما يحصل في بعض الديانات الوثنية، والفرق المنحرفة.

من نماذج الصنف الأول الذين قص القرآن خبرهم: فرعون. فهو الذي أضل قومه بما كان يدعوهم إلى الشرك ويأمرهم بالكفر والتكذيب بالرسول، ويزين لهم الباطل ويلبس عليهم بأنواع الشبهات استخفافاً لعقولهم. قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: 79].³ وكان من أساليبه وتلبيسه على قومه ما حكاه الله سبحانه في قوله: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ آلِيَّسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: 51-54]. احتج على صحة مذهبه بما

¹ رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {منه آيات محكمات}، رقم (1422) ومسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم (2665)

² انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (1279/2)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (345/18) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (510)

عليه من التطور المادي وما عليه موسى من النقص، فاستخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه السخيفة، والتي لا حقيقة تحتها، وليست دليلاً على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعف العقول. فأى دليل يدل على أن فرعون محق، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟ وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، وثقل لسانه؟ لكنهم انبهروا بما عليه من التطور والقوة.¹ ومن تلبسه أيضاً إظهاره نفسه بمظر القوي المتمكن المتطور، الذي له الآليات والوسائل ويمكنه التحقق من صحة أي شيء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا أَلْمَلُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38].²

ومن نماذج الصنف الثاني: السامري. وهو رجل من عظماء بني إسرائيل كان من قوم يعبدون البقر، ثم أسلم مع بني إسرائيل نفاقاً. ولا شك أنه كان يظهر من السمات والورع ما جعل بني إسرائيل يثقون فيه ويرجعون إليه ويصدرون عن رأيه، حتى إنهم اتبعوه وعصوا هارون عليه السلام. قال قتادة: "كان السامري عظيماً في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى، فلما مرت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138] فاغتنمها السامري وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل فاتخذ العجل."³

فالذي أضل بني إسرائيل هو السامري، لقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 85]. وأسلوبه في ذلك أن جاءهم من جهة الورع والديانة، فهم تأثموا بما حملوا معهم من زينة قوم فرعون، فأفتاهم بالتخلص منه، بجمعه في مكان واحد، أو حرقه وجعله قطعة واحدة، فإذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه رأيه، ومن ثم صنع منه العجل ودعاهم إلى عبادته. قال تعالى في الحكاية عنهم:

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (617/21) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (231/7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (767)

² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (122/20)

³ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (239/11)

﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: 87-88].¹

¹ انظر: محمد بن أحمد القرطبي, الجامع لأحكام القرآن (235/11) محمد الأمين الشنقيطي, أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (83/4)

المبحث الثالث: آثار الانحراف ونتائجه

الانحراف له آثار وخيمة على الفرد والمجتمع, في دينه ودنياه وآخرته. وقد ذكرها الله سبحانه في كتابه للتحذير منه والتنفير عنه. وهذا من الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله وعلاج الانحراف, فإذا علمت النفوس خطورة الانحراف وما ينتج عنه من الآثار ابتعدت عنه واتقته. وعند التأمل فيما ذكره الله سبحانه وقصه علينا من أحوال المنحرفين, نجد أن هذه المعاصي والانحرافات تؤثر على دين الفرد, وعلى دنياه, وعلى مجتمعه, وعلى آخرته.

فتأثيرها على الدين بأن تكون سببا في زيغه وزيادة انحرافه, فينتج عن مخالفته لأمر الله زيغ في نفسه, فإن لم يتدارك الأمر نعى هذا الزيغ حتى يطبع على قلبه. وقد يؤدي انحرافه إلى حبوط عمله, جميعه إذا بلغ حد الكفر الأكبر, أو بعضه بنوع من الانحراف كالرياء والمن بالصدقة.

أما تأثيرها على الدنيا وعلى حياة الإنسان فإن جميع المصائب التي تصيب المرء سببها الرئيسي هو الذنوب والمعاصي, على تفاوت في درجاتها. فالمعيشة الضنكا نتيجة حتمية للإعراض عن ذكر الله, والذلة والمسكنة التي كتبها الله على بني إسرائيل كانت نتيجة انحرافهم عن دينهم. وهكذا ما يصيب الإنسان من الهموم والغموم التي تنقض ظهره وتثقله.

وما ذكره الله سبحانه عن هلاك المجتمعات من أقوام الأنبياء, كله كان نتيجة انحرافهم عن دعوة الأنبياء وعدم اتباعهم والإيمان بهم, من المسخ والخسف والغرق والصعق والرجف والحصب وقلب الديار وغير ذلك. وما يصيب المجتمعات من الجوع والخوف وزوال النعم, ما هو إلا نتيجة عن كفران نعمة الله والإعراض عنه.

هذا كله, مع ما أعده الله من العقاب والنكال بعد الموت, وما يحصل من العذاب في القبر, ومن الذل والشقاء والكرب في عرصات يوم القيامة, ومن العذاب الأكبر في النار وبئس القرار. كل هذا من آثار الانحراف على تفاوت دركاته, وتنوع درجاته.

وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

المطلب الأول: آثار الانحراف الدينية

الانحراف له تأثير على دين المسلم، إذ كلما تساهل فيه انغمس فيه أكثر. فالمعصية تجر إلى أخرى، ثم تأثر على قلبه، حتى يطبع عليه. فيضعف دافع الخير فيه، ويقوى دافع الشر والانحراف. وقد يؤثر بعض أنواع الانحراف حتى على قبول العمل وثوابه، فالكفر يحبط العمل بالكلية، والرياء والأذى يحبط أجر العمل الواقع فيه.

فآثار الانحراف الدينية يمكن حصرها في ثلاثة أمور: الطبع على القلب، الزيف والانحراف، حبوط العمل الصالح. وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: الطبع على القلب والسمع والبصر

الطبع على الشيء يكون بتغطيته والختم عليه.¹ والمقصود هنا إغلاق هذه الحواس من السمع والبصر والفؤاد وإقفالها معنوياً، فلا تنتفع بما تسمع ولا بما ترى ولا تفهم ولا يصل الهدى إلى القلب، مثل الختم على الأوعية والظروف.²

لكن هذا الطبع على درجات، فأعظمه ما يحصل للكفار والمنافقين نتيجة استكبارهم وإعراضهم عن الحق، فيعاقبهم الله بحجب الهدى عنهم، فلا ينتفعون بما يرون من الآيات والبراهين، ولا يؤمنون ولا يدخل الهدى إلى قلوبهم. ثم ما يحصل لأصحاب المعاصي من نقص الهداية. فهذا الطبع قد يكون طبعاً كاملاً، يحجب عن الإيمان أصلاً. وقد يكون طبعاً ناقصاً بحسب الذنب، فيحرم العاصي شيئاً من الهداية.

أ. الطبع الكامل:

ما يحصل للكفار من الطبع والختم والقفل لقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم إنما هو بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم عن قبول الحق أول مرة، فإذا استمروا في هذا العناد والاستكبار عاقبهم الله بحجب الهداية عنهم والطبع على قلوبهم. قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا

¹ انظر: الفيومي، المصباح المنير (368/2) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (438/3) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1384/2)

² انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة - بيروت، 1398هـ (85) ابن جرير، جامع البيان (258/1)

بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿[الأنعام: 110] . والكاف للتعليل, أي نطبع على قلوبهم ونقفلها فلا تعقل حقاً, ونجعل على الأبصار غشاوة فلا ترى الحق, ونصدها عن الفهم والإيمان, لأنهم عاندوا ولم يؤمنوا في البداية, بل بادروا بالكذب. وهذا من عدل الله سبحانه, لأنهم فتح لهم الباب فلم يدخلوا, وبين لهم الطريق فلم يسلكوا. كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: 17] أي: هديناهم هداية البيان والإرشاد.¹

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 88] . أي: بسبب كفرهم, فالكفر حدث أولاً, ثم يأتي الختم على القلب والسمع والبصر نتيجة لذلك. وليس المعنى أن القلوب خلقت غلفاً مغلقة مختوماً عليها بحيث لا يدخلها هدى ولا يخرج منها ضلال, بل هم الذين تسببوا في ذلك.²

فيحرمون بعد ذلك من الهداية, حيث يرون الآيات الواضحة والبراهين الساطعة ويسمعون الحجج الدامغة فلا ينتفعون بها. والآيات في ذلك كثيرة جداً.³ ومن ذلك قوله تعالى في الكفار: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ۖ﴾ [الأنعام: 25] . وفي المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [محمد: 16] . قال ابن زيد: "هؤلاء المنافقون، والذين أُوتوا العلم: الصحابة رضي الله عنهم."⁴ والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ب. الطبع الناقص:

¹ انظر: ابن جزي, التسهيل لعلوم التنزيل (272/1) السعدي, تيسير الكريم الرحمن (269) محمد الأمين الشنقيطي, أضواء

البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (19/7)

² انظر: ابن جرير, جامع البيان (363/9) الشعراوي, تفسير الشعراوي (2780/5) السعدي, تيسير الكريم الرحمن (41)

³ انظر: محمد الأمين الشنقيطي, أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (162/2)

⁴ ابن جرير, جامع البيان (170/22)

ويطبع على قلب المؤمن أيضا بسبب الإصرار على الذنب، لكنه لا يصل إلى درجة حجب الهداية بالكلية كالذي يكون للكافر. فيحرم من الهداية على قدر ما يكون منه من الانحراف.¹ كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]. حيث يقول عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ، فَذَلِكَ (الرَّانُ) الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]).² والنكته: هي أثر الذنب. ومعنى صقل قلبه: أي: نظف ومحي ذلك الأثر.³ قال الملا علي قاري: "والآية في الكفار إلا أن المؤمن بارتكاب الذنب يشبههم في اسوداد القلب، ويزداد ذلك بازدياد الذنب"⁴

ويوضح النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطبع وحجب الهداية أكثر في حديثه عن الفتن، وأن القلب إذا استجاب لها تركت أثرا في قلبه وظلمة، ونكت فيه نكته سوداء، حتى يصير أسود مظلما، ويزول عنه نور الهداية. كما يقول عليه الصلاة والسلام: (أسود مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مَنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ)⁵ شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالكوز المنكوس المقلوب الذي لا يثبت فيه الماء. وكذلك هذا القلب لا يعلق به خير ولا حكمة.⁶

ويذكر أن الشافعي لما جلس بين يدي الإمام مالك، ورأى من ذكائه وكمال فهمه، قال له: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية⁷

ثانيا: الزيغ والانحراف

¹ انظر: الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ (1622/4)

² رواه أحمد، رقم (7951) والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، رقم (3334) وابن ماجه، أبواب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم (4244) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (271/2)

³ انظر: الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1622/4)

⁴ الملا علي القاري، نفس المرجع (1623/4)

⁵ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، رقم (144) عن حذيفة رضي الله عنه.

⁶ انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (172/2)

⁷ انظر: ابن القيم، الداء والدواء (132)

الإنسان إذا ولج باب الانحراف وتمادى فيه فإنه يُسهل له طريقه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: 8-10] . ومعنى (استغنى) أي: استغنى عن ربه، فلم يرغب في طاعته وترك عبوديته، ورأى أنه في غنى عن رحمته.¹ والعسرى: قال ابن جرير: "العمل بما يكرهه ولا يرضاه"² وتيسيره للعسرى بأن يُسهل له عمل الشر ويخذل عن عمل الخير.³ قال ابن القيم: "يحول بينه وبين أسباب الخير، فيجري الشر على قلبه ونيتة ولسانه وجوارحه."⁴

وهذا فرع عن الطبع على القلب، وجزاء على انحرافه. كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: 63] . ومعنى الفتنة هنا: أن يضلهم الله بسبب مخالفتهم أمر الله ورسوله.⁵ لأن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضا حتى يصعب على الإنسان مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها. فإذا أكثر من المعاصي وأصر عليها، صارت صفة لازمة راسخة فيه، وينسلخ من القلب أيضا استقباحها، فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه.⁶

يقول ابن القيم: "ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره، وأعيت عليه مذاهبه، حتى يعاودها. حتى إن كثيرا من الفساق ليوافق المعصية من غير لذة يجدها، ولا داعية إليها، إلا لما يجد من الألم بمفارقتها. كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هانئ، حيث يقول:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها"⁽⁷⁾

ثالثا: حبوط العمل

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (471/24) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (926)

² ابن جرير، جامع البيان (473/24)

³ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (84/20) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (926)

⁴ محمد بن أبي بكر ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، دار المعرفة - بيروت (62)

⁵ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (560/5)

⁶ انظر: ابن القيم، الداء والدواء (139-142)

⁷ انظر: ابن القيم، نفس المرجع (139)

حبوط العمل معناه فسادُه وذهاب أجره،¹ وقد يكون كاملاً بحيث يحبط أجر جميع الأعمال بالكلية، وهذا يكون في الكفر الأكبر المخرج من الملة، فلا يجد الإنسان شيئاً من الثواب والأجر في الآخرة. وقد يكون حبوطاً جزئياً، في بعض الأعمال دون بعض، وهذا يكون في الرياء إذا خالط العمل، وفي الأذية والمن بالصدقة.² فهو على نوعين:

أ. الحبوط الكامل:

المسلم إذا وقع في الكفر والشرك وارتد عن الإسلام ومات على ذلك، فإن جميع عمله يحبط ويبطل أجره، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].³ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]. وهذا في الأنبياء فما بالك بغيرهم.⁴ أما إذا تاب وعاد إلى الإسلام، فاختلف فيه أهل العلم على قولين، والأرجح أن ذلك مقيد بما إذا مات على الكفر كما جاء في الآية، فيحمل المطلق على المقيد.⁵ ومن باب أولى الكافر الأصلي إذا مات على كفره، فإنه إذا عمل شيئاً من الأعمال الصالحة لم يجد ثوابها في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَلُهُمْ﴾ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: 8-9].⁶

لكن من تمام عدل الله سبحانه أن الكافر يجزى على ما عمله من حسنات، في الدنيا، بما يعطيه الله من الصحة والعافية وانشراح الصدر وغير ذلك. كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (129/2) الفيومي، المصباح المنير (118/1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (216) ابن عاشور، التحرير والتنوير (47/3)

² انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، الصلاة وأحكام تاركها، مكتبة الثقافة - المدينة المنورة (66)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (317/4) محمد الأمين الشنقيطي، العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الثانية 1426 هـ (468/1)

⁴ انظر: الشوكاني، فتح القدير (544/4)

⁵ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (462/3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (257/4)

⁶ انظر: ابن جرير، جامع البيان (162/22)

لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها¹ والمقصود ما يعمل به الله متقربا به إليه مما يصح من غير نية، كصلة الرحم والصدقة والعق والتضيافة وتسهيل الخيرات ونحو ذلك.²

ب. الحبوط الجزئي:

والمقصود به بطلان بعض الأعمال لا كلها، فالمن والأذى بالصدقة يبطلها ويذهب أجرها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264]. والمن على المنفق عليه يكون بتعداد إنعامه عليه بقوله مثلا: قد أحسنت إليك وجبرت حالك. والأذى يكون بالقول أو الفعل كذكر ذلك إلى من لا يجب اطلاعه عليه ونحوه.³ والمن بالصدقة من كبائر الذنوب لما جاء فيه من الوعيد، يقول عليه الصلاة والسلام: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئا إلا منته، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره)⁴

ومثل ذلك أيضا الرياء إذا قارن العمل، كما قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: 264]. يعني: نيته في ذلك ليس ابتغاء الأجر من الله، وإنما هدفه أن يراه الناس فيمدحونه ويشنون عليه، ويكون له مكانة وتقدير في نفوسهم.⁵ وفي الحديث القدسي، يقول الله تبارك وتعالى: (أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)⁶

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأعمال أيضا، كترية الكلاب في البيت من غير حاجة، فإنه ينقص من أجر صاحبه.⁷ وكالأذى في المسجد تجاه المصلين، فإنه يذهب أجر انتظار الصلاة.¹ وكذلك ما جاء في فوات صلاة العصر وتركها عمدا.² وغير ذلك.

¹ رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا، رقم (2808) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

² انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (150/17)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (521/5) الجلالين (58) ابن عاشور، التحرير والتنوير (43،42/3)

⁴ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيا غلظ تحريم إسبال الإزار، رقم (106) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (521/5)

⁶ رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (2985) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁷ انظر: ما رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية، رقم (5481) ورواه

مسلم، كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب، رقم (1574)

المطلب الثاني: آثار الانحراف الدنيوية

كل المصائب التي تصيب الإنسان في الدنيا سببها الذنوب والمعاصي, مع ما تورثه من الهموم والغموم والمعيشة الضنكا. والعاصي المنحرف يعيش في ذلة وخزي, وإن ظهر للناس بمظهر العز والمنعة. فهذه هي آثار الانحراف الدنيوية: المصائب, والذلة, والمعيشة الضنكا.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: المصائب

المصائب هي كل مكروه يحل بالإنسان,³ فتشمل جميع ما لا يلائم طبعه من الفقر والحرمان والخوف والهم والحزن وغير ذلك.⁴ فما يصيب الإنسان من مصيبة إلا وسببها الذنوب والمعاصي, كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. و(ما) للعموم, فجميع ما يصيب الناس في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم, ما هو إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات.⁵ يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بتوبة"⁶

ويقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]. فالفساد الذي يظهر في البر بالقحط والفتن والأمراض والأوبئة ونحو ذلك، والفساد الذي يظهر في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وما شابه, كل ذلك سببه المعاصي التي يقتربها البشر. ليعاقبهم الله ببعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا, والحكمة من

¹ انظر: ما رواه البخاري, كتاب البيوع, باب ما ذكر في الأسواق, رقم (2119) ورواه مسلم, كتاب المساجد ومواضع الصلاة, باب فضل صلاة الجماعة, رقم (649)

² انظر: ابن القيم, الصلاة وأحكام تاركها (65)

³ انظر: الفيومي, المصباح المنير (349/1) مجمع اللغة العربية, المعجم الوسيط (527/1)

⁴ انظر: علي بن محمد الجرجاني, التعريفات (217) محمد عميم الإحسان البركتي, التعريفات الفقهية (209) ابن جرير, جامع البيان (220/3)

⁵ انظر: السعدي, تيسير الكريم الرحمن (759) ابن جرير, جامع البيان (539/21) ابن القيم, الداء والدواء (179)

⁶ ابن القيم, الداء والدواء (179)

ذلك هي من أجل أن يتوبوا إلى الله سبحانه ويقبلوا عن المعاصي والانحراف، فتصلح أحوالهم وتستقيم أمورهم.¹

فإذا أزال الله عن عبده نعمة من نعمه وغيّرها عنه، فذلك بسبب ما أحدث من المعاصي، وما غيّر من الطاعة إلى الانحراف. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: 53]. أي: "لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه"² وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
ولا تحقرن صغير الذنوب فإن الإله شديد النقم³

ثانيا: الذلة والخزي

الذلة والخزي والصغار والمسكنة ألفاظ متقاربة في المعنى، تدل على الضعف والهوان والخضوع والفقر والانكسار.⁴ والمعاصي والذنوب ومختلف الانحرافات تورث الذل ولا بد، لأن العز كل العز في طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]. وما عند الله لا ينال إلا بطاعته.⁵ وكان من دعاء جعفر الصادق: "اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلي بمعصيتك"⁶ وقال الحسن البصري: "إنهم، وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين،⁷ إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم. أبل الله إلا أن يذل من عصاه"⁸

¹ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (134/2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (110/21) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (408)

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (78/4)

³ علي بن الحسن ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الفكر 1415هـ (70/54)

⁴ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (345/2) الفيومي، المصباح المنير (210,168/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (819,640/1) (1088/2) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (250,249/1)

⁵ انظر: ابن القيم، الداء والدواء (146) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (685)

⁶ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأوياء طبقات الأصفياء، دار السعادة - مصر 1394هـ (196/3)

⁷ المهملة: حسن السير. والبرذون: الخيل من غير نتاج العرب. انظر: ابن منظور، لسان العرب (393/2)(51/13)

⁸ ابن القيم، الداء والدواء (146)

وهذا ما ذكره الله سبحانه عن اليهود، فإنهم لما كفروا وانحرفوا عن دينهم، أذلهم الله وأخزاهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: 61] . أي: فرضت عليهم وألزموا بها فلا يزالون مستذلين، بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء، وغيرها من الانحرافات المذكورة في الآيات الأخرى. وهذا معروف في التاريخ.¹

وهكذا كل من سلك مسلكهم واتبع سبيلهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: 152] . فكل من اتصف بهذا الوصف فهو جدير بهذا الحكم والنتيجة، لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ . وهذا ما يدل عليه أيضا التعليل في الآيات. ومن ذلك ما حصل للمشركين من أهل مكة، لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم وهداهم، كفروا واستمروا في الافتراء على الله، فعاقبهم الله بالذلة، وأزال مهابتهم من قلوب العرب، وسلب ديارهم، وحصل ما حصل لهم من القتل والأسر. لكن لما أسلم منهم من أسلم صاروا أعزة بالإسلام.² قال أبو قلابة: "فهو جزاء كل مفترٍ يكون إلى يوم القيامة: أن يذله الله عز وجل"³

ثالثا: المعيشة الضنكا

المعيشة الضنكا هي معيشة الضيق والشقاء والتعاسة،⁴ فما يجده الإنسان من التعاسة ومن الهموم والغموم إنما سببه المعاصي والذنوب،⁵ يقول تعالى لنبيه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۖ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: 2-3]. يعني: غفرنا لك ذنبك، الذي أثقل ظهرك.⁶ فالذنوب تثقل كاهل الإنسان، حتى يحس بجبال من الأثقال فوق ظهره، وما ذاك إلا من آثارها من الهم والغم وضيق الصدر. لذلك كانت الصلاة راحة للمسلم، لأن فيها تكفيرا للخطايا والسيئات. كما قال عليه

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (119/9) ابن جرير، جامع البيان (134/13) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (58)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (136/2) ابن كثير (282/1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (527/1) (120/9)

³ ابن جرير، جامع البيان (135/13)

⁴ انظر: ابن كثير (323/5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (512)

⁵ انظر: ابن القيم، الداء والدواء (179)

⁶ انظر: ابن جرير، جامع البيان (493/24)

الصلاة والسلام: (إن العبد إذا قام يصلي أتي بذنوبه فوضعت على رأسه أو عاتقه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه)¹ لذلك لا يكاد يسلم المسلم من صلاته إلا ويجد خفة وانطلاقة لروحه، خاصة عندما تكون الصلاة بطمئينة وخشوع.²

والمعاصي تورث الخوف والوحشة، فالمذنب يحرم من الأمن والطمئينة والراحة النفسية على قدر انحرافه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]. يعني: لم يخلطوا إيمانهم بأي نوع من أنواع الظلم، فلهم من الأمن والهداية في الدنيا والآخرة على قدر كمال إيمانهم، وينقص بقدر انحرافهم.³ يقول ابن القيم في بيان آثار المعاصي: "ومن عقوباتها: ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي"⁴ ومن هذا ما ذكره الله سبحانه عن المنافقين في قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: 4]. وذلك لشدة خوفهم وهلعهم، وضعف قلوبهم.⁵ أما الوحشة، فلأن المعصية تبعد العبد من الله، وكلما كثرت الذنوب ازداد البعد وقويت الوحشة.⁶

يقول ابن القيم: "فالذنوب إما أن يميت القلب، أو يمرضه مرضاً مخوفاً، أو يضعف قوته، ولا بد، حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم. وهي: الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال"⁷ وهذه هي المعيشة الضنكا، لأن الحياة الحقيقية حياة القلب، والسعادة طمئننته وراحته وهناءه. لذلك يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: 124]. يعني: من خالف أمري وأعرض عنه، فإن له معيشة

¹ رواه أحمد، رقم (23716) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (1397) (387/3)

² انظر: محاضرات في تعظيم قدر الصلاة، عبد الكريم بن عوض السلمي، مشروع تعظيم قدر الصلاة - مكة، الطبعة الأولى 1442هـ. (94)

³ انظر: صالح آل الشيخ، التمهيد شرح كتاب التوحيد، دار التوحيد - السعودية، الطبعة الأولى 1424هـ (25)

⁴ ابن القيم، الداء والدواء (182)

⁵ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (378/2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (864)

⁶ ابن القيم، الداء والدواء (183)

⁷ ابن القيم، نفس المرجع (178)

ضيقة, فلا طمأنينة لقلبه، ولا انشراح لصدره. وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: "الشقاء".¹

المطلب الثالث: آثار الانحراف على المجتمع

للانحراف أيضا آثار على المجتمع ككل، إذا انتشر فيه الفسوق والعصيان، وصار أهل المعاصي يجاهرون بانحرافهم وفسقهم، ولا أحد ينكر عليهم. فحينئذ يهلكهم الله بأنواع من الهلاك، من زوال النعم وحلول النقم، وانتشار العداوة والبغضاء بين الناس، وضرب قلوب بعضهم ببعض. ومن ذلك ما حصل للأمم الماضية من الهلاك العام المستأصل. فيمكن حصر آثار الانحراف على المجتمع في ثلاثة أنواع: الهلاك العام المستأصل الذي حصل للأمم الماضية، زوال النعم، العداوة والبغضاء.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولا: الهلاك العام المستأصل

أصل الهلاك في اللغة هو الموت،² وأكثر إطلاقه في القرآن الكريم على العذاب المستأصل المميت، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: 17]. ومجمل ما ذكره الله سبحانه من ذلك:³

الحاصب والصيحة والخسف والغرق: كما في قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]. فالحاصب: عذاب يحصبهم ويرميهم بالحجارة، فهو ريح شديدة معها حجارة متتابعة، مثل ما حصل لقوم عاد.

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (323/5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (512)

² انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (62/6) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (2358/3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (958)

³ انظر: سعيد محمد بابا سيلا، أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، دار الحكمة - بريطانيا، الطبعة الأولى 1420هـ (81-55)

والصيحة: صوت شديد مرتفع لا يطاق, مثل ما حصل لقوم ثمود ولوط وشعيب. والخسف: هو ابتلاع الأرض, كما حصل لقارون. والغرق: مثل ما حصل لقوم نوح وفرعون وقومه.¹

الرجفة والصاعقة وقلب الديار والمسح: والرجفة: الزلزلة الشديدة,² مثل ما حصل لقوم شعب وثمود, قال تعالى عنهما: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 78]. والصاعقة: الصيحة المهلكة,³ مثل ما حصل لقوم ثمود, قال تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الذاريات: 44]. وقلب الديار: كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: 82]. وكان هذا هلاك قوم لوط. **والمسح:** كان لأصحاب السبت من اليهود, كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: 166]. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك يحصل في آخر الزمان لقوم من الفساق الماجنين من هذه الأمة,⁴ لكن اختلف أهل العلم, هل يحصل ذلك حقيقة أم أنه كناية عن تبدل أخلاقهم.⁵

وهذه الأمة المحمدية عصمها الله سبحانه من هذا العذاب العام المستأصل, لكن عذابها يكون بالتفرق والاختلاف والعداوة التي تكون بينهم. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (سألت ربي ثلاثاً, فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة, سألت ربي: أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها, وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها, وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)⁶ وهذا هو الحاصل, وهو من معجزاته ودلائل نبوته عليه الصلاة والسلام.⁷

ثانياً: العداوة والبغضاء بين الناس

¹ انظر: السعدي, تيسير الكريم الرحمن (631) التفسير الميسر (401)

² انظر: نخبة من العلماء, التفسير الميسر (160)

³ انظر: جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي, تفسير الجلالين (695)

⁴ انظر: ما رواه البخاري, كتاب الأشربة, باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه, رقم (5590)

⁵ انظر: ابن حجر العسقلاني, فتح الباري (56/10)

⁶ رواه مسلم, كتاب الفتن وأشراف الساعة, باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض, رقم (2890) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

⁷ انظر: النووي, المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (16/18)

من آثار الانحراف على المجتمع العداوة والبغضاء التي تكون بين الناس، وما يحصل بينهم من الخصومات ومن كراهية بعضهم لبعض وتعدي بعضهم على بعض.¹ وذلك إما أن يكون بشكل مباشر، مثل ما ينتج من الخمر والميسر والنميمة والظلم وغير ذلك. أو بشكل غير مباشر، وهو ما يكون من الوحشة والنفور الذي يجده المنحرف تجاه إخوانه.² وما يكون من تأثير المعاصي على القلب، وما يحصل فيه من الظلمة وإضعاف باعث العمل فيها، وحب الخير للناس، وغير ذلك، كما تقدم من تأثيرها على دين المرء.

أما الأول فأمره واضح، كما قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: 91]. "فإن في الخمر من اغلاب العقل وذهاب حجاءه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصاً إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء"³ وهكذا النميمة وما يحصل فيها من التجسس ونقل الأخبار على جهة الإفساد بين الناس،⁴ ومثل ذلك ما يحصل من بيع المسلم على بيع أخيه ومن خطبته على خطبته،⁵ وغير ذلك.

وأما الثاني، فمثل ما حصل لليهود والنصارى، حين بدلوا دينهم وانحرفوا عنه، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، فصار بينهم من العداوة والبغضاء والشرور والإحسان، ما مزقهم وشتت شملهم. قال تعالى في النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [المائدة: 14]. وهذا أمر مشاهد من طوائف

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (249/4) (273/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1471/2) (229/1)

² انظر: ابن القيم، الداء والدواء (134)

³ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (243)

⁴ انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (473/10)

⁵ انظر: ما رواه البخاري، كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه، رقم (2139) ومسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه، رقم (1412)

النصارى على اختلاف أجناسهم، حيث يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا.¹ وقال تعالى في اليهود: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [المائدة: 64]. فلا تجتمع قلوبهم، ولا تتفق كلمتهم، بل العداوة واقعة بينهم إلى يوم القيامة، لأنهم لا يجتمعون على الحق ولا يتبعونه.²

قال قتادة: "إنَّ القوم لما تركوا كتاب الله، وعصَوْا رسله، وضيّعوا فرائضه، وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، بأعمالهم أعمالِ السوء، ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره، ما افترقوا ولا تباعضوا"³

وهذا ما حصل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أيضا كما تقدم، ولا يحتاج إلى كثير شرح، فالواقع خير شاهد على ذلك. فلا يجمع بين الناس مثل الإيمان والتقوى، ولا يفرق بينهم مثل الكفر والانحراف، وأكبر مثال على ذلك ما وقع للأنصار. فانظر كيف كان حالهم من العداوة والاقتتال قبل الإسلام؟! ثم كيف صاروا إلى التآخي والتلاحم بعده؟!

ثالثا: زوال الأمن والنعم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]. أي: لا يغير ما بهم من النعم فيزيلها، حتى يغيروا ما هم عليه من الطاعة بالمعصية والانحراف. قال الرازي: "كلام جميع المفسرين يدل على أن المراد لا يغير ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد"⁴

وضرب الله لذلك مثلا بقرية كانت آمنة مطمئنة، وهي مكة عند جمهور المفسرين، لا يُخاف فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، مع ما كان يصلهم من الرزق الواسع من جميع النواحي. فلما جاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، ويدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن سفاسفها، كذبوه

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (67/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (266) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (110)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (147/3)

³ ابن جرير، جامع البيان (137/10)

⁴ انظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (20/19)

وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع والخوف وذلك بسبب انحرافهم وكفرهم وعدم شكرهم.¹ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112] .

وذكر سبحانه أيضا مثالا آخر، للاعتبار والاتعاظ، وهي قبيلة (سبأ) قرية معروفة باليمن وكانت بلدة كريمة التربة حسنة الهواء، وكان لهم بستانان عن يمين وشمال ورزق واسع. وكانوا يتنقلون في أسفارهم بكل سهولة وأمان. لكنهم لما أعرضوا عن أمر الله وتركوا شكر نعمه وكفروها وكذبوا الرسل، أرسل الله عليهم السيل الجارف الذي خرب السد وأغرق البساتين، وبدلهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتي ثمر مر كربه الطعم، وشجر لا ثمر له، وقليل من شجر النبق كثير الشوك. وبالأمن في أسفارهم مخاوف ومخاطر. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ لَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾ [سبأ: 17] . يعني: ذلك الجزاء بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نِعَم الله. ولا يجازى بذلك إلا الكفور.² وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: 19] . أي: صاروا أحاديث وعبرة لمن جاء بعدهم، يعتبر بمصيرهم.³

المطلب الرابع: آثار الانحراف الأخروية

يدخل في مسمى الآخرة كل ما يكون بعد الموت،⁴ فيشمل ذلك ما يكون في الحياة البرزخية في القبر، وما يكون في الموقف في عرصات يوم القيامة، ثم ما يكون في المال الأخير من الجنة أو النار. فالآثار الأخروية هي ما يكون في القبر من العذاب، وما يكون في عرصات يوم القيامة عند

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (309/17) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (194/10) ابن كثير ، تفسير

القرآن العظيم (607/4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (451)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (677) التفسير الميسر (430)

³ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (178/22)

⁴ انظر: عمر بن سليمان الأشقر، القيامة الكبرى، دار النفائس - الأردن، الطبعة السادسة 1415 هـ (19) محمد بن صالح ابن

عثيمين، شرح العيدة الواسطية، دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة السادسة 1421 هـ (107/2) محمد عميم الإحسان

البركتي، التعريفات الفقهية (11)

البعث والحشر من الكروب والشدائد، ثم ما يكون في جهنم من العذاب المهين. وقد بين الله سبحانه كل ذلك وفصله في كتابه، تحذيرا للناس وتخويفا لهم. وتفصيل ذلك كالتالي:

أولا: العذاب في القبر

دل القرآن الكريم والسنة النبوية على ثبوت عذاب القبر، على من كان مستحقا له من أهل الفجور والانحراف. ومن أصرح ما جاء في ذلك،¹ قوله تعالى في آل فرعون: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]. وهذا في القبر. وليس المراد به يوم القيامة، لأنه قال بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ الآية، ولم يحصل ذلك في الدنيا أيضا، لأنهم غرقوا وماتوا وما عرضوا على النار. فتعين أن يكون ذلك العرض قبل قيام الساعة في القبر.² قال ابن كثير: "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور"³

ومن ذلك أيضا، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]. فقلوه: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ يدل على أن هذا الخطاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده، فالعذاب حصل حينئذ في القبر.⁴

أما السنة فهي متواترة في إثبات عذاب القبر ونعيمه،⁵ ومن ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال: (نعم، عذاب القبر) قالت

¹ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (82/9)

² انظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (521/27)

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (146/7)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (264)

⁵ انظر: محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة العاشرة 1417هـ (578/2)

عائشة رضي الله عنها: "فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر."¹

وقد أنكر بعض الناس عذاب القبر ونعيمه, وقالوا: إننا نفتح القبر فلا نرى شيئاً من ذلك. والجواب: أن هذا من الغيب الذي لا يمكن للإنسان إدراكه, إذ إن إدراكه محدود, فهو لا يرى الجن ولا الملائكة والسموات, ولا يدرك حتى حقيقة الروح التي بين جنبيه. ولو أطلع الله عباده على ذلك لزالَت الحكمة من التكليف بالإيمان بالغيب, ولما تدافن الناس. ومثل ذلك في الواقع المحسوس النوم, وهو أخو الموت, فتجد النائم يرى ما يرى في نومه وربما تألم بذلك وتعذب, ولا يشعر به أحد ممن حوله ولا يعلم بما هو فيه من العذاب ولا يراه ولا يحس به.²

وهذا العذاب الذي في القبر يكون مجملاً ومفصلاً, أما المجمال فما يكون من العذاب العام على الكفر بالله ومعصيته. وأما المفصل فمثل ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من عذاب النمام والذي لا يستتر من بوله,³ ومثل ما ذكر من عذاب الزنا والزنا والكذب وغير ذلك.⁴

ثانياً: في عرصات يوم القيامة

والمقصود به ما يكون عليه الناس من أهل الكفر والانحراف في الموقف يوم القيامة حين يخرجون من قبورهم, من الخوف والفرع, ومن الذلة والحسرة والندم, ومن الفضيحة والعار, ومن الكروب والشدائد. وما يُعذب به بعض أصناف المنحرفين في المحشر قبل دخول النار, من أمثال مانعي الزكاة, والمتكبرين, وغيرهم ممن جاء ذكرهم في القرآن والسنة.

قال تعالى في وصف المشركين وأهل الباطل حين يخرجون من قبورهم¹: ﴿خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [المعارج: 44]. "ذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم, واستولى على أفئدتهم, فخشعت

¹ رواه البخاري, كتاب الجنائز, باب ما جاء في عذاب القبر, رقم (1372) ومسلم, كتاب الكسوف, باب ذكر عذاب القبر في صلاة الكسوف, رقم (903)

² انظر: محمد بن صالح ابن عثيمين, نبذة في العقيدة الإسلامية, دار الثقة - مكة, الطبعة الأولى 1412هـ (58) صالح بن فوزان الفوزان, الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد, دار ابن الجوزي, الطبعة الرابعة 1420هـ (278)

³ انظر: ما رواه البخاري, كتاب الجنائز, باب عذاب القبر من الغيبة والبول, رقم (1378) ومسلم, كتاب الطهارة, باب الدليل على نجاسة البول, رقم (292)

⁴ انظر: ما رواه البخاري, كتاب الجنائز, باب ما قيل في أولاد المشركين, رقم (1386)

منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات.² ويقول تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَرُهَا خُلُوعُهَا﴾ [النازعات: 8-9]. ومن العذاب والمعاناة في ذلك الموقف ما يحصل لهم من الحسرة الشديدة، حتى يعضون أنماهم من الندم والحسرة، وينادون بالويل والثبور. ومن شدة الحسرة في ذلك اليوم وكثرتها سمي بيوم الحسرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: 39]. ومن شدة الحسرة والندم يتمنى الكافر لو يصير ترابا ويسوى بالأرض. يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: 42].³ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: 40].⁴

ويفضحون أمام كل الخلائق، على رؤوس الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين وسائر البشر والجان،⁵ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: 18]. ويقول عليه الصلاة والسلام: (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدره فلان بن فلان)⁶ مع ما يكون فيه من الشدائد والكروب، والحر العظيم، وطول ذلك اليوم، وغضب الجبار سبحانه، وغير ذلك.

ومن العذاب ما يكون خاصا بأنواع من الانحرافات، كما جاء في مانعي الزكاة من أنهم يعذبون بالنار ويكوون بها وهم في العرصات قبل دخول النار. يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: 35]. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك يكون في الموقف، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، ثم يرى سبيله إلى الجنة أو إلى النار.⁷ وما جاء أيضا في الغلول، وهو الخيانة من الغنيمة ومال المسلمين.⁸

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (182/29) ابن جرير، جامع البيان (284/23)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (888)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (40/7)

⁴ انظر: ابن عثيمين، تفسير جز عم (38)

⁵ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (313/4)

⁶ رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بأبائهم، رقم (6178) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم (1736) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

⁷ انظر: ما رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (987)

⁸ انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (272/31) عمر الأشقر، القيامة الكبرى (152)

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: 161] . يعني: يأتي به حاملاً له على ظهره، يعذب بثقله، ويفضح به أمام الناس.¹ وغير ذلك مما جاء في السنة، من عذاب المتكبرين، والغادرين، والمتسولين، وغيرهم.²

ثالثاً: عذاب النار

النار أو جهنم مخلوق من مخلوقات الله، أَعَدَّهَا اللهُ لعقاب الكافرين المجرمين، وهي عظمة جدا. يؤتى بها يوم القيامة، ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.³ وهي درجات ودركات على حسب الانحراف،⁴ والمنافقون في الدرك الأسفل منها. قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: 132] . وذكر سبحانه أن لها سبعة أبواب، كل باب على حسب الانحراف. قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44] . قال ابن كثير: "كل" يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله.⁵ فإذا دخلوا أغلقت دونهم وأوصدت بعمد ممددة،⁶ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۖ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: 8-9] .

والعذاب في هذه النار عذاب جسدي، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56] . وعذاب نفسي معنوي بالتوبيخ والإهانة، كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 55] . قال ابن كثير: "وهذا عذاب معنوي على النفوس"⁷ ووصف الله سبحانه شدة حرارتها، وطعام أهلها وشرابهم ولباسهم فيها، وما هم فيه من السلاسل والأغلال، وغير ذلك. ووصف هذا العذاب بأنه عذاب أليم، عظيم، شديد، غليظ، مهين،

¹ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (256/4)

² انظر: عمر الأشقر، القيامة الكبرى (142)

³ انظر: ما رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، رقم (2842)

⁴ انظر: عمر الأشقر، القيامة الكبرى (25)

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (536/4)

⁶ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (512/2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (934)

⁷ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (289/6)

مقيم. يقول عليه الصلاة والسلام: (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل، توضع في أخمص قدميه جمرة، يغلي منها دماغه)¹

وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة أن أهل النار على نوعين. نوع خالد فيها، لا يخرج منها أبدا، واللجنة محرمة عليه. وهذا النوع هم الكفار المشركون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا [الأحزاب: 64-65]. وغير ذلك من الآيات. والنوع الآخر هم عصاة الموحدين ممن دخل النار، فإنهم وإن عذبوا على قدر أعمالهم فإنهم لا يخلدون فيها، وإنما يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. قال ابن تيمية: "وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان واتفقوا أيضا على أن نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته"²

¹ رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (6561) ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا، رقم

(213) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

² ابن تيمية، مجموع الفتاوى (222/7)

الفصل الثالث: علاج الانحراف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاج الانحراف على المستوى الفردي

المبحث الثاني: علاج الانحراف على المستوى الجماعي

المبحث الأول: علاج الانحراف على المستوى الفردي

علاج الانحراف يبدأ أولاً على المستوى الشخصي والفردي، إذ المقصود أساساً هو صلاح هذا الفرد ونجاته، ثم بصلاحه واستقامته يصلح المجتمع ويسعد. ويكون ذلك أولاً بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، لأن الهداية بيده والقلوب بين إصبعيه سبحانه. فعلى الإنسان أن يخلص الدعاء لله ويتضرع إليه ويخشع له، ويكون دائماً الإلحاح عليه أن يهديه وأن يمن عليه بالاستقامة والثبات وأن يحفظه ويقيه من الانحراف. وهذا هو هدي الأنبياء عليهم السلام والصالحون ومن تبعهم بإحسان. يدعون لأنفسهم ويدعون أيضاً لغيرهم.

ومما يعين أيضاً على علاج الانحراف ويجلب معونة الله وتوفيقه، الاعتصام بالله والتعلق به، بإقامة الصلاة والمحافظة عليها ودوام الالهج بذكره مع التوكل عليه وتعليق القلب به سبحانه وتفويض الأمور إليه، فإن ذلك يملأ القلب تعظيماً لله وينمي فيه محبته وراقبته، فيسهل عليه بعد ذلك اجتناب الانحراف ويهون عليه مفارقتها والابتعاد عنه.

ثم بعد ذلك لابد من الأخذ بالأسباب الحسية، من الحذر والاحتياط. وذلك بالبعد عن أسباب الانحراف وسد ذرائعه وقطع حباله، فيحذر من الاستماع لأهل الزيغ والانحراف، ويغض بصره عن فتنة النساء وزهرة الدنيا، ويتبعد عن أماكن الفساد والفتنة، ويعتزل أصحابها جهده. ومن الأخذ بالأسباب كذلك طلب العلم النافع الذي يعرفه بخطورة الانحراف وينجيه من شباكه، فإذا تسلح بالعلم النافع أورثه ذلك اليقين والرسوخ والعصمة من الشبهات، والوقاية من الاغترار بالدنيا والانخداع بالملذات، وحفظه من سائر الفتن المضلات.

ومع ذلك كله لابد أن يكون دائماً المحاسبة لنفسه والمجاهدة لها، مع التحلي بالصبر وتربية النفس عليه. فإن حصل ووقع في الانحراف من جديد أو عاد إليه من مكان بعيد فباب التوبة والرجوع مفتوح، وعفو الله في كل وقت موجود وممنوح. فيقلع عن ذنبه وينيب إلى ربه ويندم على مضى ويسلم إلى الله ما قضى، ثم يفتح صفحة جديدة، ويعزم على عدم العودة عزيمة أكيدة، ولو تكرر ذلك مرات عديدة، وطال أزمته مديدة. وهكذا هو مع نفسه حتى تستقيم فيصلح حاله ويتم أمره.

فحاصل علاج الانحراف على المستوى الفردي أن يتم بسبعة أمور: : الدعاء, والاعتصام بالله والتعلق به, والحذر والاحتياط, وطلب العلم, ومحاسبة النفس ومجاهدتها, والصبر, والتوبة والاستغفار. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

المطلب الأول: الدعاء

أعظم ما يستعين به الإنسان على علاج انحرافه، سواء للوقاية منه أو للبعد عنه، هو الدعاء. وهذا الذي كان عليه الأنبياء والصالحون، يدعون الله بالهداية والثبات عليها وبالنجاة من كل الانحرافات والبعاد عنها. وقد شرع الله لنا الدعاء بذلك في كل صلاة. لكن هذا الدعاء له آداب وشروط لابد من توفرها حتى يكون أقرب إلى الإجابة. وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: مفهوم الدعاء

لغة: أصل الدعاء: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. ويدخل فيه السؤال والطلب والاستعانة والاستغاثة والمناداة.¹

اصطلاحاً: سؤال العبد ربه على وجه الابتغال. فهو كلامٌ إنشائي دالٌّ على الطلب مع خضوع وابتغال.²

والدعاء من أعظم ما يستعين به الإنسان على تحقيق صلاحه واستقامته وعلاج انحرافه. فالهداية بيد الله، والقلوب بين إصبعين من أصابعه سبحانه يقلبها كيف يشاء. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23]. لذلك شرع للمسلم أن يدعو الله في كل ركعة من صلاته بالهداية، فيقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]. والهداية هنا تشمل: هداية الدلالة والإرشاد والتعليم، وهداية الإلهام والتوفيق للعمل، والثبات على ذلك إلى الممات.³

وعن شهر بن حوشب قال: قلت لأُم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (279/2) الفيومي، المصباح المنير (194/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (747/1)

² انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (315) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (95) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية 1408 (131)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (166/1) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (147/1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (39) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (1)

دينك) قالت: فقلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك! قال: (يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ)¹

وهذا الدعاء والسؤال لا يكون إلا من الله وحده سبحانه، ويجب أن يكون خالصا لوجهه لا رياء فيه ولا سمعة. ولا بد للداعي أن يتوجه إلى الله بقلب حاضر خاشع، ملحا على الله سبحانه متضرعا محبنا إليه، غير غافل ولا لاه. فكلما حقق الداعي هذه الآداب كان دعاؤه أقرب إلى الإجابة.

ثانيا: آداب الدعاء

أرشدنا الله تعالى إلى الدعاء ورغبنا فيه ووعدنا بالإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]. ثم أدبنا سبحانه وعلمنا كيف ندعوه ونتوجه إليه بالسؤال. وبيان هذه الآداب كالتالي:

أ. الإخلاص:

المقصود بالإخلاص ألا يدعو إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]. ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 106]. وإذا دعا الله سبحانه، أن يكون دعاؤه خالصا لوجه الله لا رياء فيه ولا سمعة. قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 14]. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه، ومن أهم ذلك الدعاء.² لذلك أمر الله سبحانه بإسرار الدعاء ومخافته مبالغة في الإخلاص والبعد عن الرياء، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الأعراف 55. عن الحسن قال: "لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55] ، وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا فرضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3]."³

¹ رواه أحمد، رقم (26679) والترمذي، أبواب الدعوات، رقم (3522) وقال: حديث حسن. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2091) (126/5)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (134/7) السعدي، تفسير الكريم الرحمن (734)

³ ابن جرير، جامع البيان (485/12)

ب. التضرع والخشوع:

الدعاء في أصله تضرع، وذلة وخشوع، وإقرار منك بأنك عاجز، وتطلب من ربك المدد والعون. والله سبحانه ما جعل للناس حاجات إلا من أجل ذلك. لأن الإنسان إذا رأى الأشياء متوفرة له، فقد يأخذه الغرور والإعجاب بالنفس.¹ قال تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55]. وأثنى الله سبحانه على أنبيائه بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَدِيعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]. وقال تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: 56]. أي: خوفا من عقابه، وطمعا في ثوابه، لا دعاء عبد مدل على ربه قد أعجبتة نفسه.²

ولما كان الاستثناء في الدعاء ينافي ذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)³

ج. الإلحاح وحسن الظن بالله:

على الداعي أن يكون واثقا في وعد الله بالإجابة، حسن الظن بربه. فلا يزال يدعو ويلح على الله حتى يستجاب له، ولا ييأس أو يستحسر فيترك الدعاء. وفي الحديث: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)⁴ وانظر إلى زكريا عليه السلام، يدعو الله سبحانه وكل الأسباب منقطعة، فهو كبير في السن وامرأته عاقر. لكنه مع ذلك يحسن الظن بالله ويثق في وعده ولا يفقد الأمل فيه، فيدعو الله ويقول، فيما حكاه الله عنه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38]. أي: مجيب الدعاء، وأملني فيك كذلك.⁵ ويعقوب عليه السلام ظل يدعو الله سنين لإرجاع ابنه

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (171/8) الشعراوي، تفسير الشعراوي (4174/7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (291)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (291) الشعراوي، تفسير الشعراوي (4180/7)

³ رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب ليغزم المسألة، رقم (6339) ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، رقم (2679)

⁴ رواه الترمذي، أبواب الدعوات، رقم (3479) عن أبي عريسة رضي الله عنه. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (594) (141/2)

⁵ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (238/3) الشعراوي، تفسير الشعراوي (1444/3)

يوسف عليه السلام، لكنه لم ييأس ولم يفقد الأمل في الله، فظل يدعو ويلح على الله، لأنه كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تملك هذه العصاة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِينَ﴾ [الأنفال: 9] . فأمد الله بالملائكة.¹

ثالثاً: علاج الأنبياء والصالحين انحرافهم بالدعاء

من أساليب الأنبياء في علاج الانحراف والوقاية منه: الدعاء. وهذا ما جاء واضحاً في قصصهم. والدعاء في هدي الأنبياء من أعظم ما ذكره الله سبحانه وأخبر به عنهم، إذ كان لسانهم لا يفتقر عن ذكر الله ودعائه. يدعون الله بالهداية والثبات، ويستعيذون به من الانحراف والضلال، ويدعون كذلك لغيرهم من أقوامهم وأهليهم. وبيان ذلك كالتالي:

أ. الدعاء بالهداية والثبات:

ومن الدعاء بالهداية: دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالهداية للإسلام، قال تعالى فيما حكاه عنهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: 128] . يعني: اهدنا لنكون منقادين لك خاضعين مطيعين لأمرك.² وسليمان عليه السلام أيضاً، إذ كان من دعائه فيما حكاه الله عنه: ﴿وَأَنْ

¹ رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم (1763)

² انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (386/1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (66)

أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿[النمل: 19] . أي: اهديني وفقني للعمل الصالح، واجعلي مع الصالحين وأدخلني في جملتهم.¹

ومن الدعاء بالثبات: دعاء يوسف عليه السلام بالثبات على الحق حتى الممات، قال تعالى فيما حكاه عنه من دعائه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101] . يعني: أدم عليّ الإسلام وثبني عليه حتى توفاني عليه، وليس هذا من قبيل تمني الموت واستعجاله، وإنما هو دعاء بالثبات حتى الممات.² وهذا ما ذكره الله سبحانه أيضا من دعاء الراسخين في العلم، حيث يدعون الله ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: 8] .³ وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).⁴

ب. الدعاء بالوقاية من الانحراف:

ومن ذلك: دعاء إبراهيم عليه السلام للوقاية من عبادة الأصنام، قال تعالى فيما حكاه عنه من دعائه: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] . يعني: اجعلي وإياهم جانبا بعيدا عن عبادتها، وقنا واحفظنا من فتنها.⁵ ودعاء امرأة فرعون، حيث دعت الله أن ينجيها من فتنة فرعون وتعذيبه وصده عن سبيل الله ومن كفره وظلمه، ومن فتنة كل ظالم. قال تعالى فيما حكاه من دعائها: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11] .⁶ ومن ذلك دعاء المؤمنين بإزالة الغل من قلوبهم تجاه إخوانهم، قال تعالى فيما حكاه من دعائهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: 10] .

¹ انظر: علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط (147/17) ابن عاشور، التحرير والتنوير (244/19) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (602)

² انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (269/9) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (406)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (211/6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (122)

⁴ رواه أحمد، رقم (12107) والترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم (2140) وقال: حديث حسن. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2091) (126/5)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (17/17) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (426)

⁶ انظر: ابن جرير، جامع البيان (500/23) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (335/5) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (203/18)

ومن ذلك أيضا: الدعاء على المنحرفين الذين يضلون الناس ويصدون عن سبيل الله. كما دعا نوح عليه السلام على قومه عندما علم بأنهم لن يؤمنوا، وأنهم يصدون غيرهم عن الإيمان، ويربون أولادهم على ذلك. قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 26-27]. وعلم ذلك إما بوحي من الله أو عن طريق الخبرة بهم والتجربة لحالهم.¹ ومثله دعاء موسى عليه السلام على فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88].

ج. الدعاء للغير:

الأنبياء يدعون لأقوامهم وأهلهم وذرياتهم بالهداية والوقاية من الانحراف. ومن ذلك: دعاء إبراهيم عليه السلام، قال تعالى فيما حكاه من دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 40]. يعني: مديما على إقامة الصلاة. و(من) ابتدائية وليست للتبعيض، لأن إبراهيم عليه السلام لا يسأل الله إلا أكمل ما يحبه لنفسه ولذريته.² وقال قبل ذلك أيضا، كما تقدم: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]. ومن ذلك: دعاء امرأة عمران لابنتها مريم وذريتها من بعدها، قال تعالى فيما حكاه من دعائها: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]. وقولها ذلك على أساس أن الأنثى تتزوج ويكون لها ذرية، لكن الله أراد لها أمرا آخر.³

وهذا هو هدي الصالحين عموما يدعون الله سبحانه بصلاح أهلهم وذرياتهم، لأنهم يعلمون أن الله هو الهادي، وأن قلوب العباد بيده يصرفها كيف يشاء. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (642/23) ابن عاشور، التحرير والتنوير (214/29) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (889)

² انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (343/3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (244/13)

³ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (238/3)

هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿ [الفرقان: 74] . يعني: تسر أعيننا برؤيتهم على الطاعة والصلاح.¹

رابعاً: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لقومه بالهداية

وصف الله سبحانه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه حريص على هداية الناس ونجاتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] . لذلك كان عليه الصلاة والسلام يجتهد في دعوتهم ويستعمل كل الوسائل والأساليب لهدايتهم، ومن ذلك الدعاء لهم بالهداية.

وكان دعاؤه عليه الصلاة والسلام بالهداية والنجاة لأمته على سبيل العموم، وربما دعا لقبيلة معينة أو لأشخاص معينين في ظروف خاصة. وهذه بعض النماذج:

دعاؤه لأمته عموماً:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36] الآية، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118] ، فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي) وبكى، فقال الله عز وجل: (يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟) فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله: (يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك)² وقد بوب له النووي بقوله: "باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وبكائه شفقة عليهم"

دعاؤه لقبيلة معينة:

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (318/19) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (222/4) فخر الدين الرازي،

مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة 1420 هـ (486/24)

² رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، رقم (202)

ومن ذلك دعاؤه لدوس بالهداية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: (اللهم اهد دوسا وأت بهم)¹ وكان الطفيل قد أسلم ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، لكن أبطأوا حتى يأس منهم. فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب أن يدعو عليهم، فدعا لهم فأسلموا، ثم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة للهجرة.²

دعاؤه لأشخاص معينين:

كما دعا لأبي هريرة، حيث يحكي ذلك أبو هريرة فيقول: كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتهما يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتهما اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اهد أم أبي هريرة) فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت بصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أُمِّي خشف قدمي،³ فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها. ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحبني أنا وأُمِّي إلى عباده المؤمنين ويحبهم إلينا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم حب عبديك هذا يعني: أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحب إليهم المؤمنين) فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.⁴

¹ رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين، رقم (6397) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار، رقم (2524)

² انظر: صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (409)

³ مجاف، يعني: مغلق. خشف قدمي، يعني: صوتهما. انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (52/16)

⁴ رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة، رقم (2491)

المطلب الثاني: الاعتصام بالله والتعلق به

الاعتصام بالله والتعلق به وحسن الصلة به يقي المسلم من الانحراف, ويسهل عليه اجتنابه والبعد عنه. وذلك مثل الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر, والذكر الذي ينمي في النفس تعظيم الله ومراقبته, والتوكل على الله وتعليق القلب به الذي يثمر كفاية الله وتوفيقه.

وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

أولاً: مفهوم الاعتصام بالله والتعلق به

لغة: الاعتصام هو: التشبث والتمسك والملازمة.¹ والتعلق: هو الاستمسك بالشيء وحبه وميلان القلب إليه.²

اصطلاحاً: المقصود بالاعتصام بالله هنا والتعلق به هو: التمسك به واللجوء إليه ودوام ذكره والصلة به والتوكل عليه والاستعانة به.

وليس المقصود هنا الدعاء, ولكنه شيء أعم من الدعاء. وهو عبارة عن الحالة التي يكون عليها العبد من القرب من الله ودوام ذكره وتقواه, والتوكل عليه والاعتماد عليه وتعليق القلب به. فإن ذلك يسهل عليه البعد عن المعاصي والانحراف. فكلما كان العبد من الله أقرب وله أتقى كلما سهل عليه تجنب الانحراف, وكلما كان من الله أبعد كلما صعب وتعسر عليه الابتعاد عن المعاصي والانحراف. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ﴾ [الليل: 5-10]

ومعنى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: بلا إله إلا الله, وبالجنة وثواب الله, وبالخلف من الله.³ وتيسيره لليسرى, أي: تسهيل عمل الخير له الموصل إلى الجنة.⁴ ومعنى: ﴿أَسْتَغْنَى﴾ أي: استغنى عن

¹ انظر: أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (331/4) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (1510/2)

² انظر: أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (125/4) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (1538/2)

³ انظر: محمد بن أحمد القرطبي, الجامع لأحكام القرآن (83/20) علي بن أحمد الواحدي, التفسير البسيط (503/4) ابن قيم, التبيان في اقسام القرآن, دار المعرفة- بيروت (58)

⁴ انظر: محمد بن أحمد القرطبي, الجامع لأحكام القرآن (83/20) علي بن أحمد الواحدي, التفسير البسيط (503/4)

ربه، فلم يرغب في طاعته وترك عبوديته، ورأى أنه في غنى عن رحمته.¹ فهذا يسهل له عمل الشر، الموصل إلى النار والعياذ بالله.² قال ابن القيم: "والتييسر للعسرى يكون بأمرين: أحدهما: أن يحول بينه وبين أسباب الخير، فيجري الشر على قلبه ونيتته ولسانه وجوارحه. والثاني: أن يحول بينه وبين الجزاء الأيسر، كما حال بينه وبين أسبابه"³

ويدخل هذا أيضا في معاني معية الله لعباده المحسنين، وذلك بالهداية والتوفيق للعمل الصالح، وتيسير فعل الطاعات واجتناب المحرمات.⁴ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]. والإحسان كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)⁵ وهذا هو معنى الاعتصام بالله والتعلق به، أن يستحضر العبد دائما معية الله سبحانه له، وأن يعمر قلبه بذكره.⁶ ويدخل في ذلك التعلق بالقلب والأقوال والأعمال، بالتوكل على الله ودوام ذكره والصلاة له.

ثانيا: الصلاة

الصلاة توجه إلى الله سبحانه وتقرب منه ووقوف بين يديه. وفيها من الخشوع والانكسار والتذلل والتضرع بالركوع والسجود والذكر ما يجعل قلب العبد يستنير، وفؤاده يتطهر، فتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر. وهذا من أعظم مقاصد الصلاة، أن تنهى الإنسان وتبعده عن الانحراف.⁷ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45].

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (471/24) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (926)

² انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (84/20) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (926)

³ ابن قيم، التبيان في اقسام القرآن (62)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (635)

⁵ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (50) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبين خصاله، رقم (9) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

⁶ انظر: ابن حجر، فتح الباري (120/1)

⁷ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (632)

والفحشاء: ما فحش وقبح من العمل، والمنكر ما تنكره الشريعة والعقل. فيشمل بذلك جميع أنواع الانحراف.¹

والمقصود هو إقامة الصلاة وإتمامها بأركانها وشروطها وخشوعها، فلم يقل: (صل) وإنما قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾. قال أبو العالية: "إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله. فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر القرآن يأمره وبينها.²

فإذا كان الإنسان من أهل الصلاة فإن هذه الصلاة تبعده عن جميع أنواع الانحراف، في علاقته مع الله أو علاقته مع الناس، كما أخبر سبحانه عن شعيب عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: 87]. يعني: من التطفيف في الكيل والميزان.³ فتأمره بإصلاح علاقته مع الله بتوحيده وإخلاص الدين له والبعد عن الشرك. وإصلاح علاقته مع الناس، بإيفائهم حقوقهم والبعد عن ظلمهم والتطفيف في حقهم.

والمقصود أيضا إدامة هذه الصلاة والمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: 23]. وقال تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: 92]. فحتى لو كان الإنسان على شيء من الانحراف فإن المحافظة على هذه الصلاة سينهاه حتما ولو بعد حين، وسيصلحه ولو شيئا فشيئا. فعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق! فقال عليه الصلاة والسلام: (إنه سينهاه ما يقول)⁴

بل إن مجرد كونه في الصلاة فإن ذلك يشغله عن المعصية، ويحول بينه وبين إتيان الفواحش. خصوصا إذا كانت الصلاة في المسجد، فإن ذلك يحتاج إلى وقت وعمل، وكل ذلك يجعل العبد في

¹ انظر: علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط (421/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (632)

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (282/6)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (450/15) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (343/4)

⁴ رواه أحمد، رقم (9776) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (3482) (1405 /7)

طاعة ومعروف ويبعده عن الشر. كما قال ابن عون: "إذا كنت في صلاة، فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر."¹

لذلك أمر الله سبحانه بالاستعانة بالصلاة في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45]. فالصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه. فإذا كانت هذه الصلاة صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها، وحصل فيها حضور القلب، فلا جرم أنها من أكبر المعونة على جميع الأمور. خصوصاً في علاج الانحراف، لأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة يوجب للعبد في قلبه وصفا داعياً إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه. ولأن في الصلاة أيضاً تلاوة لكتاب الله، وفيه تذكير بالآخرة وتحذير من الاغترار بالدنيا وحث على الطاعة وزجر عن المعصية.² لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.³

ثالثاً: ذكر الله

المداومة على ذكر الله تجعل العبد يقضاً منتبهاً، قلبه ممتلئ بعظمة الله ومراقبته، يرى الله ويرى جزاءه وعقابه ماثلاً أمامه. وذكر الله يحصن العبد من الشيطان، فإن الشيطان لا يجد سبيلاً إلى ابن آدم إلا عند غفلته. وذكر الله أيضاً يمنح الإنسان قوة، يستعين بها على تحمل المشاق، وعلى الصبر في الابتعاد عن الانحراف. قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]. قال بعض المفسرين: أي: ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة، لأنها في بعض الأوقات دون بعض.⁴

إن من أعظم أسباب الانحراف: الشيطان الرجيم، بما يوسوس للإنسان من الشر ويزين له من الباطل. لكن هذا الشيطان لا يجد سبيلاً إلى قلب ابن آدم إلا عند غفلته عن ذكر الله، لذلك وصفه الله سبحانه بـ(الخناس). قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 1-4]. والخناس: من الخنوس وهو الاختفاء والتواري. فهو يوسوس

¹ ابن جرير، جامع البيان (42/20)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (12، 11/1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (252/1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (74)

³ انظر: ما أبو داود، كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، رقم (1319) وحسنه الألباني، صحيح أبي داود (65/5)

⁴ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (127/12)

عند الغفلة ويختفي عند ذكر الله.¹ قال ابن عباس: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس."² وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه: (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى)³ فهو هكذا، يهرب عند الذكر ثم يقبل عند عدمه.

وذكر الله يجعل قلب العبد حيا ذا بصيرة، يخاف الله ويعظمه، ويبصر هداه، ويبصر مكائد الشيطان، ومواطن الزلل ومضلات الفتن. فحتى وإن حصل منه غفلة أو ضعف فبمجرد ذكر الله ينتهي ويرجع. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]. أي: تذكروا أمر الله ونهي، وعقابه وثوابه، ووعدته ووعدته، وتذكروا مكائد الشيطان وإغوائه، وما أمر الله من الالتجاء إليه.⁴ فإذا هم مبصرون: أي: يبصرون بقلوبهم بسبب ذلك التذكر هدى الله ومكائد الشيطان ومواطن الانحراف فينتهون عن معصيته سبحانه.⁵ ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 135]. والفاء تفيد التعقيب، أي: أن ذلك يكون مباشرة من غير توان ولا تأخر.

والذكر يكسب العبد قوة ونشاطا، تسهل عليه الصعاب وتكون عليه المشاق. وعلاج الانحراف والبعد عن المعاصي خاصة إذا ألفها الإنسان يحتاج إلى عزيمة وإرادة وإلى قوة وثبات وتحمل. لذلك لما أمر الله سبحانه بالجهاد وهو شاق على النفوس أمر بما يعين عليه وعلى الثبات فيه، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45].

¹ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (300) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (529/2) محمد الأمين

الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (178/9) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (223/2)

² ابن جرير، جامع البيان (710/24)

³ رواه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، رقم (608) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في

الصلاة، رقم (389) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁴ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (453/9)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (334/13) ابن عاشور، التحرير والتنوير (233/9)

أي: "استعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر الله.. فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر." ¹

ولما كان للنبي صلى الله عليه وسلم شواغل وأعباء في يومه أمره الله سبحانه بذكر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۖ وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 7-8]. قال السعدي: "وذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال وفعل الثقيل من الأعمال" ²

وهذا الذي أمر الله به أيضا موسى وهارون عليهما السلام عند الذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الله. قال تعالى: ﴿أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: 42]. أي: إلزما ذكر الله ولا تفترا عنه ولا تتعبا منه. قال ابن جرير: "فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما" ³

وعن علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: (على مكانكما). فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: (ألا أعلمكما خيرا مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم) ⁴ قال ابن القيم: "قيل أن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنيه عن خادم." ⁵

وقال أيضا رحمه الله ضمن سرده لفوائد الذكر: "ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يجيبها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له ويجعل قرّة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك." ⁶

رابعاً: التوكل على الله والاستعانة به

¹ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (322)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (892) (322)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (312/18)

⁴ رواه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب، رقم (3705) ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسييح أول النهار وعند النوم، رقم (2727)

⁵ ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الثالثة 1999 م (77)

⁶ ابن القيم، نفس الرجوع (76) وقد ذكر أكثر من سبعين فائدة من فوائد ذكر الله.

التوكل على الله والاستعانة به هو: الاعتماد عليه وتفويض جميع الأمور إليه وتعليق القلب به، مع حسن الظن به والثقة بكفايته. فإذا كان العبد كذلك فإن الله يكفيه ما أهمه وينجز له ما يريد.

ومن أعظم ما يتوكل فيه العبد على ربه؛ استقامته وصلاحه ووقايته سبل الانحراف.¹ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]. "أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به."²

وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام يتوكلون على الله في الصلاح والإصلاح، ويرشدون أقوامهم إلى التوكل على الله. قال تعالى في حكاية جواب الرسل لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12] يعني: كيف لا نتوكل عليه وهو قد أرشدنا ووقفنا للصلاح والاستقامة وسلوك سبيله الموصل إلى جنته؟ ونصبر على أذاكم، ونتوكل عليه أيضا في دعوتكم وإصلاحكم.³ قال السعدي: "واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم وهذا أكمل ما يكون من التوكل"⁴ وقال تعالى حاكيا عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]. وقال تعالى لبنينا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: 79]. إلى غير ذلك من الآيات.

وهكذا أيضا إرشاد الأنبياء أقوامهم إلى التوكل على الله في صلاح شؤونهم وثباتهم على دينهم وتوقيهم سبل الانحراف ومضلات الفتن. ومن ذلك إرشاد موسى عليه السلام قومه من بني إسرائيل إلى التوكل على الله لمواجهة فتنة فرعون وملئه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

¹ انظر: حافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (445/2)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (869)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (539/16) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (483/4) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل

(410/1)

⁴ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (422)

قَهْرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ﴿[الأعراف: 127-128]﴾ . يعني: في مواجهة فتنة فرعون. وقال أيضا: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٨﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 84-85] .

لذلك كثيرا ما يجمع الله سبحانه بين العبادة وبين الاستعانة أو التوكل في القرآن الكريم. لأنه لا قيام بالعبادة على الوجه الأكمل إلا بمعونة الله، والتفويض إليه، والتوكل عليه. كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] . وفي قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123] .¹

والعبد إذا كان من أهل الإيمان والتوكل على الله فإن الشيطان - الذي هو من أعظم أسباب الانحراف - لا يستطيع التأثير فيه، ولا يكون له سلطان عليه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 99-100] . أي: ليس له طريق يتسلط به عليهم: لا من جهة الحجة والبرهان، ولا من جهة القدرة والتسلط.²

أما قول الشيطان للكفار يوم القيامة فيما حكاه الله عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: 22] . فالمقصود الإجبار أو البرهان كما تقدم. أو يكون المعنى كما قال ابن القيم: "والله سبحانه لم يجعل للشيطان على العبد سلطانا، حتى جعل له العبد سبيلا إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حينئذ له عليه تسلا وقهرا. فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. فالتوحيد والتوكل والإخلاص يمنع سلطانه، والشرك وفروعه يوجب سلطانه."³

المطلب الثالث: الحذر والاحتياط

بعد الدعاء والتعلق بالله والتوكل عليه لابد من بذل الأسباب. وأول خطوة في علاج الانحراف والوقاية منه هو الحذر والاحتياط، وذلك بالبعد عن وسائله وقطع كل حباله. كاجتناب الاستماع لأهل الزيغ والضلال، والبعد عن الصحبة السيئة والمحيط المنحرف، وغض البصر عن مفاتن النساء وزهرة الحياة الدنيا. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

¹ انظر: محمد بن صالح ابن عثيمين، تفسير جزء عم (18)

² انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، مكتبة المعارف - الرياض (98/1)

³ ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (101/1)

أولاً: مفهوم الحذر والاحتياط

لغة: الاحتياط: هو الحذر والاحتراز والأخذ بأوثق الوجوه وأسلمها.¹ والحذر قريب منه: وهو التحرز والتيقظ.²

اصطلاحاً: حفظ النفس عن الوقوع في المأثم.³

والمقصود أن الإنسان يحذر من الطرق المؤدية إلى الانحراف، كالتوسع في المباحات، وتعاطي المتشابهات، والتهاون في الصغائر. وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم للمحرمات بالحمى التي يتخذها الملوك، فإن الذي يرعى حولها، وإن كان يرعى في أرضه الحلال، فإنه لا يأمن أن تدخل بهائمه فيها، ويصعب عليه منعها. فعليه أن يترك مسافة احتياط، حذراً من التسلل إلى هذه الحمى.⁴ قال عليه الصلاة والسلام: (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ألا وإن لكل ملك حمى. ألا وإن حمى الله محارمه)⁵

لذلك يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: 187]. ولم يقل: (فلا تفعلوها) "لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه. والعبد مأمور بترك المحرمات، والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يدعو إليها"⁶ ويقول عليه الصلاة

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (120/2) الفيومي، المصباح المنير (156/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (583/1)

² انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (37/2) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (461/1)

³ انظر: محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (18) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (265)

⁴ انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، دار السلام، الطبعة الثانية 1424 هـ (216/1) محمد بن صالح ابن عثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الشريعة-السعودية، 1424 هـ (107)

⁵ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (52) ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، باب (1599) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

⁶ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (87)

والسلام: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس)¹ وقال أبو الدرداء: "تمام التقوى أن يتقي الله العبد، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراما، حجابا بينه وبين الحرام."² وقال الحسن: "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام."³

ومن قواعد الشرع العظيمة قاعدة (سد الذرائع). فكل ما يوصل إلى محرم أو مفسدة فإنه يُمنع، ولو كان جائزا في نفسه، سدا لوسائل وطرق الحرام والانحراف.⁴ كمنع سب آلهة المشركين، والأمر بغض البصر، وتحريم الخلوة بالأجنبية، وغير ذلك.⁵

ومن باب أولى الحذر بترك الذنوب والمعاصي، ومخالفة أمر الله ورسوله. فلا يحتقر الإنسان شيئا من المعاصي والمخالفة. لأنها تؤدي إلى الضلال، والعياذ بالله. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: 63]. ومعنى الفتنة هنا: أن يضلهم الله بسبب مخالفتهم أمر الله ورسوله، وهو الذي تدل عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]. وغيرها من الآيات.⁶

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه). وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (2451) وابن ماجه، أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم (4214) عن عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه الألباني، انظر: أبو الحسن الشيخ، تراجمات الألباني، رقم (6)

² ابن رجب، جامع العلوم والحكم (217/1)

³ ابن رجب، نفس المرجع والصفحة

⁴ انظر: عبد الكريم النملة، المهذب في أصول الفقه المقارن (1016/3) عياض بن نامي السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (211)

⁵ انظر: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ (110/3) وقد ذكر 99 مثالا.

⁶ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (560/5)

ضرب لمن مثلاً: (كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها)¹

ومن مجالات الحذر والاحتياط المهمة، والتي جاء التأكيد عليها في كتاب الله: الحذر من الاستماع لأهل الزيغ والضلال ولما يلقونه من الشبهات، حتى لا يلبسوا عليه. والحذر من الصحبة السيئة ومن المحيط الملوث، لئلا يفتن في دينه. والحذر من فتنة النساء والدنيا وغض البصر عنهما، حتى لا يقع في الفاحشة والحرام.

ثانياً: الحذر من أهل الزيغ

تقدم بيان خطورة أهل الزيغ ودعاة الضلال، وأنهم من أعظم أسباب الانحراف، وقد أضلوا كثيراً من الناس. لذلك يتأكد الحذر منهم، خصوصاً إذا كان الإنسان ضعيف الإيمان واليقين، وغير مسلح بالعلم الراسخ المتين. وذلك لما يلقونه من الشبهات، وما ينمقون من العبارات، وما ينشرون من زخرف المقالات. عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم).² يقول الذهبي رحمه الله: "أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة"³

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: 68]. و"المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها،

¹ رواه أحمد، رقم (22809) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (389) (744/1)

² رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {منه آيات محكمات}، رقم (1422) ومسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم (2665)

³ محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405 (261/7)

ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله¹ والإعراض عنهم: بالبعد عنهم وعدم مجالستهم والسماع منهم.²

وهكذا كان هدي السلف رضوان الله عليهم، فقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي: اسمع مني كلمة، فأعرض عنه وقال: ولا نصف كلمة. ومثله عن أيوب السخيتاني.³ ودخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالوا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا، لتقومن عني أو لأقومن.⁴

ولا يغتر الإنسان بنفسه، فيقول: أنا لا يمكن خداعي، وأنا واثق من نفسي. فإن أهل الباطل يتفنون في تزيين باطلهم، وترويج ضلالهم. خاصة في هذا العصر ومع تطور وسائل الإعلام. فإن السلامة لا يعدلها شيء، والمسلم العاقل لا يخاطر بدينه. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالبعد عن الدجال وعدم السماع منه، رغم أنه عليه السلام بين فتنته ووصفه وصفا دقيقا، يعرفه كل من أدركه من المؤمنين ورآه. قال عليه الصلاة والسلام: (من سمع بالدجال فليأمن عنه، فوالله إن الرجل ليأمنه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات)⁵

ثالثا: غض البصر

من الفتن العظيمة التي تغري الإنسان وتفتنه: الدنيا ببهجتها وزخرفها وزينتها، والنساء بجمالهن ومحاسنهن ومفاتنهن. لذلك قال عليه الصلاة والسلام: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء)⁶ فعلى المسلم الحريص على نجاته، الخائف من سبل الانحراف، أن يحذر أشد الحذر منهما، وأن يحتاط لنفسه. وأمنع حصن يقيه حبال هذه الفتن، ويقطع جذورها من الأساس هو غض البصر.

¹ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (260)

² انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (13/7)

³ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، نفس المرجع والصفحة

⁴ انظر: محمد بن الحسين الآجري، الشريعة، دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية 1420 هـ (440/1)

⁵ رواه أحمد، رقم (19967) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (34190) وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة 1408 هـ رقم (6301) (2/1080) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

⁶ رواه مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم (2742) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فالمقصود بغض البصر هنا: غرض البصر عن النظر إلى النساء ومفاتنهن، وإلى المردان الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، ونظر المرأة إلى الرجل بشهوة، لأن ذلك يؤدي إلى فاحشة الزنا أو اللواط والسحاق.¹ وغرض البصر أيضا عن النظر بإعجاب إلى زينة الدنيا وحال المترفين فيها، لأن ذلك يؤدي إلى الغفلة عن الآخرة التي هي باب الانحراف، وإلى ازدراء نعمة الله وعدم شكرها.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: 30-31] . أما نظر الرجل إلى المرأة فإن جرير بن عبد الله لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة أمره أن يصرف بصره.² وأما النظر إلى المردان فقد شدد فيه كثير من أئمة الصوفية وحرمة طائفة من أهل العلم، لما فيه من الافتتان. وأما نظر المرأة إلى الرجل فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة.³ وليس المقصود التفصيل الفقهي في هذه المسائل، لكن غرضنا بيان خطورة النظر، وتشديد أهل العلم فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: "والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل، ولا بد، ما لم يمنع منه مانع. وفي هذا قيل: الصبر على غرض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده. قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة بلغت من قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر

والعبد مادام ذا طرف يقلبه في أعين العين موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته لا مـرحبا بسرور عاد بالضرر"⁴

¹ انظر: ابن القيم، الداء والدواء (376، 392، 412)

² انظر: ما رواه مسلم، كتاب الآداب، باب نظر الفجاءة، رقم (2159)

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (44/6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (566)

⁴ ابن القيم، الداء والدواء (350)

ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32] .
 فنهى عن مجرد الاقتراب، وذلك بالبعد عن جميع مقدماته ودواعيه، من النظر وما يؤدي إليه من الخلوة
 والاختلاط وغير ذلك. لأن الفاحشة لها بريق وجاذبية غالبا ما يضعف الإنسان أمامها ولا يستطيع
 الصمود.¹

أما غض البصر عن النظر بإعجاب وانبهار إلى الدنيا ومفاتنها وحال أهل الترف فيها،²
 فيقول تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ
 وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131] . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (انظروا إلى من أسفل
 منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)³ يعني: لئلا تحتقروا
 نعمة الله. ولأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك وحرص على
 الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، فتصير الدنيا أكبر همه.⁴

رابعا: الهجرة والعزلة

المسلم إذا كان في محيط منحرف فإنه معرض للفتنة، ومن الحذر والاحتياط لدينه أن يفارقه
 ويبتعد عنه. فإذا كان في بلد كفر لا يستطيع إقامة دينه فيها، فإن الواجب الهجرة منها بالكلية،
 والانتقال إلى مكان يقيم فيه دينه. كما قال تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ
 فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56] . فأمرهم بالهجرة من البلد الذي لا يقدرّون فيه على إقامة الدين، إلى
 أرض الله الواسعة، حيث يمكنهم إقامة دينهم، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم، ولا أحد يضايقهم
 أو يضطهدهم. كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم لما ضيق عليهم في مكة خرجوا مهاجرين إلى
 أرض الحبشة، ثم إلى المدينة، فرارا بدينهم.⁵

¹ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (457) الشعراوي، تفسير الشعراوي (8499 / 14)

² انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (17/2) الشوكاني، فتح القدير (465/3)

³ رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، رقم (2963) عن أبي هريرة.

⁴ انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (97/18)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (56/20) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (290/6) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في

إيضاح القرآن بالقرآن (161/6) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (81)

أما إذا كان بين أناس مسلمين عندهم شيء من الانحراف وخاف التأثير بهم، لقوة الداعي إلى الانحراف. فإنه يستحب له اعتزالهم قدر الإمكان، مع المحافظة على الواجب من الجمع والجماعات، وصلة الأرحام وفعل الخيرات.¹ احتياطا لدينه وحذرا من مجاراتهم والانسياق معهم. كأن يكثُر في المجتمع الفسوق، فلا يستطيع غض بصره ويخاف على نفسه من الفاحشة. أو تكثُر في المجالس الغيبة والنميمة، فلا يستطيع الإنكار عليهم. أو تفسو الشبهات في أوساط الناس خصوصا المثقفين الزائفين، فيخاف على إيمانه. ومن باب أولى اعتزال القنوات والمواقع الفاتنة والمشبوهة. وقد بوب النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين: "باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين أو وقوع في حرام وشبهات ونحوها"²

وهذا هو هدي أبي الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام. قال تعالى في الحكاية عنه لما أيس من دعوة قومه وأبيه³: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: 48]. وقال تعالى عنه⁴: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} العنكبوت 26. وقال تعالى عنه أيضا: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: 26]. قال القرطبي: "هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة. وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام"⁵

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من يريد النجاة من الانحراف إلى لزوم البيت، لأنه سبب للبعد عن الشر والفتنة،⁶ فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما النجاة؟ فقال: (أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك)⁷ وقال عليه الصلاة والسلام أيضا في اعتزال الناس خوفا من الفتنة: (من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان

¹ انظر: ابن حجر، فتح الباري (7/6) محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر - الرياض، 1426 هـ (509/3)

² النووي، رياض الصالحين (209)

³ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (494)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (26/20)

⁵ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (97/15)

⁶ انظر: الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3039/7)

⁷ رواه أحمد، رقم (17334) والترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم (2406) وقال: حديث حسن.

وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (890) (551/2)

فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعه، أو فزعة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه، أو رجل في غنيمه في رأس شعفة من هذه الشعف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير¹ والشعفة: الجبل. يعني: يعتزل الناس ويتعد عنهم، ولا يخالطهم إلا في خير، كالجماعة وعيادة المريض واتباع الجنازة وصله الرحم وغير ذلك.²

وهكذا إذا كان الإنسان في وسط منحرف وبين أصحاب شر ثم من الله عليه بالتوبة فإن النجاة في اعتزال هذه الصلبة وهجرانها هجرا جميلا،³ وإلا فإنهم سيؤثرون عليه لا محالة، وربما أرجعوه إلى ما كان عليه. ففي حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا لما سأل عن أعلم أهل الأرض وأفتاه بأن له توبة، نصحه وقال له: (انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)⁴ "قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخذان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصالح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدي بهم ويتنفع بصحبتهم وتتأكد بذلك توبته"⁵

وهذا الذي كان عليه هدي السلف الصالح، يحتاطون لدينهم ويحذرون من الفتن. قال مالك بن أنس: "كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانفراد من الناس، ولقد كان سالم أبو النضر يفعل ذلك، وكان يأتي مجلس ربيعة فيجلس فيه، وكانوا يحبون ذلك منه، فإذا كثر فيه الكلام وكثر فيه الناس، قام عنهم."⁶

المطلب الرابع: طلب العلم

¹ رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم (1889) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (35/13) الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية

³ الهجر الجميل: ترك المخالطة من غير قرنها بأذى أو جفاء آخر. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (268/29)

⁴ رواه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، رقم (2766) عن أبي سعيد الخدي رضي الله عنه.

⁵ النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (83/17)

⁶ عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، العزلة والانفراد، مكتبة الفرقان - القاهرة (71/37)

العلم بالله وبما أنزل على رسوله يورث اليقين، فترسخ قدم طالبه فلا تزغزه الشبهات. والعلم بالله والمعرفة به يورث الخشية والانقياد، فيستقيم العارف به على طاعته ويتعدى عن الانحراف. والعلم بالله واليوم الآخرة يُعرّف الإنسان حقيقة الدنيا، فلا يغتر بها ولا ينخدع ببهرجها. لذلك كان طلب العلم النافع من أعظم الأسباب التي تقي من الانحراف وتعصم منه. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

أولاً: مفهوم العلم

لغة: العلم: نقيض الجهل، ومعناه المعرفة والإدراك. ويأتي بمعنى اليقين.¹

اصطلاحاً: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع. وهو ضد الجهل والشك والظن.²

والعلم المقصود هنا والممدوح في القرآن والسنة هو علم الآخرة، الذي يدل على الله ويوصل إلى جنته. فهو الذي يقي صاحبه من الانحراف، حيث يقوي يقينه بالله فيثبت، ويعرفه بأسباب الانحراف فيجتنبها. يقول عليه الصلاة والسلام: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)³

ولا ننكر أن للعلوم الدنيوية الأخرى فائدة إذا أعانت على طاعة الله وعلاج الانحراف.⁴ أما إذا حصر الإنسان نفسه فيها على حساب علوم الآخرة، واهتم بها وغفل عن الآخرة فإن هذا مذموم. وقد عتب الله على الكفار لما قصروا علمهم على ظاهر الحياة الدنيا وغفلوا عن الآخرة، ووصفهم بأنهم لا يعلمون، يعني: العلم بمعناه الصحيح الكامل.⁵ قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 31] **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ** [الروم: 6-7].

فالمقصود هو العلم النافع والهدى الذي جاء به الأنبياء لإصلاح البشرية وعلاج انحرافها، وورثه لمن بعدهم، فهذا الذي من أخذ به فقد أخذ بحظ وافر. عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله عز وجل به طريقاً من طرق

¹ انظر: أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1541/2) الفيومي، المصباح المنير (427/2) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (110/4)

² انظر: عبد الكريم النملة، المذهب في أصول الفقه المقارن (69/1) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (155-157)

³ رواه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم (71) ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (1037) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

⁴ انظر: محمد بن صالح ابن عثيمين، كتاب العلم، مكتبة نور الهدى - مصر (10،9)

⁵ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (166/6)

الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر¹

المقصود العلم الذي يورث الخشية من الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. الذي يتدبر به صاحبه ويتفكر في آيات الله فينتفع بها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 97]. العلم الذي يعرف به صاحبه حقيقة الدنيا فلا يغتر بها ولا يفتن بشهواتها، قال تعالى في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٧٩] وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: 79-80]. العلم الذي يثبت صاحبه، فترسخ قدمه في مواطن الشبهات، قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7].

قال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ اللَّهِ﴾ [الزمر: 9].

ثانيا: العلم يورث اليقين ويعصم من الشبهات

العلم بالله وبالبراهين الدالة عليه يورث صاحبه اليقين، والعلم بآيات الله وعجائب صنعه في ملكوته يزيد الإيمان ويقويه. وأهل هذا العلم هم الذين ينتفعون بآيات الله الشرعية والكونية، حيث يقودهم هذا العلم إلى التفكير فيها والاعتبار بها. لذلك لما يذكر الله سبحانه آياته الدالة عليه سواء الشرعية أو الكونية يذيل ذلك بأنها لقوم يعلمون، كما قال تعالى في الآيات الكونية: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 97]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ

¹ رواه أبو داود، كتاب العم، باب الحث على طلب العلم، رقم (3641) والترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (2682) وحسنه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (138/1)

السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿يونس: 5﴾ . وقال سبحانه في الآيات الشرعية: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3] .

فأهل العلم بالله وبعظمته هم الذين يعرفون قدر هذه الآيات وما تدل عليه من عظمة الله وقدرته وحكمته ولطيف صنعه، فيزدادون بذلك إيمانا و يقينا، وبحثا فيها وتأملا واعتبارا. فيعرفون حكمة الله في خلقه وما يجربه من الأقدار، ويدركون فضله ورحمته على عباده. فلا تزعزعهم الحوادث، ولا تشككهم الكوارث.¹

وأهل العلم الراسخون فيه هم الذين يعلمون تأويل ما أنزل الله وتفسيره، ويردون ما تشابه منه إلى المحكم. فلا تؤثر فيهم الشبهات ولا تشكل عليهم المبهات. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7] .

والمحكمات: هي الواضحات التي لا تحتل غير وجه واحد. والمتشابهات: التي تحتل أوجها متعددة، فتحتاج إلى غيرها لفهم المراد منها.² ولأهل العلم وجهان في الوقف على اسم الجلالة (الله) أو على (الراسخون في العلم)³ ولا منافاة بينهما عند التحقيق، لأن التأويل يأتي بمعنى التفسير ويأتي بمعنى حقيقة الشيء. فإذا فسرنا التأويل بمعنى: حقيقة الشيء، فهذا لا يعلمه إلا الله وحده، فيكون الوقف على اسم الجلالة. وإذا فسرنا التأويل بمعنى: التفسير، فهذا يعلمه أهل العلم أيضا، فيوقف على (الراسخون في العلم)⁴

فأهل العلم يعرفون محكمات القرآن وقواعده ووكلياته الواضحة الثابتة ويفسرون ما اشبهه وأشكل من المتشابهات على ضوءها. فهم راسخون موقنون أن القرآن لا يعارض بعضه بعضا ولا

¹ انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (178) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (531/7)

² انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (144/1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7/2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (135/3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (251، 443)

³ انظر: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، دار عمار، الطبعة الأولى 1422 هـ (37)

⁴ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (11/2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (55/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (122)

يناقضه، بل هو متفق يصدق بعضه بعضا ويشهد لبعضه لبعض. قال محمد عبده: "ومن اطلع على ينبوع الحقيقة لا تشبه عليه المجاري، فهو يعرف الحق بذاته ويرجع كل قول إليه"¹

ولما ذكر الله سبحانه أهل الكتاب وما أحدثوا من الشرك والكفر ونقض الميثاق وقتل الأنبياء والصد عن سبيل الله ومن أخذ الربا وأكل أموال الناس بالباطل، ذكر أن الراسخين في العلم منهم الذين ثبت العلم النافع في قلوبهم ليسوا كذلك، بل هم يؤمنون بالقرآن وبكل ما أنزل الله. قال تعالى بعد أن ذكر ما ذكر من مخازيهم ومعائبهم: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: 162].²

وقد أمر الله سبحانه أيضا من أشكل عليه أمر أو وردت عليه شبهة بطلب العلم وسؤال أهل الذكر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7]. وهذا في شبهة أن الرسل بشر كباقي البشر يأكلون ويشربون، فأرشد سبحانه المشركين إلى سؤال أهل الكتاب وهم أهل علم ليخبروهم أن رسلهم كانوا بشرًا مثلهم فتزول عنهم الشبهة.³

ثالثا: العلم يورث الخشية والانقياد

كلما كان الإنسان بالله أعرف كلما كان له أخشى، وكلما زادت معرفته بعظمة الله وقدرته وحكمة تشريعه كلما زاد تعظيمه لله وخشيته. فأهل العلم هم أخشى الناس لله وأهل الخشية هم أهل العلم على الحقيقة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. فالخصر يقتضي أن لا يخشاه إلا العلماء ولا يكون عالما إلا من يخشاه.⁴ فأهل العلم يخافون الله ويخشونه لما يعلمون من عظمتهم، فيوجب لهم ذلك الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشونه.⁵

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار (138/3)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (468/2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (214)

³ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (380/2) الخازن (78/3)

⁴ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (172)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (462/20) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (544/6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (688)

لذلك وصف الله سبحانه العاصي بالجهالة، فقال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الْأَسْوَءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [النساء: 17]. وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ
فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54]. فليس المعنى أنه جاهل بالتحريم، لأنه غير مؤاخذ بذلك. لكن
المقصود بالجهل هنا الجهل بعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، والجهل بنظر الله إليه ومراقبته له،
والجهل بما تؤول إليه من نقص الإيمان، وغير ذلك. قال السعدي: "فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا
الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها"¹

وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أمة محمد والله ما من أحد أغير
من الله أن يزيي عبده أو تزيي أمته، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم
كثيراً)² ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: (والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما
أتقي)³

فأهل العلم هم أهل الانقياد والطاعة والمسايعين إلى الامتثال، وبهذا وصف الله سبحانه أهل
العلم من أهل الكتاب قبلنا ومسايعتهم لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ
رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 107-109]. (من قبله)
يعني: من قبل نزول القرآن، من أمثال ورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وعبد الله بن سلام.⁴ فهؤلاء
عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوا حقيقة الوحي، فهم حين يتلى عليهم القرآن يسارعون إلى
السجود والخضوع لله. قال البقاعي: ﴿يَخِرُّونَ﴾ أي: يسقطون بسرعة. وأكد السرعة وأفاد
الاختصاص بقوله تعالى: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ باللام دون إلى أو على، دالاً بالأذقان على أنهم من شدة ما
يحصل لهم من الخشوع يسقطون سقوط من ليس له اختيار⁵ وقال ابن عاشور: "وذكر الذقن للدلالة

¹ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (171)

² رواه البخاري، أبواب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، رقم (1044) ومسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف،
رقم (901) عن عائشة رضي الله عنها.

³ رواه مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صيام من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم (1110) عن عائشة رضي الله عنها.

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (233/15)

⁵ برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (534/11)

على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض من قوة الرغبة في السجود لما فيه من استحضر الخضوع لله تعالى.¹

رابعاً: العلم يقي من الاغترار بالدنيا

تقدم أن الدنيا بزينتها ومغرياتها من أعظم أسباب الانحراف التي ابتلى الله بها عباده، وأن الكفار إنما غرهم الحياة الدنيا فعملوا لها ونسوا الآخرة، وأن أول من يكفر بالرسول ويعاديهم ويصد عن سبيل الله هم أهل الدنيا المترفون فيها. وكل هذا نابع عن جهلهم بحقيقة هذه الدنيا ودناءتها، وأن الآخرة هي دار القرار. أما أهل العلم فيعرفون حقيقتها فلا ينخدعون بها، ولا يغرمهم زخرفها وبهرجها، ويدركون أن الحياة الحقيقية التي يجب العمل لها هي الآخرة.

لما خرج قارون في زينته بأمواله وخدمه وحشمه انبهر به الناس وتمنوا مثل ما أوتي، ورأوا أنه ذو حظ عظيم، مع ما كان عليه من الكفر والطغيان. لكن أهل العلم لم يؤثر ذلك فيهم لأنهم يعلمون أنه متاع زائل وأن ثواب الله في الآخرة للمؤمنين أفضل وأعظم.² قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: 79-80]. قال الوزير ابن هبيرة: "يثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء، فمن كان هكذا فهو عالم. ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالم"³

والعلم بحقيقة الدنيا وحقارتها من العلوم الجليلة التي نبه الله سبحانه عليها، وضرب لها الأمثال. قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَغْبَجَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم،

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير (234/15)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (629/19) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (317/13) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (255/6)

³ عبد الرحمن ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى 1425 هـ (147/2)

فلينظر بم ترجع؟¹ ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام: (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها)²

لكن الذي ينتفع بهذا العلم ويستوعب هذه الأمثال هم أهل العلم بالآخرة، الذين يدركون حقيقة الدنيا ويعرفون قيمة الآخرة وما أعد الله فيها لعباده. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32]. "لأنهم الذين ينتفعون بما فصله الله من الآيات، ويعلمون أنها من عند الله، فيعقلونها ويفهمونها."³

المطلب الخامس: محاسبة النفس ومجاهدتها

النفس من أسباب الانحراف كما تقدم. لذلك من وسائل علاج الانحراف واجتنابه، محاسبة هذه النفس ومجاهدتها. فلا يمكن للإنسان أن يعرف نقائصه وعيوبه إلا بمحاسبة نفسه، ولا يمكنه أيضا أن يلتزم بالطاعة وأن يبتعد عن المعصية إلا بمجاهدتها. على أن يكون ذلك باقتصاد وتوسط، حتى يتمكن من المواصلة وعدم الانقطاع. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

أولاً: مفهوم محاسبة النفس ومجاهدتها

النفس:

تقدم أن النفس في اللغة تطلق على الذات بجملتها (الروح والجسد) وعلى الروح وحدها. وأن التحقيق من الناحية الشرعية أنها نفس واحدة، لكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة. فالمطمئنة: التي تطمئن إلى ربها بعبوديته، واللوامة: التي تلوم صاحبها على تقصيره، والأمارة بالسوء: التي تأمره بالسوء.⁴

المحاسبة والمجاهدة:

¹ رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (2858) عن المستورد بن شداد رضي الله عنه.

² رواه البخاري، كتب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (3250) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (287)

⁴ انظر: ابن القيم، الروح (220-226) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (230، 231)

لغة: المحاسبة: هي المناقشة والمجازاة، ومحاسبة النفس: فحص الضمير.¹ والمجاهدة: هي المحاولة وبذل
الوسع في الشيء لبلوغه والوصول إلى نهايته.²

اصطلاحاً: الاحتسابُ على النفس في وقت خاصٍ هل وفّت أم لا؟ ومحاولة تأديبها وإصلاحها³

ومحاسبة النفس ومجاهدتها عند أرباب السلوك لها مقامات: فتبدأ أولاً بالمشارطة: وهي إلزام
النفس الطاعة والعمل. ثم بعد ذلك المراقبة: وهي ملاحظتها في كل وقت. ثم تأتي المحاسبة:
بالاحتساب عليها في وقت خاص، هل وفّت أم لا؟ وتتم بعدها بالمعاقبة: وذلك بعلاجها بمشقة
تصلحها إذا لم تف بالشرط. والمجاهدة: بتأديبها بفنون من الوظائف الثقيلة جبراً لما فات منها إذا رآها
توانت. والمعاقبة: بتوبيخها ولومها إذا استعصت، وحملها على الاستدراك.⁴

أما على ماذا يحاسبها ويجاهدها؟ فيحاسبها أولاً على الفرائض، فإن كان فيها نقص
جاهداها، فأصلحه وكمله. ثم على المناهي، فإن ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار. ثم على
الغفلة، فإن غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى. ثم يحاسبها على الكلام والمشى
والسمع والبصر والفكر، لأن كل ذلك سيسأل ويحاسب عنه.⁵ قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

فهذه النفس كالمادة الخام، إذا أهملت وتركت، بقيت على حالها ولم يكن لها قيمة. وإذا
عولجت وأصلحت علا قدرها وارتفعت قيمتها. كما قال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حبّ الرضاع، وإن تفتطمه ينفظم⁶

¹ انظر: أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (489/1)

² انظر: الفيومي، المصباح المنير (112/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (410/1)

³ انظر: محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (206) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (393/4)

⁴ انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (394/4) محمد بن أبي بكر ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (80/1)

⁵ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (83/1)

⁶ انظر: محمد يحيى حلو، البردة شرحاً وإعراباً وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، دار البيروتي - دمشق، الطبعة الثالثة 1426 هـ

لذلك لابد من تربيتها وتزكيتها بالمحاسبة والمجاهدة. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9-10]. يعني: فاز من طهرها من الانحراف ونماها بالصلاح، وخسر من أهملها ودنسها بالذنوب والعيوب.¹ وهذا جواب القسم عند الجمهور،² أي: أن الله سبحانه أقسم بأقسام كثيرة على هذا الأمر، وهذا يدل على أهمية العناية بالنفس بمحاسبتها ومجاهدتها. وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)³

ثانيا: وجوب محاسبة النفس

النفس بطبعها تنسى وتغفل، لذلك لابد من تعاهدها ومحاسبتها. إذ أمامها يوم عصيب للحساب والجزاء، فلتنظر اليوم ما دامت في الحياة ماذا قدمت لغد، قبل فوات الأوان؟ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: 18]. والغد: هو يوم القيامة، عبر عنها بذلك لقربها.⁴ وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه يجب عليه أن يتفقدتها، وينظر في أعمالها.⁵ ويقول تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [القيامة: 2]. أي: أنها تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات.⁶ قال الحسن: "هي والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه."⁷

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (456/24) ابن عاشور، التحرير والتنوير (371/30) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (926)

² انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (487/2)

³ رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، رقم (2722) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (299/23)

⁵ انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (84/1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (853)

⁶ انظر: ابن جرير، جامع البيان (50/24)

⁷ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (93/19) عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، محاسبة النفس، دار الكتب

العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 1406 هـ (24)

وروي عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله).¹ قال الترمذي: "ومعنى قوله: من دان نفسه، يقول: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة".²

وعن عمر بن الخطاب قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا." ويقول ميمون بن مهران: "لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه".³ وأخبار السلف والصالحين في امتثال هذه الآية ومحاسبة أنفسهم كثيرة مشهورة.⁴

ومحاسبة الإنسان نفسه تجعله يطلع على عيوبها، فيسعى في إصلاحها، ويتعد عن الغرور والإعجاب بها. كما قال بعض السلف: "من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أوقاته، كان مغرورا، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها." ويعرف كذلك تقصيره في حق الله عليه، وأنه غير مؤد له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة. فيخلصه ذلك من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي الله.⁵

ثالثا: وجوب مجاهدة النفس

إن الاستقامة على الحق والبعد عن الانحراف بجميع أنواعه لا يمكن إلا بمجاهدة النفس. لأن النفس كما يقول ابن القيم: "داعية إلى المهالك، معينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء. فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة"⁶ وحتى جهاد الشيطان والأعداء لا يتأتى إلا بعد مجاهدة

¹ رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق، رقم (2459) وقال: حديث حسن. وانظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (5319) (499/11)

² انظر: محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1998م (219/4)

³ الترمذي، نفس المرجع والصفحة

⁴ انظر: كتاب محاسبة النفس لابن أبي الدنيا.

⁵ انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (84/1-89)

⁶ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (86/1)

النفس. إذ الجهاد ثلاثة أنواع، وكلها داخلة في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: 78]. وغيرها من آيات الجهاد.¹

فأصل كل جهاد هو مجاهدة النفس، وأول خطوة في التوبة من الانحراف والاستقامة على الهدى هي مجاهدة النفس. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله)² لأنه ما لم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدو الخارج.³ وسئل عبد الله بن عمرو: كيف تقول في الجهاد والغزو؟ قال: "ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها، فإنك إن قتلت فارا بعثك الله فارا، وإن قتلت مرثيا بعثك الله مرثيا، وإن قتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا"⁴ وقال ابن بطال: "جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل"⁵

ومجاهدة النفس من أعظم أسباب الهداية. فالله سبحانه إذا علم من العبد صدق جهاده وأنه يبذل وسعه في تحقيق مرضاة ربه فإنه يعينه ويهديه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69]. والمقصود في الآية من الدرجة الأولى هو جهاد النفس، لأن الآية مكية وجهاد الكفار لم يكن قد شرع في مكة بعد.⁶ قال ابن القيم: "فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا"⁷ لذلك عظمت عناية الصالحين بمجاهدة النفس. يقول محمد بن المنكدر: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت"⁸ وكان أبو مسلم الخولاني يعلق سوطا في مصلاه، ويقول: أنا أولى بالسوط من الدواب. فإذا دخلته فترة وكسل تناول نفسه بالضرب.⁹ ويقول عبد الله بن المبارك: "إن

¹ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (208)

² انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، السابعة والعشرون، 1415هـ (6/3)

³ انظر: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت (206/5)

⁴ عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، محاسبة النفس (97)

⁵ ابن حجر، فتح الباري (338/11)

⁶ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (129/2)

⁷ محمد بن أبي بكر ابن القيم، الفوائد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية 1393 هـ (59)

⁸ عبد الرحمن ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار الحديث - القاهرة، الطبعة 1421 هـ (378/1)

⁹ انظر: عبد الرحمن ابن الجوزي، صفة الصفوة (372/2)

الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتبهم على الخير عفوا، وإن أنفسنا لا تكاد تواتبنا إلا على كره، فينبغي لنا أن نكرهها.¹ وهذا إمام العابدين وسيد الخلق أجمعين صلوات ربي عليه وسلامه تقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه.²

وجهاد النفس أربع مراتب: فأولى ما تجاهد عليه النفس هو تعلم الهدى والعلم النافع، حتى لا تكون من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا. ثم مجاهدتها على العمل به، لأن مجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها. ثم يجاهدتها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات. والرابعة: أن يجاهدتها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، وتحمل ذلك كله لله.³

رابعا: الاقتصاد في مجاهدة النفس

مجاهدة النفس كما تقدم مطلوبة أكيدة، لكن ذلك يكون وفق ما تطيق هذه النفس وتحمل. فكما أن النفس ميالة إلى الدعة والكسل فهي أيضا ضعيفة سائمة، فلا بد من الاقتصاد والتوسط في مجاهدتها. لذلك جاء النهي عن التنطع في الدين وعن التشديد على النفس، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا.⁴ يعني: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.⁵

فالتشدد وتحميل النفس فوق طاقتها يؤدي إلى السامة والملل والانقطاع لا محالة. يقول عليه الصلاة والسلام: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)⁶ "ومعناه: استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم، وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر

¹ عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، محاسبة النفس (133)

² رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {لغفر لك الله ما تقدم من ذنبك}، رقم (4837) ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم (2820)

³ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (9/3) ابن حجر، فتح الباري (338/11)

⁴ رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (2670)

⁵ انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (220/16)

⁶ رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم (6463) عن أبي هريرة.

الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل المقصود بغير تعب.¹ أما إذا واصل المسير دون توقف فإنه سيتعب ويسأم ثم ينقطع بالكلية.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد، فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (من هذه؟) قلت: فلانة لا تنام بالليل، فذكر من صلاتها، فقال: (مه عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا)² قال ابن المنير: "فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع"³

ومن النماذج التي ذكرها الله سبحانه في كتابه ما حصل من بني إسرائيل من ابتداع الرهبانية، وهي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع للعبادة، ورفض النساء وترك الدنيا.⁴ قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27]. فهم الذين ابتدعوها من عند أنفسهم ولم يفرضها الله عليهم. ومع ذلك لم يقوموا بما حق القيام، ولم يحافظوا على الوفاء بها. فذمهم على الابتداع في الدين وعلى عدم القيام بما التزموه.⁵ قال البقاعي: "هذا تنفير عظيم عن البدع، وحث شديد على لزوم ما سنه الله وشرع، وتحذير من التشديد، فإنه لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه"⁶

المطلب السادس: الصبر

النفس بطبعها ميالة إلى الشهوات المحرمة، ابتلاء من الله واختباراً. والانحراف إذا أَلَفه الإنسان أو غرق في أحواله استعصى عليه فراقه. والمصيبة إذا نزلت على هذه النفس الضعيفة شق عليها الرضا والتسليم. لذلك كان الإنسان أحوج ما يكون إلى الصبر، وهو هدي الأنبياء والصالحين ووصيتهم.

¹ يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين (79)

² رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، رقم (43) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعل في صلاته، رقم (785)

³ ابن حجر، فتح الباري (94/1)

⁴ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (349/2)

⁵ انظر: ابن جرير، جامع البيان (202/23) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (349/2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (29/8)

⁶ انظر: برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (308/19)

والصبر خلق كباقي الأخلاق يكتسب وترى عليه النفس، بالدعاء والتمرن عليه والنظر في عواقبه وفي أحوال الصابرين. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

أولاً: مفهوم الصبر

لغة: الصبر: هو الاحتمال وحبس النفس، وفيه معنى: المنع والشدة والضم.¹ قال ابن القيم: "يقال صبر: إذا أتى بالصبر. وتصبر: إذا تكلفه واستدعاه. واصطبر: إذا اكتسبه وتعمله. وصابر: إذا وقف خصمه في مقام الصبر. وصبر نفسه وغيره (بالتشديد): إذا حملها على الصبر."²

اصطلاحاً: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع. وهو ثلاثة أقسام: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله المؤلمة. ويجمعها قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [القم: 48]، الإنسان 24. وحكم الله: شرعي: ويتضمن الأمر والنهي، وكوني قدري: ويتضمن ما يجريه الله على العبد من الأقدار المؤلمة.³

وتسمى الشجاعة صبراً لأنها حبس للنفس على القتال، كما في قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: 177]. ويسمى الصوم صبراً لأنه حبس للنفس عن المفطرات،⁴ كما في قوله عليه السلام للباهلي: (صم شهر الصبر)⁵

النفس بطبعها ميالة إلى الشهوات، متوانية عن الطاعات. ومن حكمة الله سبحانه في ابتلائه لعباده أن جعل ما يؤدي إلى الجنة ثقيلًا على النفوس لا تهواه غالباً، وأن ما يؤدي إلى النار يوافق

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (329/3) الفيومي، المصباح المنير (331/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1263/2) محمد بن أبي بكر ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الثالثة 1409هـ (16)

² ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (16)

³ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (881) شرح الواسطية للعثيمين (309/1)

⁴ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (474) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (131) محمد عليم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (126) محمد بن أبي بكر ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (16-19)

⁵ روه أبو داود، كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم، رقم (2428)

هواها, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (حفت الجنة بالمكاره, وحفت النار بالشهوات)¹ بل إن بعثة الأنبياء وتشريع الشرائع ما قصد بها إخراج الناس من اتباع أهوائهم إلى طاعة الله وعبادته, لأنهم لو تركوا وأهواءهم لضاعت مصالحهم الدنيوية والدنيوية,² كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْخَلْقُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 71].

لذلك لا يتأتى للإنسان الاستقامة على الحق والبعد عن الانحراف إلا بالصبر. فالطاعات فيها التزام ومثابرة, فتحتاج إلى صبر لأدائها والمواظبة عليها. والمعاصي فيها شهوة ولذة, فتحتاج إلى صبر لتجنبها والبعد عنها. وأقدار الله المؤلمة ومصائبه المفجعة فيها تأثير على النفوس بالحزن والألم, فتحتاج إلى صبر لتحملها وعدم التسخط على قضاء الله. لذلك أمر الله سبحانه بالاستعانة بالصبر, وأخبر أنه مع الصابرين, وأن في الصبر المعونة العظيمة على كل الأمور. فالعبد محتاج إليه ومضطرب له في كل حال من أحواله. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]. أي: بمعونته وتوقيفه, وتسديده.³

فعبادة الله تحتاج إلى صبر, قال تعالى: ﴿وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 65]. والتعلم يحتاج إلى صبر, قال تعالى عن موسى في خروجه إلى الخضر لطلب العلم: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: 69]. والدعوة تحتاج إلى صبر, قال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: 130]. وملازمة الصحبة الصالحة تحتاج إلى صبر, قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: 28]. والمصائب تحتاج إلى صبر, قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: 17]. والجهد يحتاج إلى صبر, قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: 250]. فكل الأمور تحتاج إلى صبر.

¹ رواه مسلم, كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها, رقم (2822) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه البخاري, كتاب الرقاق, باب حجبت النار بالشهوات, رقم (6487) بلفظ: (حجبت النار بالشهوات, وحجبت الجنة بالمكاره) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² انظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي, الموافقات, دار ابن عفان, الطبعة الأولى 1997م (289/2) ابن عاشور, الحرير والتنوير (274/6)

³ انظر: ابن جرير, جامع البيان (214/3) السعدي, تيسير الكريم الرحمن (74)

فبالصبر حقا واليقين تنال الإمامة في الدين, قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]. أي: علماء قدوة, مهتدين في أنفسهم هادين لغيرهم. قال السعدي: "وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماعها في المعاصي، واسترسلوها في الشهوات".¹

ثانيا: وسائل تحصيل الصبر

الصبر وإن كان شاقا كريها على النفوس فإن تحصيله ممكن, وقد جعل الله سبحانه له أسبابا تعين عليه وتوصل إليه. وكذلك ما أمر الله سبحانه بأمر إلا أعان عليه ونصب له أسبابا تسهله, وما قدر داء إلا وأنزل له دواء.² وبالتأمل في القرآن الكريم نستنبط عدة وسائل:

أ. الدعاء:

الدعاء من أعظم ما يحصل به الصبر, لأن أزمة الأمور بيد الله. والله سبحانه هو الذي يصبر عباده ويمنحهم الصبر. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: 127]. أي: بمعونة الله وتوفيقه.³ ويقول عليه الصلاة والسلام: (ومن يتصبر يصبره الله)⁴

وهذا ما نتعلمه من أصحاب طالوت, لما أدركوا أن الله مع الصابرين, وأن الصبر يثمر الثبات والنصر, توجهوا إلى الله أن يمنحهم الصبر, وأن يملأ قلوبهم به. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250].⁵

ونتعلمه أيضا من أصحاب موسى من السحرة الذين آمنوا به. لما هددهم فرعون بالتقتيل والصلب والتنكيل, وأيقنوا أنه لا يثبتهم إلا الصبر الجميل,¹ توجهوا إلى الله بالدعاء أن يفرغ عليهم

¹ السعدي, تيسير الكريم الرحمن (656)

² انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم, عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (53)

³ انظر: ابن جرير, جامع البيان (325/17) ابن عاشور, التحرير والتنوير (337/14)

⁴ رواه البخاري, كتاب الرقاق, باب الصبر عن محارم الله, رقم (6470) عن أبي سعيد الخدري.

⁵ انظر: محمد رشيد رضا, تفسير المنار (389/2) الشعراوي, تفسير الشعراوي (1056/2) ابن عاشور, التحرير والتنوير

(499/2)

صبرا. قال تعالى عنهم: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 125-126]. وتنكير (صبرا) والتعبير بالإفراغ يدل على الكثرة والتعظيم، لأنهم في محنة عظيمة فيحتاجون إلى صبر كثير.² ولما بشر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى تصيبه قال: (اللهم صبرا)³

ب. المجاهدة والتمرن:

الأخلاق منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب. والإنسان وإن كان ناقصا في خلق معين فإن له استعدادا فطريا وقابلية لتنميته بالتدريب والتعليم وتكرار الخبرات، وكذا تقويمه وتعديله وتهذيبه.⁴ والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (ومن يستغف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر)⁵ ويشهد لهذا أيضا الواقع والتجربة، قال الميداني: "وتشهد لهذه القابلية التجارب التربوية على الإنسان، والملاحظات المتكررة على أفراد الناس من مختلف البيئات الإنسانية"⁶

ويدل لذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]. وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 65]. أي: جاهد نفسك على الصبر.⁷ قال ابن القيم: "يقال: اصطر: إذا اكتسبه وتعمله"⁸

¹ "الصبر الجميل: هو الصبر المطمئن، الذي لا يصاحبه السخط ولا القلق ولا الشك في صدق الوعد. صبر الواثق من العاقبة، الراضي بقدر الله، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء، الموصل بالله المحتسب كل شيء عنده مما يقع به." سيد قطب، في ظلال القرآن (3696/6)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (300) الشعراوي، تفسير الشعراوي (4304/7)

³ رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان، رقم (2403)

⁴ انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم - دمشق، الطبعة الخامسة 1999م (179/1)

خالد بن جمعة الخراز، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر - الكويت، الطبعة الأولى 1430 هـ (47)

⁵ رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، رقم (1469) ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، رقم (1053)

⁶ عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (179/1)

⁷ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (474) ابن عاشور، التحرير والتنوير (142/16)

⁸ ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (16)

ج. استحضر آثاره والنظر في عواقبه:

الصبر عاقبته حميدة، ومن صبر نال مطلوبه. مع ما يدخر له من الأجر العظيم والثواب الجزيل. لذلك نجد القرآن العظيم يرغب في الصبر ويشجع عليه بذكره نتائجه وثماره العاجلة والآجلة. فإذا استحضر الإنسان ذلك هان عليه ما يكابده وسهل عليه التحمل والصبر.

فيذكر الله سبحانه عباده أنه مع الصابرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]. وقال: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]. يعني: بالتوفيق والحفظ والرعاية، والنصر والتأييد والتسديد.¹ وأن الصابرين لهم أجر عظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]. أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار.² وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 96]. وأن الصابرين هم الفائزون، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: 111]. وأن مآلهم الجنة جزاء صبرهم، قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12]. أي: بسبب ما صبروا.³ وأن الصبر يرفع صاحبه إلى درجة عالية ومكانة رفيعة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]. كل هذا ترغيباً في الصبر وحضاً عليه.

د. القدوة الحسنة:

عندما يقرأ الإنسان في أخبار الصابرين ويتأمل في مصائبهم وكيف تحملوها، وكيف كان عاقبة صبرهم، فإن ذلك يدفعه إلى الاقتداء بهم، والسير على منوالهم. ومن تأديب الله سبحانه لنبيه أن يذكره بما كان عليه الأنبياء من قبله من الصبر، ثم يأمره بالاقتداء بهم. قال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]. أي: أولوا الحزم والصبر. والمشهور أنهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. فيكون أمر بالاقتداء بأربعة، فلما امتثل صار خامسهم.⁴

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (213/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (74)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (89/7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (720)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (101/24) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (901)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (145/22) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (783) الشنقيطي (241/7)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: 34] . أي: اقتد بهم واصبر كما صبروا، يأتيك النصر كما أتاهم، وتظفر كما ظفروا.¹

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: (يرحم الله موسى، قد أؤدي بأكثر من هذا فصير)² فالنبي صلى الله عليه وسلم غضب، لكنه عندما تفكر صبر موسى عليه السلام اقتدى به فصبر وحلم. قال ابن حجر: "فيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم، ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر والحلم، كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم اقتداء بموسى عليه السلام"³

ثالثا: نماذج من صبر الأنبياء

ذكر الله سبحانه وتعالى نماذج من صبر أوليائه، وأثنى عليهم بذلك. لنقتدي بهم ونسير على منوالهم، فنبلغ ما بلغوا من المكانة وننال ما نالوا من الكرامة. ذكر سبحانه صبرهم في امتثال ما أمروا به وإن كان شاقا على النفوس، وصبرهم على ما أصابهم من البلاء العظيم. وبيان ذلك كالتالي:

أ. الصبر على الطاعة وامتثال أمر الله:

أحيانا بعض الطاعات تكون شاقة على النفوس مشقة عظيمة، كترك ما ألفه الإنسان وأدمن عليه، مثل المخدرات والمسكرات. أو فراق ما أحبه الإنسان وتعلق به كالهجرة من وطن لا يستطيع إقامة دينه فيه، أو ترك العلاقات المحرمة. فيحتاج حينئذ إلى صبر عظيم.

ومن الأمثلة الفريدة والنماذج التي يحتذى بها في ذلك: نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام. حيث أمر الله سبحانه إبراهيم بذبح ابنه وفلذة كبده إسماعيل عليهما السلام، وكان ذلك

¹ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (259/1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (252/3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (254)

² رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى: {وصل عليهم}، رقم (6336) ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم، رقم (1062)

³ ابن حجر، فتح الباري (512/10)

بعدما رزقه على كبر وبعدما بلغ معه السعي وتعلق قلبه به.¹ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: 106] . فامثل النبيان الكريمان الأمر وصبرا لقضاء الله ولم يتوانا عن ذلك. قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلِمٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 101-102] . والغلام الذي أمر بذبحه هو إسماعيل عليه السلام بدلالة القرآن الكريم. لأنه قال في البشارة الثانية في نفس الآيات: ﴿وَبَشِّرْنَهُ بِيِسْحَاقَ﴾ [الصافات: 112] . وأصرح من ذلك ما جاء في موضع آخر من قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهَا بِيِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] . فهو يعلم أن إسحاق سيكبر ويولد له يعقوب، فلا يعقل أن يؤمر بذبحه.²

لذلك يصفهما الله سبحانه دائما بالصبر وبالحلم المتضمن للصبر.³ قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85] . وقال: ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلِمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101] . وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114] . وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: 75] . وبذلك بلغوا ما بلغوا من المكانة والاصطفاء. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33] .

ب. الصبر على المصائب والابتلاء:

الابتلاء بمختلف المصائب سنة الله في خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155] . وذلك امتحان منه سبحانه لعباده ليظهر الصابر المجاهد، من المتسخط المعاند. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31] . وهذا الابتلاء إذا صبر عليه المسلم رفعه درجات عند

¹ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (705) ابن عاشور، التحرير والتنوير (151/23)

² انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (27/7) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (317/6)

³ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (253) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (705) أبو هلال العسكري،

الفروق اللغوية (200) محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، دار الكتب العلمية - بيروت (208)

الله، لذلك إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليصبر فيرفعه درجات. يقول النبي صلى الله عليه: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم)¹

ومن النماذج التي ذكرها الله سبحانه في ذلك: أيوب عليه السلام، الذي ابتلي بلاء عظيمًا في جسده وأهله وماله،² وطال به البلاء، لكنه صبر، فرفعه الله إلى أعلى درجات الصابرين، وعوضه عن مصابه، فكان في الدنيا والآخرة من الفائزين. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]. وقال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّي مَسَّنِيَ الضُّرَّ﴾ [الأنبياء: 83]. ويقول عليه الصلاة والسلام: (إن أيوب نبي الله صلى الله عليه وسلم لبث في بلائه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد)³

فكانت عاقبة هذا الصبر أن رفعه الله وأثنى عليه، وكشف ما به وعوضه عما فقد وزيادة. قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 84]. أي: يعتبرون بحاله ويتذكرونها، فيجعلونه قدوة إذا أصابهم الضر.⁴ وأكثر المفسرين على أن الله أحيا له أهله، وقيل: جمعه بهم بعد ما غابوا عنه. وامتعه الله بالصحة والقوة حتى كثر نسله وصاروا ضعف ما كانوا وأكثر.⁵ ومدحه الله وأثنى عليه، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44].

ومن النماذج في ذلك أيضا: يعقوب عليه السلام، الذي ابتلي في فقد ولديه يوسف عليه السلام وأخيه، فكان دائما يذكر نفسه بالصبر. فعندما فقد يوسف، وجاء إخوته على قميصه بدم كذب، قال فيما ذكر الله عنه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18]. ثم لما رجعوا من مصر دون أخيه، كرر نفس الموعدة، قال تعالى مخبرا عنه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

¹ رواه الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم (2396) وابن ماجه، أبواب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (4031) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال الترمذي: حيث حسن غريب. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (146) (1/276)

² انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (506/4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (74/7)

³ رواه ابن حبان، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر، رقم (2887) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (17) (1/53)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (528)

⁵ انظر: عبد الرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (207/3) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (399/26)

أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿٨٣﴾ [يوسف: 83]. قال سيد قطب: "الصبر الجميل: هو الصبر المطمئن، الذي لا يصاحبه السخط ولا القلق ولا الشك في صدق الوعد. صبر الواصل من العاقبة، الراضي بقدر الله، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء، الموصول بالله المحتسب كل شيء عنده مما يقع به." ¹

فكان عاقبة ذلك أن ردها الله إليه وجمعه بهما، ورد عليه بصره، وأذهب ما كان بين الإخوة من الضغينة، وانتقل بهم من البدو وأسكنهم مصر معززين مكرمين. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَزَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: 99-100].

رابعاً: وصية الأنبياء والصالحين بالصبر

الصبر سلاح قوي يتسلح به المؤمن في وجه المصائب، وحصن حصين له يقيه من الانحراف، وخير زاد يعينه على الصلاح والإصلاح. لذلك كان الأنبياء والصالحون يوصون به، ويحثون غيرهم على التمسك به.

ومن ذلك وصية لقمان لابنه، فإنه لما أمره بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوصاه بالصبر. قال تعالى في الحكاية عنه: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17]. فهو يأمره ويربیه على الصلاح والإصلاح. حيث أمره بتكميل ذاته بالصلاة ثم تكميل غيره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم أرشده ووصاه بما يعينه على ذلك، وهو الصبر. ²

ومن ذلك أيضاً وصية موسى عليه السلام لقومه عندما فتنهم فرعون، واشتد أذاه عليهم. أوصاهم بالصبر، سلاح المستضعفين وقاهر المتكبرين. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]. وقوله:

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن (3696/6)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (142/20) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (648) الشعراوي، تفسير الشعراوي (19/

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يظهر قيمة الصبر حقاً. ذلك أن الكون بيد الله، وتدبير الأمور وتصريفها إليه، لا يخرج شيء عن سلطانه ولا يقع شيء إلا بمشيئته. فإذا تمسك الإنسان بالصبر الذي أمره الله به أتاه الفرج منه سبحانه وحقق له موعوده، ولم يستطع أحد أن يحول دون ذلك.

وهذه وصية النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً لأمته عند جور الحكام، وظهور المنكر منهم. فقال عليه الصلاة والسلام: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر)¹ وقال: (إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)² والأثر: انفراد الحكام بالمال دون الرعية.³ والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد بوب لها النووي في صحيح مسلم بقوله: "باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم"⁴

وعن الحسن قال: "والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفرعون إلى السيف فيؤكلوا إليه، ووالله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137].⁵ أي: بسبب صبرهم.⁶ وهذه نكتة المسألة، أن الصابر قلبه متعلق بالله، واثق فيه، ينتظر وعده. والله سبحانه لا يخلفه وعده بالفرج حين أمره بالصبر. أما من خالف مقتضى الصبر ولجأ إلى أمور أخرى وكل إليها. والله أعلم.

المطلب السابع: التوبة والاستغفار

¹ رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام، رقم (7143) ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة، رقم (1849) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

² رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، رقم (4330) ومسلم، كتاب الإمارة، باب الصبر عند ظلم الولاة، رقم (1845) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

³ انظر: ابن حجر، فتح الباري (52/8)

⁴ كتاب الإمارة، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت (1474/3)

⁵ انظر: محمد بن الحسين الآجري، الشريعة (373/1)

⁶ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (88/9)

علاج الانحراف بالتوبة يكون بعد الوقوع فيه، بمحو آثاره، والتهيؤ للبعد عنه والعزم على عدم العودة إليه، ثم الانطلاقة من جديد. وهذا هو هدي الأنبياء والصالحين في أنفسهم، ووصيتهم وتوجيههم لأقوامهم. لكن هذه التوبة لا بد لها من شروط حتى تقبل، ويعفى بها عن الانحراف، وتفتح بها صفحة جديدة. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

أولاً: مفهوم التوبة والاستغفار

لغة: التوبة: الرجوع والإقلاع.¹ والاستغفار: طلب المغفرة وهي الصفح والستر.²

اصطلاحاً: الاستغفار: لا يختلف عن معناه في اللغة. والتوبة: الرجوع إلى الله بترك الذنب والندم عليه والعزم على عدم العودة إليه.³

والتوبة تتضمن الاستغفار، والفرق بينهما: هو أن التوبة تكون للماضي والمستقبل فهي ندم عما مضى وإقلاع عما هو عليه في المستقبل ورجوع إلى الله بطاعته. أما الاستغفار فيكون للماضي فقط وهو طلب مغفرة ما سلف من الذنوب والندم عما فرط. قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: 90]. فقد يستغفر العبد من ذنوبه لكنه لا يتوب، كما هو حال كثير من الناس.⁴

وباب التوبة مفتوح للإنسان مهما بلغ من الانحراف. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]. وجاء في سبب نزولها أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (357/1) الفيومي، المصباح المنير (78/1)

² انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (385/4) الفيومي، المصباح المنير (449/2)

³ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (169)(609) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (70) يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين (33،34)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (229/15) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (235/1) ابن عاشور، التحرير والتنوير

(284/6) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (12/7)

عملنا كفارة فنزلت الآية.¹ ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25] .

وإذا تاب العبد إلى الله فإن هذه التوبة تجب ما قبلها من الانحراف وتمحوه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له كما قال عليه الصلاة والسلام.² ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38] . بل ويبدل الله سيئاته حسنات إذا أقبل على الله بقوة وأناب إليه بصدق وأصلح عمله. كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: 70] . وهذا التبديل يكون في الدنيا بأن يغير الله حاله ويوفقه للصلاح، فأقواله وأفعاله التي كانت مستعدة للانحراف تنقلب إلى حسنات وطاعات. ويكون أيضا في الآخرة بتبديل نفس السيئات إلى حسنات، لأنه لما تاب صار له بكل توبة من هذه السيئات حسنة، وكلما تذكر ذنبه ندم واستغفر وأحدث لها توبة.³

لكن هذه التوبة لها شروط لا تقبل إلا بها، من الإخلاص لله فيها، والإقلاع عن الذنب وعدم الإصرار عليه، والعزم على عدم العودة إليه. وأن تكون في الوقت المحدد لها شرعا وغير ذلك.

ثانيا: شروط التوبة

التوبة لها شروط لا تقبل إلا بها، بينها الله في كتابه. وهي كالتالي:

أ. الإخلاص.

وهو أن تكون هذه التوبة خالصة لوجه الله، يبتغي بها التائب مرضاة الله وعفوه. لا رياء ولا سمعة فيها، ولا يطمع من ورائها في شيء من حظوظ الدنيا، ولا ما سوى ذلك من النوايا الفاسدة.

¹ انظر: خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة (845/2)

² انظر: ما رواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم (4250) وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم (3008) (578 /1)

³ اختلف أهل التفسير في هذا التبديل: هو يكون في الدنيا أم يوم القيامة؟ انظر: ابن جرير، جامع البيان (310/19) الشوكاني، فتح القدير (103/4) ولا منافاة بين القولين، فيشمل هذا وهذا. انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (587)

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: 31] . أي: إلى الله وحده لا إلى غيره، ولا مقصد غير وجهه. قال السعدي: "وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة".¹

ب. الإقلاع عن المعصية وعدم الإصرار عليها

لابد في التوبة من التوقف عن المعصية والانتهاء منها والبعد عنهما وعدم الإصرار والمواصلة فيها. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 192] . يعني: توقفوا عن القتال في المسجد الحرام وتركوا ذلك وتابوا إلى الله.² وقال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38] . وقال سبحانه في وصف عباده المتقين التائبين من ذنوبهم: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135] . يعني: لم يقيموا عليه ويواصلوا فيه، بل يتوقفون ويقلعون عنه. وهم يعلمون أنها معصية ويجب التوبة منها والإقلاع عنها، وأن الله يغفر لمن تاب إليه.³

ج. العزم على عدم العودة

إذا تاب العبد من الذنب فلا بد أن يعزم عزمًا أكيدا على ألا يعود إليها. كما قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 17] . يعني: ينهاكم أن تعودوا إليه في المستقبل وتقعوا فيه مرة أخرى، والمقصود ما وقعوا فيه من الإفك.⁴ وعن عمر رضي الله عنه قال: "التوبة النصوح: أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه، أو لا تريد أن تعود".⁵

لكن الإنسان إذا تاب من الذنب وعزم على عدم العودة ثم ضعف بعد ذلك وعاد لم تبطل توبته الأولى. فيحتاج حينئذ إلى تجديد التوبة. لذلك قال أهل العلم إن الشرط هو العزم على عدم العودة، وليس عدم العودة بالكلية.⁶ والدليل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا، أو أذنب ذنبا،

¹ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (566)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (569/3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (525/1) التحرير والتنوير (207/2)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (219/7) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (211/4)

⁴ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (29/6) الشعراوي، تفسير الشعراوي (10220/16)

⁵ ابن جرير، جامع البيان (493/23)

⁶ ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (85/1)

فقال: رب أذنبت آخر، فاغفره؟ فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبا، قال: رب أصبت آخر، فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا، فليعمل ما شاء¹ وقد بوب له النووي رحمه الله في صحيح مسلم بقوله: "باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة"

د. أن تكون في وقت التوبة:

التوبة لها وقت محدد وهو الحياة الدنيا، فمادام الإنسان حال الحياة فباب التوبة مفتوح. فإذا حضر الموت أو قامت الساعة انقطع وقت التوبة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 18]. يعني: عند الاحتضار ومعاناة الملائكة، لأن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها.² وفي الحديث: (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يعرغر)³

ومثله أيضا إذا قامت الساعة وصار الغيب علانية، وانتهى وقت العمل والتكليف.⁴ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها) ثم قرأ: ﴿يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158].⁵

هـ. رد المظالم

¹ رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {يريدون أن يدلوا كلام الله}، رقم (7507) ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (2758)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (99،98/8) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (171)

³ رواه أحمد، رقم (6160) والترمذي، أبواب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، رقم (3537) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن. وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم (1900) (386/1)

⁴ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (281)

⁵ رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {لا ينفع نفسا إيمانها}، رقم (4635) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (157)

إذا كان الذنب يتعلق بحقوق الآدميين من مال أو عرض فلا تتم التوبة حتى يرجع الحق إلى أهله ويرد إلى المظلوم مظلّمته ويستحل منه. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلّمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)¹

فإذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت توبة نصوحا كما أمر الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8]. "قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل. ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه."²

ثالثا: علاج الأنبياء والصالحين انحرافهم بالتوبة والاستغفار

الأنبياء معصومون في تحمل الرسالة وتبليغها بالإجماع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: 3]. أما سوى ذلك فقد يصدر منهم ذنب أو خطأ، لكنهم لا يُقرون عليه، كما دلت عليه آيات كثيرة، وهو قول أكثر أهل العلم.³ والذي يهمنا هنا كيف يعالجون هذا الخطأ؟ وقد قال الله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدَنُهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]. إنهم يبادرون ويسارعون مباشرة إلى التوبة والاستغفار. وقد ذكر الله سبحانه لنا نماذج كثيرة للاقتداء والاعتبار، وهي كالتالي:

آدم عليه السلام: لما أكل من الشجرة ووقع في المعصية مباشرة اعترف بذنبه واستغفر منه وتاب إلى الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]. فقبل الله توبته واصطفاه، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 121-122]. أما إبليس فإنه لم يعترف بخطئه ولا تاب من

¹ رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة عند رجل، رقم (2449)

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (169/8)

³ انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (290/10) الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الرابعة، 1410 (97)

ذنبه. فمن أشبه آدم بالتوبة والاستغفار اجتباؤه ربه وهداه، ومن أشبه إبليس بالعناد والإصرار أبعداه الله وأخزاه.¹

نوح عليه السلام: حيث دعا الله لنجاة ابنه الذي مات على الكفر، فنهاه الله عن ذلك ووعظه، فبادر إلى التوبة مباشرة، وندم مما صدر منه ندامة شديدة. وقال فيما حكا الله سبحانه عنه: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: 47].²

موسى عليه السلام: لما ضرب القبطي ووكزه فقضى عليه، ندم واعترف بذنبه وتاب إلى ربه، فغفر الله له ذلك. قال تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16].

يونس عليه السلام: ذكر الله سبحانه أن يونس عليه السلام أخطأ وأتى بما يلام عليه، في قوله: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: 142]. ولم يذكر سبحانه هذا الذنب لعدم الفائدة من ذكره.³ لكنه ذكر الأهم وهو توبته وإنابته إلى الله، قال تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]. وهذه دعوة عظيمة تجمع الاعتراف بالذنب وتعظيم الله وتوحيده وتسبيحه، لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له).⁴

داود عليه السلام: ولم يذكر ذنبه أيضاً، لعدم الحاجة إليه. لكنه ذكر الأهم من ذلك، وهو توبته وإنابته إلى الله، وأنه ارتفع محله فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها.⁵ قال تعالى: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّهَا فَتَنَةٌ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ ﴿٢٥﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكُمْ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: 24-25].

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (356/12) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (285)

² انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (372 / 1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (382)

³ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (329/11) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (707)

⁴ رواه أحمد، رقم (1463) رواه الترمذي، أبواب الدعوات، رقم (3505) وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم

(637 / 1) (3377)

⁵ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (175/15) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (711)

نبينا صلى الله عليه وسلم: وهو سيد المستغفرين, إذ يقول: (إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة)¹ والغين ما يغشى القلب من الفترة والغفلة عن الذكر.² ويقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)³

وهذا ما ذكره الله سبحانه عن عباده الصالحين عموماً. إنهم إذا وقعوا في ذنب بادروا إلى التوبة والاستغفار, قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مِّمَّا كَسَبُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [ال عمران: 135-136].

رابعاً: علاج الأنبياء انحراف أقوامهم بالدعوة إلى التوبة والاستغفار

الأنبياء أطباء الأرواح والقلوب. والطبيب أول ما يبدأ به في علاج مريضه هو تنظيف جرحه وإزالة قرحه, ثم بعد ذلك يصف له الدواء المناسب. إذ التخلية أولاً ثم التحلية والتصفية قبل التربية. لذلك اتفقت دعوة الأنبياء جميعاً في الدعوة إلى التوبة والاستغفار, قال تعالى في الحكاية عنهم: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: 3] 90. وقد حكاها سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, وعن هود وصالح وشعيب عليهم السلام [هود: 3, 52, 61, 90]. وقال عن نوح عليه السلام أيضاً: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10]. وعن يعقوب عليه السلام فيما فعله أبنائه يوسف: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: 98]. وعن إبراهيم عليه السلام في شأن أبيه: ﴿قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47].

فكانوا يدعون أقوامهم إلى التوبة والاستغفار ويحثونهم على ذلك ويرغبونهم بذكر فضله وثماره في الدنيا والآخرة. قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ

¹ رواه مسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب استحباب الاستغفار والإكثار منه, رقم (2702) عن الأغر المزني رضي الله عنه.

² انظر: النووي, المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (23/17)

³ رواه البخاري, كتاب الدعوات, باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة, رقم (6307) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أَنْهَرًا ﴿ [نوح: 10-12] . يعني: إن تتوبوا إلى الله وتستغفروه يُنْزِلْ عَلَيْكُمْ الْغِيثَ غَزِيرًا مُتَتَابِعًا، ويكثر أموالكم وأولادكم، ويجعل لكم البساتين والحدائق تَنْعَمُونَ بِثَمَارِهَا وَجَمَالِهَا، ويجعل لكم الأنهار التي تسقون منها زرعكم ومواشيكم.¹ ومثله عن هود عليه السلام، قال تعالى في الحكاية عنه: ﴿وَيَقَوْمُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: 52]. فمع أنهم كانوا من أقوى الناس، لكنهم إذا تابوا واستغفروا زادهم الله من قوتهم.²

هذا في الدنيا، أما في الآخرة، فيرغبونهم بذكر وعد الله بمغفرة الذنوب وتكفير السيئات إن هم تابوا إليه واستغفروه. ويذكرونهم برحمة الله ومودته وقربه وإجابته للدعاء، قال تعالى في الحكاية عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10] . وعن صالح عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61] . وعن شعيب عليه السلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90] .

¹ انظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر (571)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (383)

المبحث الثاني: علاج الانحراف على المستوى الجماعي

علاج الانحراف على المستوى الجماعي يكون بتكاتف الجهود وتعاون الناس على البر والتقوى, وذلك بالدعوة إلى الله بمختلف الوسائل والأساليب, والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, كل بحسب طاقته ومستواه, يبذل في ذلك قصارى جهده وكل قواه.

ويكون أيضا لمن آتاه الله علما وحلما, بالتربية والتعليم, ولمن آتاه سلطة وحكما, بالتأديب والتنظيم. وذلك وفق أسس وبرامج مدروسة, وقوانين وشريعة محروسة.

فحاصل علاج الانحراف على المستوى الجماعي أن يتم بأربعة أمور: الدعوة إلى الله, والتربية والتعليم, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والعقوبات الرادعة.

وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء ومن تبعهم، في الإصلاح وعلاج الانحراف في المجتمع، فهي من أعظم وسائل علاج الانحراف وحاربه. لأنها تركز على وسائل وأساليب متعددة، من الخطابة والحوار والكتابة، ومن الترغيب والترهيب وإقامة الدليل والبرهان. وهي قائمة على العلم والبصيرة، وعلى الإخلاص والحكمة. وهدى الأنبياء في ذلك هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في هداية الناس ونصحهم، وفي إيصال الدعوة إليهم. ولا يسألون مقابل ذلك من أجر، إن يريدون إلا الإصلاح ومحاربة الفساد، ابتغاء مرضاة الله. وهكذا ينبغي أن يكون المصلحون من بعدهم.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: مفهوم الدعوة إلى الله

لغة: أصل الدعوة أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت زيدا: ناديته وطلبت إقباله. والجمع دعاة وداعون. ودعا إلى الأمر أو دعا إلى الإسلام: حثَّ على الاقتناع به واعتناقه. كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: 125].¹

اصطلاحاً: هي الأمر بكل ما أمر الله به والحث عليه، والنهي عن كل ما نهى الله عنه والتحذير منه. وذلك بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين، ومجادلة المبطلين. بمختلف الوسائل والأساليب المناسبة، من الخطابة والتدريس والحوار والتأليف واختيار المكان والزمان المناسب وغير ذلك.²

والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هي السبيل الأمثل لعلاج الانحراف. لأن الإنسان كائن له عقل وروح لا يمكن أن يقاد بالقوة، ولا أن يستقيم بالعنف. بل غاية ما يحتاجه هو الحوار والإقناع إذا كان شيئاً جديداً عليه، أو التذكير إذا غفل أو تهاون، أو الترغيب والترهيب إذا كسل أو تواني، أو التعليم والإرشاد إذا جهل. لذلك كانت الدعوة سبيل الأنبياء وأتباعهم في الإصلاح وعلاج

¹ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (279/2) الفيومي، المصباح المنير (194/1) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (748,747/1)

² انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (161/15) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (749) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة 1421هـ (411) سعيد بن علي القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى 1421هـ (1121,1116/2)

انحراف مجتمعاتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]. سواء كان المعنى: أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة، أو كان الوقف عند ﴿اللَّهُ﴾، فالمعنيان متلازمان. فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسوله صلى الله عليه وسلم وهو على بصيرة وهو من أتباعه.¹

وأمر الله سبحانه أن تكون في المجتمع المسلم جماعة تقوم بهذه الوظيفة، وظيفه الدعوة إلى الله، تكون بمثابة الحصن الحصين للمجتمع تحميه من الانحراف. لأن الناس قد يجهلون كثيرا من أنواع الانحراف وأسبابه، أو يحصل منهم غفلة وإهمال، وقد ينخدعون ويفتنون بأنواع الفتن، من الدنيا وزهرتها، والشيطان وحبائله، ودعاة السوء والضلال، وغير ذلك. فيحتاجون إلى التذكير والتحذير والوعظ والإرشاد. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104]. يعني: جماعة يحصل المقصود بهم.² وإذا كثرت المنكرات وغلب الجهل، ولم تف هذه الجماعة، صارت الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته.³ لذلك قيل: إن (من) لبيان الجنس وليست للتبعية. وعليه فكل الأمة مطالبة بذلك، كل بحسبه، كل من يعرف حكما من الأحكام عليه أن يدعو إليه قدر استطاعته. فينتشر الخير فيها، ويقل الانحراف منها.⁴

وحدث سبحانه على الدعوة إليه ورغب فيها، ورتب عليها أجرا عظيما. لما فيها من صلاح الفرد والمجتمع، وإقامة دينه، وتحقيق عبادته. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]. يعني: لا أحد أحسن كلامًا ولا طريقة ولا حالة منه. وهذا عام في كل داع إلى الله.⁵ قال الحسن في الآية: "هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاز الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاز الله فيه

¹ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، دار العروبة - الكويت الطبعة الثانية 1407هـ (415)

² انظر: ابن جرير، جامع البيان (90/7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (142)

³ انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (166/15) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجموع فتاوى ابن باز، دار القاسم-الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ (332/1)

⁴ انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (23/4) الشعراوي، تفسير الشعراوي (1664/3)

⁵ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (180/7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (749)

من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إني من المسلمين، فهذا خليفة الله¹ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)² وقال عليه الصلاة والسلام: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم)³ وحمّر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه.⁴

ثانياً: شروط الدعوة وآدابها

الدعوة إلى الله مقام سام ووظيفة راقية، لا تتأتى لأي أحد، ولا يمارسها من هب ودب. بل جعل الله لها شروطاً، لا تنفع إلا بها. وضبطها بآداب، لا تؤتي الدعوة أكلها، ولا تنتج ثمارها المرجوة إلا بالتحلي بها. ومتى ما تخلفت هذه الشروط والآداب أو أخل الداعي بها لم تنفع دعوته، وربما أفسد أكثر مما يصلح. لذلك يجدر التنبيه إليها والاهتمام بها.

وبيانها كما جاءت في الكتاب والسنة كالتالي:

أ. الإخلاص:

الإخلاص في الدعوة أن يدعو الداعي إلى الله وحده، وأن يكون قصده وجهه سبحانه، لا يريد سوى مرضاته. فلا يدعو إلى نفسه، لأن يشتهر أو يحترم بين الناس. ولا إلى جماعته أو حزبه، ولا إلى رئيسه أو شيخه. وإنما قصده أن يطاع الله، ولا يريد إلا هداية الخلق، وأن يوصل الناس إلى ربهم. ولا يهمه كلام الناس في شخصه، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

¹ انظر: ابن جرير، جامع البيان (469/21)

² رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم (2674)

³ رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام، رقم (2942) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (2406) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

⁴ انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (178/15)

لذلك كلما ذكر الله سبحانه الدعوة قيدها بأن تكون إليه خاصة،¹ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: 108] . وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: 33] . وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [الحج: 67] .

وعلى الداعية ألا يتأثر بقلة الأتباع والمستجيبين، ولا يلتفت إلى ذلك. فإن أجره على الله مضمون، وقلة الأتباع لا تحط من قدره ولا تنقص من أجره. فهذا نبي الله نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل، لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يخبر الله تعالى عن أتباعه بقوله: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40] . وأبو الأنبياء و خليل رب العالمين إبراهيم عليه السلام بعد جهاد طويل في دعوة قومه ومناظرتهم ومحاورتهم،² يخبر تعالى عمن آمن به وأتبعه بقوله: ﴿فَكَأَمِّنَ لَهُمْ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: 26] . ويقول عليه الصلاة والسلام: (عرضت علي الأمم، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد) الحديث.³

ب. البصيرة:

البصيرة أعلى درجات العلم،⁴ وهي أن يكون الداعية على بينة ويقين من أمره، وعلى علم ودراية بما يدعو إليه، يملك البرهان الساطع والحجة القاطعة.⁵ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108] . أي: على علم و يقين.⁶ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24] . قال ابن جرير: "أهل يقين بما دلهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق"⁷ فلا يضطرب عند أول اعتراض أثناء الحوار، ولا يتزعزع عند أدنى شبهة عند المناظرة، بل يطرح ما عنده بكل ثبات ووضوح. وليس

¹ انظر: محمد بن صالح ابن عثيمين، القول المفيد شرح كتاب التوحيد (128/1)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (629)

³ رواه البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، رقم (5752) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، رقم (220) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

⁴ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة 1416هـ (451/2)

⁵ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (254/1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (127)

⁶ انظر: ابن جرير، جامع البيان (291/16)

⁷ ابن جرير، جامع البيان (195/20)

المقصود أن يلم الداعية بجميع الشريعة أصولها وفروعها، ولكن الواجب أن يتقن ما تصدر للدعوة إليه.¹

ويدخل في البصيرة في الدعوة أيضا العلم بحال المدعو ومحيطه، ومدى قابليته واستعداداته، ومستواه وطبيعته. خاصة في هذا العصر، الذي تنوعت فيه الاختصاصات، وتغلغلت التيارات المنحرفة والشبهات في أوساط المسلمين، وتوسعت مدارك الناس وثقافتهم.² ويدل لاعتبار ذلك وأهميته تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما ذهب إلى اليمن للدعوة بقوله عليه الصلاة والسلام له: (إنك تأتي قوما أهل كتاب)³ حتى يتهيأ بما يناسب حالهم.⁴

فعلى الداعية أن يكون على شيء من الثقافة، بالتاريخ وفقه الواقع وبعض العلوم العصرية المساعدة كعلوم النفس والاجتماع والتربية، حسب مجال دعوته.⁵ ومن شواهد ذلك ما جاء في حوار مؤمن آل فرعون مع فرعون وقومه، قال تعالى في الحكاية عنه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: 34]. ففيه العلم بتاريخ قومه بالتفصيل، وتوظيف ذلك في محاورتهم ودعوتهم إلى الله. ويدخل في البصيرة أيضا العلم بطريقة الدعوة، من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

ج. طريقة الدعوة:

طريقة الدعوة ومراحلها فصلها الله سبحانه وبينها بيانا شافيا، في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]. وهي بهذا الترتيب.

¹ انظر: عبد العزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة 1423 هـ (44)

² انظر: عزيز فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك - أبو ظبي، الطبعة الأولى 1426 هـ (76) أحمد أحمد غلوش، كيفية إعداد الداعية، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة التاسعة - العدد الرابع - ربيع أول 1397 هـ (82)

³ رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، رقم (4347) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، رقم (19)

⁴ انظر: محمد بن صالح ابن عثيمين، القول المفيد شرح كتاب التوحيد (130/1) عزيز فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله (77)

⁵ انظر: أحمد أحمد غلوش، كيفية إعداد الداعية، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة (83)

فإذا كان لدى الإنسان قابلية، يريد الحق ويبحث عنه، فهذا يدعى بالحكمة، وهي أن يُختار له ما يناسبه من الوسائل والأساليب، حسب حاله وفهمه، في الوقت المناسب.¹ فإن حصل منه توان ومخالفة، احتاج إلى الموعظة الحسنة، بالترغيب والترهيب، والتذكير والتحذير وغيرها من الأساليب.

فإن خالف واعتقد أنه على حق، أو صار يدعو إلى ما عليه من الباطل، فإنه يجادل بالتي هي أحسن، والطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، من الرفق وحسن الخطاب وإقامة الأدلة.²

ثالثا: وسائل الدعوة

الوسائل هي ما يستعمله الداعية ويستعين به من أجل تبليغ الدعوة وإيصالها إلى المدعويين، كالحوار والخطابة والكتابة ومجالس الذكر والتعليم والقدوة والتطبيق العملي.³

وتفصيلها على النحو التالي:

أ. الخطبة والكلمة:

وهو أن يتوجه الداعية إلى الناس بالكلام والوعظ وهم يستمعون إليه،⁴ كخطب الجمعة والمناسبات والمحاضرة وإلقاء الكلمات. كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن موسى عليه السلام: (إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل)⁵ وكما كان عليه الصلاة والسلام يخطب في الجمع والمناسبات وعند الحاجة للتنبية والتعليم. وكان شعيب عليه السلام يلقب بخطيب الأنبياء، لفصاحته وبلاغته.⁶

وهذه غالبا ما تكون لقوم موافقين، لغرض التعليم والإرشاد أو الوعظ والتذكير. لذلك غالبا ما تحتاج إلى قوة الإلقاء والفصاحة والبيان والتأثير في السامع. كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (449/2)

² انظر: عبد الله بن عمر البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (245/3) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الرد على المنطقيين،

دار المعرفة - بيروت (468) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (452)

³ انظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة (447)؛ سعيد بن علي القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري

(1116/2)

⁴ انظر: الفيومي، المصباح المنير (173/1) محمد عميم الإحسان البركتي، التعريفات الفقهية (87)

⁵ رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وإذ قال موسى لفتهاه}، رقم (4725) ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل

الخصر، رقم (2380) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

⁶ انظر: إسماعيل بن عمر ابن كثير، قصص الأنبياء (276/1)

إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: (صبحكم ومساكم).¹ وينبغي أن يُختار لها الوقت المناسب، كما قال عبد الله بن مسعود: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السامة علينا"²

ب. الحوار والجدال والمحااجة:

وهذه يكون فيها الأخذ والرد والمراجعة بين الطرفين،³ والمحااجة غالبا ما يقصد منها ظهور الحجة وفي الجدال غالبا ما يقصد الرجوع عن المذهب، وبينهما تلازم، والحوار يعمهما.⁴ وهذا مثل ما حصل مع صاحب الجنتين في محاورة المؤمن له، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ وَصَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: 37]. ومثل ما حصل مع إبراهيم عليه السلام في محاجته للنمرود ولقومه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: 258]. وقال: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ [الأنعام: 80]. ومثل ما حصل مع نوح عليه السلام في مجادلته لقومه، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَتَنَا﴾ [هود: 32].

والمحاورة والمجادلة تكون مع المخالفين، ويطلب فيها أن تكون بالتي هي أحسن، حتى تنفع وتؤتي أكلها. قال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]. والمجادلة بالتي هي أحسن تكون بإقامة الأدلة بالرفق واللين. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: 25]. "أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات"⁵ ولما بعث الله سبحانه موسى عليه السلام إلى فوعون قال له: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ وَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44]. لأن المخالف يعتقد نفسه على حق وقد ألف ما هو عليه، فلا يجمع له بين شدتين، شدة الطرح وشدة إخراجة من المألوف.⁶

¹ رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (867) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

² رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، رقم (6411) ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة، رقم (2821)

³ انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (433/1)(117/2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (219)

⁴ انظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (158) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (157/5)

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (27/8)

⁶ انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (9275/15)

أما إذا كان المدعو معاندا ولا طائل من مجادلته فإنه يترك، ويمنع شره بالقوة إذا أمكن، لأنه لا فائدة من محاورته.¹ قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: 46]. "بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة"²

ج. الكتابة:

وهي نقل الدعوة عن طريق كتابة المقالات الهادفة وتأليف الكتب النافعة، ومشاركة المنشورات المفيدة في مواقع التواصل. وهي تأخذ حكم الخطبة والمجادلة، ويطلب فيها من الآداب ما يطلب في الخطبة والمجادلة. مع مراعاة حسن الشكل والإخراج والطباعة والتصوير.

ومن ذلك ما جاء في قصة سليمان عليه السلام وبعثه بالكتاب إلى ملكة سبأ يدعوها إلى الله. قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَأْئِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 29-31]. أي: مسلمين لله موحدين له مدعنين له بالطاعة، على قول أكثر المفسرين.³ ووصف الكتاب بالكريم يشمل شكله ومضمونه. قال ابن عاشور: "وصف الكتاب بالكريم ينصرف إلى نفاسته في جنسه.. بأن كان نفيس الصحيفة نفيس التخطيط بهيج الشكل، مستوفيا كل ما جرت عادة أمثالهم بالتأنق فيه."⁴ وقال ابن كثير: "وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حصّل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها"⁵ فكل هذا لابد أن يراعى في الكتابة والتأليف.

وقال تعالى عن نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]. وفي تعليم الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، والثاني: أنه الخط بالقلم، لأن الخط إنما فشا

¹ انظر: فتح القدير (236/4)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (632)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (453/19) ابن كثير (189/6)

⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (258/19)

⁵ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (188/6)

في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط. الثالث: معرفة الخير والشر كما يعرفونه بالكتاب.¹ وبينها تلازم وكلها تدل على أهمية الكتابة في تبليغ شرع الله.

د. القدوة والعمل:

الداعية إذا كان ملتزما في ذاته، يعمل بما يدعو إليه، ذا خلق فاضل وسيرة حميدة، فإن الناس يتأثرون به، فهو يدعو غيره في صمت. كما قال تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124]. قال الربيع: "ليؤتم به ويقتدى به"² وقال عن نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. لذلك بادرت زوجه خديجة وبناته وابن عمه علي وصاحبه أبو بكر وحبه زيد إلى الإيمان به لما رأوه من صدقه ومكارم أخلاقه.³

ومن هذا ما يذكره المؤرخون من انتشار الإسلام في بلاد ما وراء النهر بسبب أخلاق التجار ومعاملتهم الحسنة. بل يقول عبد الشافي محمد عبد اللطيف: "كانوا لبساطتهم في الدعوة ولغتهم السهلة وصدقهم وأمانتهم وحسن معاملتهم للناس أكثر تأثيرا من الدعاة الرسميين في جذبهم للإسلام"⁴

ومن الدعوة الصامته بالعمل مشروعية الجهر بالصدقة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِخْلَافِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: 274]. لأن في إظهار الصدقة تشجيعا للناس على الصدقة.⁵ مثل ما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطئوا عنه حتى رئي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة،

¹ انظر: علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية - بيروت (6/6)

² ابن جرير، جامع البيان (18/2)

³ انظر: موسى بن راشد العازمي، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (193، 198)

⁴ عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى 1428 هـ (293)

⁵ انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (465/1)

فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء¹

ويدخل في ذلك أيضا ما نشأ في هذا العصر من التمثيل، إذ هو شبيه بضرب الأمثال التي أكثر القرآن منها، ولكن بصورة واقعية. فهو وسيلة تقرب الدعوة بطريقة محسوسة ملموسة مؤثرة، ربما يكون أثرها أكبر من غيرها. على أن تبنى على العلم والصدق، وتنضبط بالضوابط الشرعية.²

رابعاً: أساليب الدعوة

الأساليب تمثل الصورة المباشرة المتعلقة بكيفية تبليغ الدعوة، من تأليف الكلام، واختيار الألفاظ، وتأدية المعنى، مثل التذكير والترغيب والترهيب وكيفية الاستدلال والإقناع.³ والفرق بينها وبين الوسائل أن الوسائل بمثابة الأوعية لهذه الأساليب تحملها إلى المدعوين.⁴

وتفصيلها على النحو التالي:

أ. التبشير والترغيب:

على الداعية أن يحبب الناس فيما يدعوهم إليه، بأن يرغبهم فيه بذكر ثواب الله وجزائه، وأن يبشرهم بعفو الله ورحمته، يسلك معهم مسلك الرفق واللين واليسير. هذا هو الأصل والحال الغالب الذي يكون عليه الداعية، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44]. وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]. وكان رسول الله صلى الله

¹ رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم (1017)

² انظر: محمد بن موسى الدالي، أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 2008م (168)، (213، 199)

³ انظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة (411)؛ سعيد بن علي القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (1141)

⁴ انظر: سعيد بن علي القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (1121)

عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره، قال: (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)¹
ولما بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن قال لهما: (ادعوا الناس، وبشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)²

وهذا الذي يجعل للداعية قبولا عند الناس فيسمع كلامه، ويقبل منه. يقول سبحانه لنبيه:
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].
وكما قيل: من لانت كلمته وجبت محبته.³ خاصة عند غلبة الجهل والهوى. قال ابن باز:
"الحكمة والأسلوب الحسن والرفق من أهم المهمات في كل وقت وفي هذا الوقت بوجه أخص، لكثرة
الجهل وغلبة الهوى على أكثر الخلق"⁴

ب. الإنذار والترهيب:

التخويف والترهيب والتغليظ بالقول أيضا مشروع عند الحاجة إليه، كدعوة المعاندين من
الكفار والمنافقين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73].
والجهاد كما يكون بالسيف يكون أيضا بالدعوة وإقامة الحجة، كما قال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ
بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52].⁵ فهؤلاء لا يستعمل معهم اللين، بل يغلظ عليهم في أسلوب
الخطاب، لكفرهم وعنادهم. وهكذا المصير على المعاصي الذي لا ينزجر إلا بالشدة.

والأنبياء جاءوا بهذا وهذا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: 48]. و"الداعية إلى الله تعالى أشبه حالا بالطبيب مع المريض، فقد يستعمل
الطبيب أشياء مؤلمة كالقطع والبط، وذلك لمصلحة المريض. فكذلك الداعية إلى الله تعالى، فقد يكون
من المناسب له في بعض الأحوال مع بعض الأشخاص أن يستعمل معهم هذا النوع، رحمة بهم،

¹ رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة، رقم (69) ومسلم، كتاب الجهاد
والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير (1732) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

² رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، رقم (4341) ومسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل
مسكر خمر، رقم (2001)

³ انظر: عزيز فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله (119)

⁴ ابن تيمية، مجموع الفتاوى (266/7)

⁵ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (584)

وتعبيراً عن خطر ما هم عليه، خروجاً عن القاعدة العامة في هذا الباب، وهي اللين والرفق مع المدعوين¹

ج. التذكير والتكرير:

الإنسان معرض للغفلة والنسيان، لذلك يحتاج إلى التذكير بين الفينة والأخرى. لينتبه، ويجدد همته ونشاطه، وليرسخ في ذهنه.² ولا يقال إن الناس يعرفون هذه الأمور فلا فائدة من تكرارها. قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]. ومن هذا ما نلاحظه من تكرار القصص في القرآن الكريم، وذلك لتمكين عبدها في النفس.³ إلا إذا تيقن الداعية عدم فائدة التذكير، بأن يكرر ويبعد دون جدوى. فلا يؤمر حينئذ بشيء يعلم أنه لا فائدة فيه، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: 9].⁴

والذي يذكر به: نعم الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم: 6]. قال السعدي: "فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة"⁵ وأيام الله ووقائعه في الأمم السابقة وما حصل لهم من النعم والنقم، ليشكروا نعمه ويحذروا عقابه.⁶ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]. يعني: فيها عبر ومواعظ.⁷ وهكذا التذكير بسائر الأوامر وما فيها من الخير والحسن والمصالح، والمناهي وما فيها من المضار والمفاسد.⁸

د. القصة:

¹ عزيز فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله (120)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (812)

³ انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الثالثة 1421هـ (319)

⁴ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (380/8) دفع إيهام الاضطراب (259)

⁵ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (227)

⁶ انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (408) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (421)

⁷ انظر: ابن جرير، جامع البيان (523/16)

⁸ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (812)

القصة صورة عن واقع الحياة، تحكي تجارب يعيش الإنسان مثيلاتها في حياته اليومية، لذلك يرتاح المرء لسماعها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، وترسخ في ذهنه فلا يكاد ينساها.¹ وأعظم ما يدل على أهمية القصة ومكانتها في الدعوة إلى الله أن ثلث القرآن تناول القصص، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء)² قال أهل العلم: "قصص وأحكام وصفات لله تعالى".³

يقول تعالى مبينا فوائد القصة: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120]. "فإن النفوس تأنس بالافتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به"⁴ ويقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]. "فمن فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة"⁵ لذلك يقول تعالى: ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176].

د. إقامة الدليل:

إقناع الناس بصحة ما تدعوهم إليه، وأنه الحق الذي يجب أن يتبعوه ويلتزموه، لا يمكن إلا بإقامة الدليل القاطع والبرهان الساطع عليه وإزالة كل ما يشوبه من لبس أو شبهة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: 25]. "أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات"⁶ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر)⁷

¹ انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (316) عزيز بن فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله (104)

² رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم (811) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

³ النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (94/6)

⁴ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (392)

⁵ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (407)

⁶ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (27/8)

⁷ رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، رقم (4981) ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، رقم (152) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن أنواع الأدلة التي ذكرها القرآن واستعملها الأنبياء في الدعوة إلى الله: **دليل الفطرة**, قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: 10]. فخطبوا فطرتهم, لأن الفطر شاهدة بوجوده, ومجبولة على الإقرار به, فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة.¹ فما من مولود إلا ويولد على هذه الفطرة كما قال عليه الصلاة والسلام.² **الدليل العقلي**, الذي فيه إعمال الفكر بتجرد وموضوعية, كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْنِي وَفُردَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سبأ: 46]. أي: "مجتمعين, ومتباحثين في ذلك ومتناظرين, وفردى, كل واحد يخاطب نفسه بذلك"³ **الدليل التاريخي**, قال تعالى في الحكاية عن موسى عليه السلام: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [إبراهيم: 9]. **الدليل الحسي**, كما فعل إبراهيم عليه السلام من كسر الأصنام للدلالة على بطلان عبادتها. قال تعالى على لسانه: ﴿فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 63]. **الدليل النقلي**, والمتمثل في الوحي.

خامسا: معالم نجاح دعوة الأنبياء عليهم السلام.

الأنبياء هم القدوة في الدعوة إلى الله, ونجاح الداعية يقاس بمدى التزامه بمنهجهم وتأسيه بهديهم. والمتأمل في قصص الأنبياء ومنهجهم في الدعوة إلى الله يلاحظ أموراً مشتركة بينهم, هي السبب في نجاح دعوتهم. ويمكن إجمالها فيما يلي:

أ. الاجتهاد في الدعوة وفي إيصالها إلى الناس:

الأنبياء يبذلون كل مجهودهم في الدعوة إلى الله دون تعب أو ملل, ويستغلون كل ما يتوفر لهم من إمكانيات لإيصال الدعوة إلى المدعوين. فيخالطون الناس, ويغشونهم في مجالسهم, ويصبرون على أذاهم, ويستغلون المناسبات, في مختلف الأحوال والأوقات. فلا يجلس الواحد منهم مثلاً في مسجده أو محرابه ثم ينتظر من الناس أن يأتوا إليه ويسمعوا منه, أو ينتظر من غيره أن يوفر له الجو المناسب.

¹ انظر: ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (482/4)

² انظر: ما رواه البخاري, كتاب فضائل القرآن, باب كيف نزل الوحي, رقم (4981) ومسلم, كتاب الإيمان, باب وجوب

الإيمان برسالة نبينا محمد ثلثي الله عليه وسلم إلى جميع الناس, رقم (152)

³ السعدي, تيسير الكريم الرحمن (682)

⁴ انظر: ابن جرير, جامع البيان (529/16) ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (480/4)

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عَادَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: 5-9] . وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة يتتبع الناس في منازلهم في موسم الحج، وفي أسواقهم بعكاظ ومجنة وذو المجاز، يدعوهم إلى الله.¹

وموسى عليه السلام اختار يوم الزينة لكثرة اجتماع الناس فيه وانبساطهم، وأن يكون ضحى لتتضح الرؤية.² والنبي عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا ليكون أبلغ في إسماع الصوت.³ وهذا يؤكد أهمية استغلال الداعية لكل ما يتاح له من وسائل الإعلام والاتصال.⁴

ب. فقه الأولويات:

القضية الأساسية التي يركز عليها جميع الأنبياء هي الدعوة إلى التوحيد والإيمان والتحذير من الشرك، لأن باقي الأعمال مبنية عليه لا تقبل إلا به. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] . وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65] .

وتقوية الإيمان في القلب مفتاح لباقي الأعمال، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً"⁵ فالداعية الناجح يبدأ في تحبيب الناس في الإسلام، ويركز على جانب الوعظ، خاصة عند ضعف إيمان الناس، وضعف استعدادهم للامتثال.

¹ انظر: ما رواه أحمد، رقم (14653) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (64) (134/1)

² انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (508) الشعراوي، تفسير الشعراوي (9304/15)

³ انظر: سعيد بن علي القحطاني، فقه الدعوة من صحيح الإمام البخاري (84/1)

⁴ انظر: عبد المنعم محمد حسين، الدعوة الإسلامية ووسائل الإعلام، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة التاسعة - العدد الرابع - ربيع أول 1397 هـ (180) سعيد بن علي القحطاني، العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الاتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير - الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ (52)

⁵ رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (4993)

وهدي الأنبياء في التحذير من الانحراف, أن يبدأوا بالانحرافات الخطيرة المنتشرة في المجتمع أولاً, ثم ما دونها. قال تعالى في الحكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85]. قال ابن عاشور: "سلك في نهيمهم عن الفساد مسلك التدرج, فابتدأه بنهيمهم عن نوع من الفساد فاش فيهم وهو التطفيف. ثم ارتقى فنهاهم عن جنس ذلك النوع, وهو أكل أموال الناس. ثم ارتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد, وهو الإفساد في الأرض كله. وهذا من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمال."¹ وهكذا لوط عليه السلام, ركز على النهي عن فاحشة اللواط, لأنها الانحراف الأخطر المنتشر في مجتمعه. ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ووجدهم من أخبث الناس كيلاً, نزلت سورة المطففين.²

ج. الزهد فيما عند الناس:

وهذه قضية مهمة يغفل عنها كثير من الدعاة. وهي قضية ركز عليها القرآن الكريم حيث ذكرها الله سبحانه عن جميع الأنبياء, فكلهم يعلنون لأقوامهم ويصرحون لهم بأنهم لا يريدون مقابلاً في دعوتهم ولا يطمعون في شيء مما في أيديهم, وإنما قصدهم الوحيد منهم هو هدايتهم ونجاتهم لا غير.³ قال تعالى في الحكاية عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 109, 127, 145, 164, 180]. وقال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: 90]. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: 57].

لأن الناس إذا أحسوا أن الداعية طامع فيما عندهم, متشوف إلى ما في أيديهم, نفروا منه, وكرهوه.⁴ كما قال عليه الصلاة والسلام: (أزهد في الدنيا يحبك الله, وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس)⁵

¹ ابن عاشور, التحرير والتنوير (138/12)

² انظر: خالد بن سليمان المزيني, المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة (1073/2)

³ انظر: السعدي, تيسير الكريم الرحمن (594)

⁴ انظر: محمد بن صالح ابن عثيمين, شرح الأربعين النووية (323)

⁵ رواه ابن ماجه, أبواب الزهد, باب الزهد في الدنيا, رقم (4102) عن سهل بن سعد رضي الله عنه. وصححه الألباني, سلسلة الأحاديث الصحيحة, رقم (944) (624/2)

د. القدوة:

الداعية إذا كان يأمر الناس بالشيء ثم لا يفعله، فإنه يدعوهم بقوله وينفرهم بفعله. لذلك على الداعية أن يكون قدوة، وأن يكون أول من يمثل ما يدعو إليه. قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]. يعني: إماماً يقتدى به.¹ وقال على لسان شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنَّهُكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88]. يعني: لم أكن لأنھاكم عن شيء وأنا أفعله.²

قال ابن القيم: "النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعمله ولا ينتفع به.. وقد قيل:

يا أيها الرجل المعلم ————— غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم؟

تصف الدواء لذي السقام من الضنى ومن الضنى تسمى وأنت سقيم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت ذميم

ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

هناك يقبل ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم³

المطلب الثاني: التربية والتعليم

تكمن أهمية التربية والتعليم في علاج الانحراف في السلطة التي يملكها المعلم والمربي على الطفل أو التلميذ، بحيث يمكنه من خلال برنامج مدروس أن يصنع إنساناً صالحاً ومصلحاً، ومحصناً ضد الانحراف. فالمربي إذا استعان بالدعاء وتحلى بالصبر وبدأ بالأهم فالمهم، وفق أسس مدروسة وأهداف مرسومة، فإنه بوظيفته هذه قد سد ثغرة عظيمة في محاربة الانحراف في المجتمع، وصار لبنة قوية في تماسكه وصلاحه. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (611/4)

² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (143/12)

³ ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (445/1)

أولاً: مفهوم التربية والتعليم

لغة: التربية: التنشئة والتنمية والتغذية, وتكون بإنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام.¹
والتعليم: تلقين العلم وتفهمه, ويكون بتكريره حتى يحصل له أثر في نفس المتعلم. ويأتي أيضاً بمعنى جعل علامة وأمانة على شيء.²

اصطلاحاً: التربية: علم يبحث في أسس التنمية البشرية, جسمياً ونفسياً وعلمياً وخلقياً, وعواملها وأهدافها.³ والتعليم: فرع من التربية يتعلّق بطرق تدريس الطلاب أنواع المعارف والعلوم والفنون.⁴

والتربية والتعليم متلازمان, فلا تحصل التربية إلا بالتعليم. كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]. على قراءة الكوفيين بتشديد اللام.⁵ والرباني: الذي يربي الناس. والباء: للسببية, أي: بسبب تعليمكم لغيركم.⁶

والفرق بين الدعوة والتربية والتعليم هو أن التربية والتعليم يكون للمعلم المربي فيها سلطة وقوامة على المتعلم. فيمكنه أن يلزمه بأشياء, وأن ينظم له حلقات ودورات, وأن يكرر عليه ويعيد, وتكون فيها متابعة وانتظام وتفقد ورعاية. بخلاف الدعوة, حيث لا يملك الداعية فيها سوى التوجيه والتذكير, والموعظة والتحذير.

وبهذا تظهر أهمية التربية والتعليم في علاج الانحراف, فهي تقوم على تكوين فرد صالح محصن ضد الانحراف ابتداءً, فإن حصل منه انحراف فهي تقوم على علاجه بشكل عملي إن صح التعبير, من خلال برنامج تربية خاص يقوم على التأديب والمتابعة. فهي من أعظم وسائل علاج الانحراف, وأكثرها نجاعة وفائدة.

¹ انظر: جمال الدين ابن منظور, لسان العرب (307/14) الفيروزآبادي, القاموس المحيط (1286/1) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (852/2) الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن (336)

² انظر: مجمع اللغة العربية, المعجم الوسيط (624/2) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (1541/2) الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن (580)

³ انظر: أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (852/2)

⁴ انظر: أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (1542/2)

⁵ انظر: شمس الدين ابن الجزري, النشر في القراءات العشر, المطبعة التجارية الكبرى (240/2)

⁶ انظر: السعدي, تيسير الكريم الرحمن (136)

ثانيا: معالم نجاح التربية والتعليم

عند التأمل في توجيهات القرآن الكريم وفي حال الأنبياء والصالحين ومنهجهم في التربية والتعليم, يمكن استخلاص ثلاثة معالم رئيسة وركائز أساسية يركن إليها المربي والمعلم ويعتمد عليها في وظيفته. وهي: الدعاء والصبر والتدرج. وبيانها كالتالي:

أ. الدعاء:

صلاح الأولاد والتلاميذ أو من يشرف المرء على تربيتهم بيد الله, وقلوبهم بين إصبعيه تعالى يقلبها كيف يشاء. لذلك المربي الناجح لا يفتر عن الدعاء لهم. قال تعالى في ذكر صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: 74]. يعني: تسر أعيننا برؤيتهم على الطاعة والصلاح.¹ وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]. وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 40]. وقال تعالى في حكاية دعاء امرأة عمران لا بنتها مريم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]. وغير ذلك.

وفي الحديث: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد لولده) وفي رواية أخرى: (على ولده)² "أما دعوته لولده فلأنه يدعو لولده شفقة ورحمة, والراحمون يرحمهم الله عز وجل. وأما عليه فإنه لا يمكن أن يدعو على ولده إلا باستحقاق, فإذا دعا عليه وهو مستحق لها استجاب الله دعوته."³

ب. الصبر:

¹ انظر: ابن جرير, جامع البيان (318/19) ابن عطية, المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (222/4) فخر الدين الرازي,

مفاتيح الغيب (486/24)

² رواه ابن ماجه, أبواب الدعاء, باب دعوة الوالد, رقم (3862) وأبو داود, والترمذي, أبواب البر والصلة, باب ما جاء في دعوة

الوالدين, رقم (1905) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن. وصححه الألباني, سلسلة الأحاديث

الصحيحة, رقم (596) (145/2)

³ ابن عثيمين, شرح رياض الصالحين (617/4)

التربية والتعليم فيها متابعة ومعاودة، وفيها مخالفة للمحسوب والمألوف، لذلك تحتاج إلى صبر ومصابرة. فالصلاة مثلاً يبدأ بها المربي من الصغر، ثم هي تتكرر مرات في اليوم، وفيها عمل ونشاط، لذلك لابد للمربي فيها من صبر عظيم. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132].

وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام في التعلم، تكرر الحديث عن الصبر كثيراً، فكان أول كلام الخضر عن الصبر، وآخر كلامه عن الصبر. قال تعالى في الحكاية عن الخضر لما طلب منه موسى عليه السلام أن يأذن له في اتباعه والتعلم منه: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 67]. ثم في نهاية اللقاء كان آخر كلامه، فيما حكى الله عنه: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82]. فافتتح كلامه عند أول اللقاء به بالحديث عن الصبر وختمه كلامه في آخر لقاء معه بالحديث عن الصبر، ليدل على أهمية الصبر في عملية التعلم والتعليم.

ج. التدرج:

وهو أن يبدأ بالأهم فالمهم، شيئاً فشيئاً، حتى يبلغ به الكمال. أما إذا هجم على المتعلم بكم هائل من المعلومات، أو يريده أن يلتزم في وقت واحد، أو يقاطع جميع المألوفات مرة واحدة، فإنه لن ينجح. قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَئِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلَكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]. قال ابن عباس: "الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره"¹ أي: بالتدرج.² والمراد بصغار العلم ما وضع من مسائله، وبكباره ما دق منها.³

قال البشير الإبراهيمي رحمه الله: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس، في اجتماعنا بالمدينة في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيّه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعدناه من تلامذتنا."⁴

ثالثاً: أسس التربية

¹ رواه البخاري تعليقا، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (24/1)

² انظر: ابن حجر، فتح الباري (121/1)

³ انظر: ابن حجر، فتح الباري (162/1)

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1997 (280/5)

على المربي والمعلم أن يبنى تربيته على أسس مرسومة، وأهداف واضحة. وهي المهمات التي يركز على تربية المتعلم عليها وتنميتها فيه، وإلا صار عمله عشوائيا لا ثمره فيه. كما هو الحال في كثير من البرامج التربوية، التي يضع التلميذ فيها بين موادها الكثيرة، ولا يدري ما الهدف منها؟ والتي تكون على حساب الأساسيات التي يجب أن يتقنها، ويتكون فيها.

وإذا تأملنا في وصايا لقمان الذي آتاه الله الحكمة لابنه، والتي ما ذكرها الله سبحانه إلا للتأسي والاهتداء،¹ فإننا سنجد أنها رسمت الأسس والمهمات التي يجب أن يربى عليها المتعلم، حتى يكون فردا صالحا ومصلحا في مجتمعه.

ويمكن تحديدها كالتالي:

أ. ترسيخ الإيمان بالله وتوحيده:

المتعلم إذا نشأ على الإيمان بالله وتعظيمه وحبه وحسن الظن به، وعلى توحيده والإخلاص له والتعلق به وحده، فإن هذا سيدفعه إلى الاجتهاد والعمل والاعتماد على الله، وحسن الظن به والثقة فيه، مهما كانت الظروف، وعدم التواكل أو الالتفاف إلى أحد أو التعلق بأحد. ويجعله ذلك أيضا يراقب الله في جميع أحواله، فيستقيم في جميع أقواله وأفعاله.

لذلك كانت أول توجيهات لقمان لابنه قوله فيما حكاه الله عنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. وقال: ﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16]. فنهاه عن الشرك وبين له خطورته، وفصل له قدرة الله، لترسخ العقيدة في قلبه.

فترسيخ الإيمان والتوحيد وتربية المتعلم على حب الله وتعظيمه، يكون بتفصيل قدرة الله والتذكير بآلائه في خلقه وألطف رحمته وحكمته. وبيان خطورة العقائد الفاسدة، وآثارها المدمرة. كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ابن عباس: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك

¹ انظر: برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (161/15) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (648)

بشيء لم يضررك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)¹ وكما كان يعقوب عليه السلام يوصي بنيه، كما حكى الله تعالى عنه في قوله: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} يوسف 87.

ومن أعظم أسباب انحراف كثير من الشباب ضعف الإيمان بالله في قلوبهم، ويأسهم وفقدان الأمل في الحياة، بسبب سوء الظن بالله وضعف الثقة فيه. لأنه لم يترب على حب الله وحسن الظن به، فأكثر ما يسمعه في البيت هو الحديث عن النقائص والمشاكل، ولا يكاد يسمع التذكير بالله وبنعمه وبحكمته ورحمته.

دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم، فلما طعم وغسل يديه قال: (الحمد لله الذي يطعم ولا يُطعم، من علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودّع ربي، ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلالة، وبصّر من العمى، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين)² فهكذا ينبغي أن يكون حديثنا على مائدة الأسرة والتربية والتعليم.³

ب. تقوية العلاقة مع الله:

العلاقة مع الله تختصرها الصلاة، كما كان عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله: "إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع."⁴ يقول سبحانه على لسان لقمان: ﴿يَبْنِيْ أَقِيْمَ الصَّلَاةِ﴾ [لقمان: 17]. ويقول سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]. ومدح نبيه إسماعيل عليه السلام وأثنى عليه بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: 55]. وإبراهيم عليه السلام كان يدعو بذلك: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 40].

¹ رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (2516) وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم (7958) (1318/2).

² رواه ابن حبان، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا أفطر عند أحد، رقم (1130) وصححه إسناده الألباني، صحيح موارد الضمآن إلى زوائد ابن حبان، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى 1422 هـ (9/2).

³ انظر: مجدي الهلالي، كيف نحب الله ونشتاق إليه، مؤسسة اقرأ - القاهرة، الطبعة الأولى 1428 هـ (60).

⁴ رواه مالك في الموطأ، وقوت الصلاة، رقم (9).

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأمر بتربية الأولاد على الصلاة، فقال عليه الصلاة والسلام: (مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين)¹ وفي الصلاة أعظم الإعانة على الصلاح والوقاية من الانحراف كما تقدم.

ج. الأدب مع الناس:

الأدب مع الناس والتواضع لهم وحسن الخلق في المعاملة معهم وبذل النصيحة لهم، من أهم ما يربى عليه المسلم. وهل صلاح المجتمع وانتظامه وعموم الخير فيه إلا بالأخلاق والآداب وبقائها؟ وهل فسادُه وانحرافُه إلا بنقصانها وزهاجها؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)² وقال ابن مبارك: "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم."³

ففي قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: 17] . بذل النصيحة للناس والإصلاح قدر المستطاع والصبر على ذلك. وفي قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18-19] . التواضع مع الناس وحسن الأدب معهم.

فنهاه عن إساءة الأدب مع الناس والتكبر عليهم، وأمره بالتواضع وحسن الأدب معهم. ومعنى قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: "لا تتكبر؛ فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك"⁴ وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: بفخر وخيلاء وتكبر على الناس.⁵ وقوله: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: تواضع في مشيك، واخفض من صوتك إذا تكلمت.⁶

¹ رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم (495) والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر

الصبي بالصلاة، رقم (407) وحسنه الألباني، صحيح أبي داود (401/2)

² رواه أحمد، رقم (8951) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (45) (112/1)

³ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (356/2)

⁴ ابن جرير، جامع البيان (144/20)

⁵ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (70/14) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (339/6)

⁶ انظر: ابن جرير، جامع البيان (146/20)

رابعاً: بيان أسباب الانحراف وآثاره

من وسائل علاج الانحراف في العملية التربوية والتعليمية بيان أسباب الانحراف حتى يتجنبها المتعلم ويحذر منها، وبيان آثاره ونتائجه المدمرة حتى يدرك خطورته فينفر منه ويجتنبه. وهذا ما لاحظناه في هدي القرآن الكريم في علاج الانحراف.¹ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 55]. بفتح اللام وضمها من (سبيل)² أي: لتظهر لك ولغيرك طريقهم، فيمكن اجتنبها.³ "فإن سبيل المجرمين إذا استبان وتوضحت، أمكن اجتنبها، والبعد منها"⁴

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم) قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن) قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر) قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: (هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)⁵ في هذا الحديث التحذير من دعاة الضلال والذين هم من أعظم أسباب الانحراف كما تقدم.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. يعني: أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم ودينهم ودنياهم من

¹ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، الداء والدواء (35)

² انظر: شمس الدين ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (258/2)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (395/11) معاني القراءات، محمد بن أحمد الأزهرى، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة

الملك سعود، الطبعة الأولى، 1412 هـ (357/1)

⁴ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (258)

⁵ رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم (7084) ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم

الجماعة، رقم (1847)

آثار الذنوب والمعاصي وعقوباتها.¹ وقد تقدم ذكر آثار الانحراف الدينية والدينية على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن النكر

الأمر بالمعروف والنهي عن النكر هو صمام أمان المجتمع من الانحراف والفساد, وهو من خصائص المؤمنين وصفاتهم. وإذا غابت هذه الشعيرة في الأمة هلكت وحقت عليها اللعنة, كما حصل لبني إسرائيل. والأمر بالمعروف والنهي عن النكر يكون بالقول وبالفعل, وفق العلم والحكمة. وهو مشروع على كل حال, حتى ولو كانت فائدته قليلة. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

أولاً: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن النكر

لغة: الأمر: طلب الفعل. والنهي: طلب الكف.²

والمعروف: كل فعل أو قول حسن بالعقل أو بالشرع. والمنكر: كل فعل أو قول قبيح بالعقل أو بالشرع.³

اصطلاحاً: الأمر والنهي: طلب الفعل أو الكف عنه, على وجه الاستعلاء.⁴

والمعروف: كل ما أمر الله به ورسوله, والمنكر: كل ما نهى الله عنه ورسوله.

والأمر بالمعروف: طلب فعله والدعوة إليه والترغيب فيه وتمهيد أسبابه.

والنهي عن المنكر: الصد عنه والتنفير منه ومقاومته حتى لا يقع أصلاً, أو لا يتكرر.⁵

¹ انظر: ابن جرير, جامع البيان (538/21) ابن جزي, التسهيل لعلوم التنزيل (249/2)

² انظر: الفيومي, المصباح المنير (21/1)(629/2) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (116/1)(2296/3)

³ انظر: الفيومي, المصباح المنير (404/2)(625/2) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة

(1487/2)(2281/3) الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن (561)

⁴ انظر: علي بن محمد الجرجاني, التعريفات (248,37) محمد عميم الإحسان البركتي, التعريفات الفقهية (233,35)

⁵ انظر: علي بن محمد الجرجاني, التعريفات (36) محمد عميم الإحسان البركتي, التعريفات الفقهية (35) سليمان بن عبد الرحمن

الحقيل, الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة, هيئة الأمر بالمعروف, الطبعة الرابعة 1417هـ (34)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم وسائل علاج الانحراف ومحاربتة، وهو صمام أمان المجتمع منه، فإذا غابت هذه الشعيرة فسد المجتمع وحقت عليه اللعنة. لأن السكوت عن العصاة والمنحرفين يجريئهم على التمادي في الانحراف والمعاصي، حتى تقوى شوكتهم ويعظم شرهم، ويقتدي بهم غيرهم، ويضعف أهل الخير والصالح ويخفت ذكركم، حتى ينطفئ في القلوب استقباح الذنوب، وربما استحسناها الجاهل.¹

وهذا ما حصل لبني إسرائيل، ظهر الانحراف من فساقهم ولم ينكر عليهم خيارهم، فحققت على الجميع اللعنة. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78-79]. قال السعدي: "فيشتك بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك"²

وضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مثلاً بديعاً، فقال عليه الصلاة والسلام: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً)³ وهكذا دين الله، إذا أخذ العقلاء وأهل العلم والدين على أيدي الجاهل والسفهاء نجوا جميعاً، وإن تركوهم على ما يريدون من الانحراف والفساد ولم ينكروا عليهم هلكوا جميعاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25].⁴ ولما قيل للنبي عليه الصلاة والسلام: أهلك وفيما الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثر الخبث)⁵

¹ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (240)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (240)

³ رواه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة، رقم (2493) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

⁴ انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (432/2)

⁵ رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ويل للعرب من شر قد اقترب)، رقم (7059) ومسلم،

كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب اقترب الفتن، رقم (2880) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

فخيرية هذه الأمة مرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يحافظ على صلاحها وبقائها من الانحراف، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]. قال عمر بن الخطاب: "من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها".¹

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرع عن الدعوة إلى الله، إلا أن الدعوة أعم، فهي مطلوبة في كل وقت وعلى أي حال. أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيرتبط بظهور المنكر أو التفریط في المعروف، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلزام لمن له سلطة وقدرة، وغالبا ما يكون في المجتمع المسلم.² لذلك قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]. فعمم ثم خصص.

وعلى هذا فيشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يشترط في الدعوة من البصيرة والحكمة وغير ذلك. وفق مراتب حسب الاستطاعة، ويكون بالقول وبالفعل.

ثانيا: آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراتبه

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبني أساسا على العلم والحكمة، فلا يأمر بشيء أو ينهى عنه وهو في حقيقته ليس بمعروف ولا بمنكر. أو ينهى عن شيء مختلف فيه خلافا سائغا أو يأمر بشيء كذلك، وهو يحسبه قطعيا لا نقاش فيه.³ ولا ينهى أيضا عن منكر فيقع في منكر آخر مثله أو أعظم منه، أو يأمر بمعروف فيضيع معروفا آخر أهم منه، فلا بد من مراعاة المصالح والمفاسد.⁴ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]. وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام خشية افتتان قومه.⁵

¹ ابن جرير، جامع البيان (102/7)

² انظر: ابن عثيمين، تفسير سورة المائدة، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الأولى 1432هـ (243/2).

³ انظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ (19)

⁴ انظر: ابن تيمية، نفس المرجع (12)

⁵ انظر: ابن حجر، فتح الباري (225/1)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد رأيته والتأكد منه، من غير تجسس ولا تحسس، يبدأ أولاً بالقول، بالوعظ والإرشاد بعلم وحكمة. فإن حصل المطلوب وإلا انتقل إلى الفعل، ويكون بتغيير المنكر أو الإلزام بالمعروف بالقوة لمن له سلطة، أو بالهجر والمفارقة.¹

وكل ذلك حسب الاستطاعة، مع كراهة المنكر بالقلب والبراءة منه على كل حال. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).²

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أ. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول ينطبق عليه ما ذكرناه من طريقة الدعوة ومراحلها، المستفادة من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]. لأنه فرع عنها ونوع منها.³

فإن كان المخالف الواقع في المنكر أو المقصر في المعروف معهوداً بالاستقامة، ذا قابلية، يريد الحق ويطلبه، فهذا يُعلم ويرشد بالحكمة والرفق واللين، بما يناسب حاله ومقامه. لأن الغالب على هذا النوع الجهل أو الغفلة.

وإن كان متهاوناً مماتلاً، فإنه يوعظ ويذكر ويخوف، ويشدد عليه في الكلام. حتى ينزجر ويتعظ. أما إن كان معانداً مجادلاً، فإنه تقام عليه الحجة، ومجادل بالتي هي أحسن.⁴ فإن أبي إلا الاستمرار في انحرافه والإصرار عليه فإننا ننتقل إلى الفعل.

ب. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالفعل:

¹ انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (315/2)

² رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (49) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

³ انظر: سليمان بن عبد الرحمن الحقييل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة (107)

⁴ انظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (449/2) عبد الله بن عمر البضاوي،

أنوار التنزيل وأسرار التأويل (245/3) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الرد على المنطقيين (468) السعدي، تيسير الكريم الرحمن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بأمرين اثنين:

الأول: الإلزام بالمعروف أو إزالة المنكر بالقوة.

وهذا يكون لمن له سلطة واستطاعة، ويكون قدر الإمكان. كولي الأمر أو نائبه مع رعيته، والأب مع أهله وأبنائه. وإلا أدى ذلك إلى الفوضى والفساد، فكل من أراد أن ينتقم من أحد ضربه وادعى أنه مستحق لذلك، وأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.¹

ومن ذلك ما فعل موسى عليه السلام مع بني إسرائيل من تحريق العجل، كما قال تعالى على لسانه: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97]. ومن قبله إبراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام، كما قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: 93]. وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة، في رعيته وفي بيته. من كسر الأصنام،² ونزع خاتم الذهب من يد رجل،³ ونقض الصور والتصاليب في بيته.⁴ ومن توجيهه للولي بضرب الصبي لإلزامه بالصلاة.⁵ وغير ذلك.

يقول البشير الإبراهيمي: "مرتبة تغيير المنكر باليد سنّها أبو الأنبياء إبراهيم وتبعه فيها موسى حينما قال للسامري: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97]، وتبعهما ختائهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم، فحطم أوثان العرب المحيطة بمكة، وأرسل أصحابه يهدمونها في كل حي."⁶

الثاني: مفارقة الواقع في المنكر وهجره.

مفارقة المنكر والبعد عنه لا يختلف فيها أحد عن أحد، لأن النهي عن المنكر لا يتم إلا بمفارقه. أما إذا رأى المسلم غيره واقعا في منكر ثم نهاه، لكنه بقي جالسا معه يؤانسه ويضاحكه، فهذا يدل على أنه راض بفعله، فيكون مشاركا له في الإثم. فالواجب أن يفارقه ولا يبقى معه أثناء

¹ انظر: ابن تيمية، مختصر الفتاوى المصرية، دار الكتب العلمية - بيروت 1405هـ (580)

² انظر: ما رواه البخاري، كتاب التفسير، باب {وقل جاء الحق وزهق الباطل}، رقم (4720)

³ انظر: ما رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، رقم (2090)

⁴ انظر: ما رواه البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور، رقم (5952).

⁵ انظر: ما رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم (495) والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء

متى يؤمر الصبي بالصلاة، رقم (407) وحسنه الألباني، صحيح أبي داود (401/2)

⁶ محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (396/1)

فعله للمنكر، حتى ولو لم يؤثر انصرافه.¹ وإن كان بإمكانه أن يهجره إذا رأى في هجره مصلحة ومنفعة، هجره، حتى يلتزم بالمعروف أو ينتهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: 140]. قال ابن جرير: "وفي هذه الآية، الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة والفسقة، عند خوضهم في باطلهم."²

وأما الهجر، فكما هجر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبيه وأمر الناس بهجرهم، حتى نزلت توبتهم.³ قال الخطابي: "هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق"⁴

لكن ذلك وفق الحكمة والمصلحة، يقول ابن تيمية: "الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم. فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله. فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً. وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر. بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف قوماً ويهجر آخرين."⁵

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروع على كل حال

ليس من شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يزول المنكر مباشرة، أو أن يحصل المعروف كاملاً. وإنما يشرع حتى ولو ير الأمر أو الناهي أي نتيجة، فرمما تكون فيما بعد، وهو

¹ انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (418/5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (210)

² ابن جرير، جامع البيان (321/9)

³ انظر: ابن حجر، فتح الباري (497/10)

⁴ أبو سليمان الخطابي، معالم السنن، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى 1351 هـ (296/4)

⁵ ابن تيمية، مجموع الفتاوى (206/28)

مطالب على كل حال بإقامة الحجة عليهم، وليُبرأ ذمته ويُعذر نفسه أمام الله. فلا يقل: الناس لا يستجيبون، أو لا فائدة من وعظهم.¹

والدليل على ذلك ما قصه الله سبحانه علينا من خبر القرية من بني إسرائيل والتي كانت على شاطئ البحر، فنهاهم الله عن صيد السمك يوم السبت. فافترقوا ثلاثة فرق: ² فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على الاصطياد، وفرقة نحت عن ذلك وأنكرت، وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه، لكنها قالت للمنكرة: لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا؟ أي: لا فائدة من نهيهم.³

فكان جواب المنكرة ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿قَالُوا مَعْذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164]. أي: نحن نعظهم وننهاهم لنُعذر فيهم عند الله، ونؤدي فرض الله علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ورجاء أن يتقوا الله، ويتوبوا من معصيتهم.⁴ قال السعدي: "وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي."⁵

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: 116]. "وفي هذا حث لهذه الأمة أن يكون فيهم بقايا مصلحون لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويصبرونهم من العمى."⁶

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105]. فليس معناها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ هما أصلا داخلان

¹ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير (281/4)

² وهو قول جمهور المفسرين. انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (307/7)

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (494/3)

⁴ انظر: ابن جرير، جامع البيان (185/13) نخبة من العلماء، التفسير الميسر (172)

⁵ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (306)

⁶ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (391)

في الاهتداء، لأن من تركهما لم يكن مهتديا، للأدلة الكثيرة الأخرى. لكن المعنى أن الإنسان إذا بذل مجهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم لم يُستجب له، فإن ذلك لا يضره.¹

وعن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105]. وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)"²

رابعا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الصالحين

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الصالحين وهدى بهم، يمتثلونه ويتواصون به، ويربون عليه أبناءهم لينشئوا عليه. وإذا مكنهم الله في الأرض، أقاموا دولتهم عليه. لأنهم يعلمون أنه لا نجاة للإنسان إلا به، ولا صلاح للمجتمع ولا قيام للأمة إلا عليه. كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: 1-3]. قال الرازي: "النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحب له ما يحب لنفسه"³

وهذا ما ذكره الله سبحانه عن عباده المؤمنين الصالحين، وأثنى به عليهم. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71]. وهذا الوصف جاء بعد وصف المنافقين بعكس ذلك، ف"هاتان الصفتان من أخص صفات المؤمنين التي يمتازون بها على المنافقين وعلى غيرهم من الكفار، هما سياج حفظ الفضائل، ومنع فشو

¹ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (459/1)

² رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (4338) والترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب، رقم

(2168) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (1564) (88/4)

³ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (282/32)

الردائل¹ وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ اللَّائِيحُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112] .

وقال تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتُلوْنَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 113-114] . "فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم"² وذكر سبحانه أن نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم موصوف بهذه الصفة العظيمة عند أهل الكتاب، وأنها من أعظم ما يميزه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: 157] . وهذا يدل على أنها ميزة لأهل الصلاح، لا يكتفون بإصلاح أنفسهم فحسب، بل يسعون جاهدين لإصلاح غيرهم.

بل ويتواصون أيضا بهذه الشعيرة والفضيلة، ويذكر بعضهم بعضا بأهمية التواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعن أبي مدينة الدارمي -وكانت له صحبة- رضي الله عنه قال: "كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يفتقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ السورة، ثم يسلم أحدهما على الآخر"³. وفي هذه السورة الحث على التواصي بالحق والتناصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهو يذكره بهذه الشعيرة والفضيلة، والتي هي نجاة من الخسران. فكأنه يقول له: إذا رأيت مني نقصا أو تقصيرا فأمرني وذكرني، وإذا رأيت مني مخالفة أو منكرا فانهي وانصحي.

ويربون على ذلك أيضا أولادهم من الصغر، كما تقدم في وصايا لقمان لابنه. قال تعالى في الحكاية عنه: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار (467/10)

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن (143)

³ رواه الطبراني، المعجم الأوسط، رقم (5124) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2648) (307/6)

مِنْ عَزَمَ الْأُمُورَ ﴿لَقْمَان: 17﴾ . وقرنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصلاة يدل على أهميته, وأن السعي في تكميل الغير لا يقل أهمية عن السعي في تكميل النفس.

وأخبر سبحانه أنه إذا مكنهم في الأرض أقاموا مجتمعهم ودولتهم عليه, لأنهم يعلمون أنه لا صلاح للمجتمع إلا به, ولا قيام للدولة إلا عليه.¹ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]. قال السعدي: "والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به, فإذا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم, أجبروا الناس على التعلم والتعليم, وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعا, أو غير مقدر, كأنواع التعزير, قاموا بذلك, وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدين له, لزم ذلك, ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به."²

المطلب الرابع: العقوبات الرادعة

الإسلام نظام اجتماعي قائم على أسس ونظم وقوانين تحكم الجماعة وتنظمها, وتصلحها وتحميها من الانحراف. وهذا النظام هو تشريع رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, تنزيل من حكيم حميد. وقد جعل عقوبات رادعة تقومه وتعطل اعوجاجه, إذا صدر من أحد انحراف يضر بهذه الجماعة وأمنها واستقرارها, وهي بمثابة الدواء المر لعلاج المريض حين يصاب عضو منه. وهذه العقوبات مناسبة لطبيعة الإنسان ونفسيته, على حسب نوعية جريمته وانحرافه. فشرع القتل للردة والقتل عمدا, والرجم للزنا مع الإحصان, والقطع للسرقة, والجلد للزنا والقذف, والنفي لقاطع الطريق. مع مراعاة كامل الاحتياط والحزم في تطبيقها, حتى يتحقق العدل, ويحصل الردع بها. وتفصيل ذلك في هذه المطالب:

أولا: مفهوم العقوبات الرادعة

¹ انظر: ابن جرير, جامع البيان (651/18) الشعراوي, تفسير الشعراوي (9853 /16)

² السعدي, تيسير الكريم الرحمن (539)

لغة: العقوبة والعقاب: الجزاء على السوء والأخذ به, ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: 126].¹

والردع: المنع والزجر.²

اصطلاحاً: العقوبة هي: الجزاء المؤلم الذي يحدده الشرع أو القانون على المخالفة, وتنقسم باعتبارات متعددة.³ والمقصود هنا الحدود التي شرعها الله, من القتل والجلد والقطع والنفي, وغير ذلك.⁴

والردع: المقصود به: زجر المجرم عن معاودة الجرم, وزجر غيره عن الوقوع فيها.⁵ لذلك يشرع تطبيقها علناً, حتى يراها الناس, ويشيع الحديث عنها. كما قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2].⁶

وقد وصف الله سبحانه هذه العقوبات بالعذاب, لأن الهدف منها معاقبة الجاني. قال تعالى في الجلد عقوبة الزنا: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾ [النور: 2]. "والعذاب: هو الإجماع الشديد".⁷ ووصفها بالنكال, لأن الهدف منها اعتبار غيره. قال تعالى في القطع عقوبة السرقة: ﴿تَكْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38]. والنكال معناه كما قال ابن فارس: "أنه فعل به ما يمنعه من المعاودة ويمنع غيره من إتيان مثل صنيعه".⁸ ووصفها بالخزي, لأن الهدف تنفير النفوس من موجباتها. قال تعالى في القتل

¹ انظر: ابن منظور, لسان العرب (619/1) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (1525/2) الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن (575)

² انظر: أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (502/2) أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة (879/2) الفيومي, المصباح المنير (224/1)

³ انظر: مجموعة من العلماء, الموسوعة الفقهية الكويتية, وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت, الطبعة الأولى, مطابع دار الصفوة - مصر (269/30) منصور محمد منصور الحفناوي, الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارناً بالقانون, مطبعة الأمانة, الطبعة الأولى 1406هـ (139)

⁴ انظر: سيد سابق, فقه السنة, دار الكتاب العربي - لبنان, الطبعة الثالثة 1397 هـ (355/2)

⁵ انظر: عبد الرحمن عبد الخالق, وجوب تطبيق الحدود الشرعية, مكتبة ابن تيمية - الكويت, الطبعة الثانية 1404 هـ (34) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية, إعلام الموقعين عن رب العالمين (82/2)

⁶ انظر: السعدي, تيسير الكريم الرحمن (561) ابن عاشور, التحرير والتنوير (151/18)

⁷ انظر: الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن (554)

⁸ أحمد بن فارس, مقاييس اللغة (473/5)

والصلب والقطع والنفي: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: 33] . والخزي: هو الذل والهوان.¹
لأن كثيراً من الناس لا يرتدع إلا بالقوة.

بالإضافة إلى أن هذه العقوبات كفارة للجاني، وتطهير له من الذنب، فلا يؤخذ عليه في الآخرة. يقول عليه الصلاة والسلام: (من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه)² والجمهور على أن إقامة الحد كفارة للذنب حتى ولو لم يتب المحدود.³

والذي يقيم الحدود هو الحاكم أو نائبه، "لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لا يتهياً للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم"⁴ والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يقيم الحدود، وأتاب في ذلك،⁵ وكذا خلفاؤه من بعده، حتى لا تصير فوضى بين الناس، وتبرير لاعتداء بعضهم على بعض، وهذا أمر متفق عليه.⁶

ثانياً: أنواع العقوبات

العقوبات التي شرعها الله سبحانه مقدرة معينة، لا يزداد فيها ولا ينقص، وهي خمسة: القتل، والقطع، والجلد، والنفي، والرجم. وقد روعي في هذه العقوبات طبيعة الإنسان ونفسيته، فهي مبنية على أساس محاربة الدوافع التي تدعو للجريمة بالدوافع التي تصرف عنها.⁷ ويمكن أن نوجزها كالتالي:

أ. القتل:

¹ انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (281)

² رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة حب الأنصار، رقم (18) ومسلم، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، رقم (1709) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

³ انظر: ابن حجر، فتح الباري (68/1) مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (136/17)

⁴ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (245/2)

⁵ انظر: ما رواه البخاري، كتاب الوكالة، باب الوكالة في الحدود، رقم (2314) ومسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (1697)

⁶ انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (144/17)

⁷ انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (142/17) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (635/1)

وهذه العقوبة على القتل، سواء على القتل العمد، فيقتل قصاصاً، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 178]. على تفاصيل في ذلك عند أهل العلم.¹ أو قاطع الطريق إذا حصل منه قتل، فيقتل حداً.² كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ [المائدة: 33] الآية. على قول أكثر أهل العلم من أن (أو) للتنويع وليست للتخيير، وأن العقوبة على حسب الجريمة.³ ومنه الرجم حتى الموت للزاني المحصن، الثابت في السنة قولاً وفعلاً،⁴ والمتفق عليه عند أهل السنة.⁵ وكذلك المرتد إذا لم يتب.⁶

وهذه العقوبة هي الموافقة لطبيعة الإنسان ونفسيته، وهي التي يحصل بها الردع والمنع من ارتكاب الجريمة. لأن القاتل تدفعه إلى القتل غريزة البقاء، يقتل غيره ليعيش هو، فإذا علم أنه حين يقتل غيره إنما يقتل نفسه أيضاً امتنع عن القتل.⁷ أما زنا المحصن فهو أخطر أنواع الزنا، الذي يهدد الأسرة والمجتمع والنسل البشري، والذي لا يستحق صحابه البقاء، لأن جرمته تهدد بقاء النسل. والرجم نوع من أنواع القتل، كالشنق والرمي بالرصاص، ولا فرق بينها، بل قد يكون أرحم وأسرع منها.⁸ أما الردة عن الدين الإسلامي فهي ثورة عليه وخروج عن النظام الاجتماعي القائم عليه، وهي من الخيانة العظمى التي تحكم حتى القوانين الوضعية عليها بالإعدام، لأنها زعزعة لأمن المجتمع.⁹

ب. القطع:

¹ انظر: سيد سابق، فقه السنة (512/2)

² الفرق بين الحد والقصاص: أن الحد لا عفو فيه بخلاف القصاص. انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (132/17)

³ انظر: ابن جرير، جامع البيان (257/10) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (151/6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (229) سيد سابق، فقه السنة (472/2)

⁴ انظر: ما رواه البخاري، كتاب الحدود، باب رجم المحصن. ومسلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى.

⁵ انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (124/22)

⁶ انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (194/22)

⁷ انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (656/1)

⁸ انظر: عبد القادر عودة، نفس المرجع (641)

⁹ انظر: عبد القادر عودة، نفس المرجع (662/1) سيد سابق، فقه السنة (457/2)

وهو عقوبة على السرقة، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]. فتقطع يده اليمنى، فإن عاد قطعت رجله اليسرى، على تفاصيل في ذلك عند أهل العلم.¹ وكذلك قاطع الطريق إذا حصل منه أخذ للمال من غير قتل، كما قال تعالى في الحراة: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ﴾ [المائدة: 33]. فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى.²

وفي هذه العقوبة قطع لهذه اليد الخائنة، التي تشكل خطراً على أموال الناس التي حفظها الإسلام. وفيها تخويف وردع عن السرقة بدفع العوامل النفسية الداعية إليها، إذ إن السارق يدفعه حلم زيادة الثراء إلى السرقة، والقطع ينقلب به إلى العكس.³

ج. الجلد:

وهي عقوبة على الزنا من غير إحصان، وعلى القذف،⁴ قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً﴾ [النور: 2]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4]. فهي عقوبة تحمي العرض والنسل، والذي لم يستوعب القانون الوضعي خطورته على الأسرة ثم المجتمع ثم الوجود البشري، ما أدى بذلك إلى فساد المجتمعات الغربية وانحلالها، وقلة نسلها وتهديد وجودها.⁵ وعلى الخمر أيضاً كما جاء في السنة،⁶ والذي لا تخفى مفساده طبياً واجتماعياً.⁷

¹ انظر: سيد سابق، فقه السنة (504/2) الفقه على المذاهب الأربعة (143/5)

² انظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر (113)

³ انظر: سيد سابق، فقه السنة (485/2) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (652/1)

⁴ انظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر (365, 369)

⁵ انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (347/2) بكر بن عبد الله أبو زيد، الحدود

والتعزيرات عند ابن القيم، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثانية 1415 هـ (100)

⁶ انظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر (373)

⁷ انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (650/1)

ولما كان في الزنا والخمر لذة للإنسان ناسب أن تكون العقوبة الرادعة عنها إيلاجه بالجلد، فينسيه ألم العقوبة اللذة ويحمله على عدم التفكير فيها. وهكذا في القذف، فهو يرمي إلى إيلاجه خصمه نفسياً وتحقيره، فيكون جزاؤه الجلد فيؤلمه إيلاجه بدنياً ونفسياً، ويحقر من قبل الجماعة.¹

د. النفي:

وهذه العقوبة تجب على قاطع الطريق إذا أخاف الناس ولم يأخذ مالا ولم يقتل، كما في آية الحاربة في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 33]. والمقصود بالنفي: أن يبعد إلى بلد آخر، ويحبس فيه أيضا على قول مالك، إلى أن تظهر توبته.²

وقاطع الطريق الذي لا يقتل ولا يأخذ مالا إنما يريد الشهرة والتعالي على الناس وإخافتهم، فكان من المناسب أن يعاقب بالنفي، فينقطع ذكره، ويخاف أن يدخل بلده.³ فيعامل بنقيض قصده، كما هي الحال في جميع العقوبات. يقول ابن القيم: "وقد استقرت سنة الله في خلقه شرعا وقدرًا على معاقبة العبد بنقيض قصده"⁴

ثالثا: الاحتياط والحزم في تطبيقها

هذه العقوبات شرع الاحتياط والتثبت في إصدارها والحكم بها، وعدم التسرع فيها، حتى لا يظلم بها أحد. وشرع الحزم والقوة في تطبيقها، حتى يتحقق الزجر والردع بها. فقبل إصدار الحكم رغب الشارع في الستر والعفو، وشدد في التحقيق، لأن المقصود ليس تعذيب الناس. ولكن الهدف هو علاج الانحراف، ومحاربة انتشاره في المجتمع، فإذا لم يضر أحد، فيكفي فيه التوبة والإصلاح، على ما قدمنا من علاج الانحراف على مستوى الفرد، ولا حاجة للتشهير به. أما إذا وصل الأمر به إلى الحاكم وبت فيه، فلا مجال للعفو أو الشفاعة، ولم يبق إلا الحزم في تطبيقها، وإلا لم يعد لها معنى، ولم يبق لها تأثير.

ويمكن تفصيل الإجراءات المشروعة قبل صدور الحكم وبعده كالتالي:

¹ انظر: عبد القادر عودة، نفس المرجع (636/1، 646)

² انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية (117/41)

³ انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (659/1)

⁴ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين (193/3)

أ. قبل الحكم:

إذا كانت المعصية أو الانحراف من حقوق الله فإن المشروع للمسلم الستر على نفسه وعلى غيره. قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ [النساء: 148]. والجهر بالسوء يكون بذكر العيوب والسيئات, وهو منهي عنه, لأن فيه مفسدتين كبيرتين: العداوة بين الناس, وإشاعة الانحراف بإضعاف استبشاعه واستغرابه.¹ لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المجاهرة بالمعاصي, وحث على ستر المسلم. يقول عليه الصلاة والسلام: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين) الحديث.² ويقول: (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)³ وإذا تاب قبل أن يرفع إلى الإمام سقط عنه الحد, لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 34].⁴

ويستحب أيضاً العفو, كما قال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ﴾ [الشورى: 40]. أي: أن أجره إذا عفا عظيم, ومضمون لا يضيع, فهو أعظم مما لو أخذها حسنات من ظالمه.⁵ ولا يخسر بعفوه شيئاً, بل ذلك يزيده عزا ومكانة, كما قال عليه الصلاة والسلام: (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً).⁶ لكن هذا العفو مشروط بشرطين: أن يكون فيه إصلاح, لقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ لأن الجاني قد لا يليق به العفو, والمصلحة تقتضي عقوبته.⁷ وأن يكون

¹ انظر: محمد رشيد رضا, تفسير المنار (3/6)

² رواه البخاري, كتاب الأدب, باب ستر المؤمن على نفسه, رقم (6069) ومسلم, كتاب الزهد والرقائق, باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه, رقم (2990) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

³ رواه البخاري, كتاب المظالم والغصب, باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه, رقم (2442) ومسلم, كتاب البر والصلة والآداب, باب تحريم الظلم, رقم (2580) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

⁴ انظر: سيد سابق, فقه السنة (482/2) مجموعة من العلماء, الموسوعة الفقهية الكويتية (343/24)

⁵ انظر: ابن كثير, تفسير القرآن العظيم (212/7) فتح القدير (620/4)

⁶ رواه مسلم, كتاب البر والصلة والآداب, باب استحباب العفو والتواضع, رقم (2588) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁷ انظر: السعدي, تيسير الكريم الرحمن (760)

ذلك قبل وصوله إلى الحاكم،¹ لقوله عليه الصلاة والسلام: (تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب).²

ويجب في ذلك أيضا التثبت واليقين، وإقامة الدليل الذي لا يتطرق إليه الشك، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]. فلا بد من شاهدين عدلين رأوا الجريمة، وفي الزنا لابد من أربعة رأوا الذكر في الفرج، أو الإقرار وهو سيد الأدلة،³ فإذا وجدت شبهة فإن الحد يسقط.⁴

ب. بعد الحكم:

إذا وصل الأمر إلى الحاكم وقضى فيه بحكم الله، لم يبق مجال للمراجعة، ولا يجوز فيه العفو ولا الشفاعة. ولا يليق إلا الحزم في تطبيقه، والقوة في إمضائه، من غير تردد ولا لين. مثل ما يعطى الدواء للمريض، فمن ترك ذلك لرأفة يجدها نحو المريض فقد أعان على هلاكه. والحدود بمثابة الدواء للمجتمع المسلم، الذي أصيب عضو منه، لأنه كالجسد الواحد. فالجزم في حقيقته مريض تغلبه نفسه على المعصية، وهذه العقوبة دواء له. فإذا شفي هذا العضو تعافى الجسد كله. فهذه العقوبات في حقيقتها رحمة بالعباد، وداخله في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].⁵

يقول تعالى في الحزم في إقامة الحد على الزانية والزاني: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ [النور: 2]. أي: لا تحملنكم الرأفة بهما -وهي من طبيعة البشر- على ترك الحد، أو تخفيفه أو النقص منه.⁶ وفي حديث المخزومية التي سرقت من العدل والحزم والسياسة ما يختصر كثيرا من الشرح والتوضيح، فعن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله

¹ انظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث - القاهرة (346)

² رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان، رقم (4376) والنسائي، كتاب قطع السارق، باب ما يكون حرزا وما لا يكون، رقم (4886) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم (2954) (568/1)

³ انظر: سيد سابق، فقه السنة (396/2، 445، 415)

⁴ انظر: سيد سابق، فقه السنة (360/2)

⁵ انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (289/15) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (561)

⁶ انظر: علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط (96/16)

صلى الله عليه وسلم؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أتشفع في حد من حدود الله؟) ثم قام فخطب وقال: (يا أيها الناس، إنما ضل من قبلكم، أنكم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، سرقت لقطع محمد يدها)¹

وبهذا يتحقق الردع، وينتشر العدل، وتقل الجريمة والانحراف، وتعم الفضيلة والصلاح، وينتظم المجتمع، ويأمن الناس في أنفسهم وعلى دينهم وأعراضهم، وعلى ممتلكاتهم وجميع شؤونهم. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمحطوا أربعين صباحاً)²

رابعاً: صلاحيتها لكل زمان ومكان

التشريع الإسلامي يشمل جميع مناحي الحياة، فلا يقتصر فقط على الجانب الروحي والعلاقة مع الله. بل هو تشريع رباني كامل ينظم جميع شؤون الإنسان، ويحفظ له جميع ما تقوم به حياته في الدنيا والآخرة، من الدين والنفس والعقل والعرض والمال.³ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]. قال سيد قطب: "هو دعوة إلى الحياة في كل صورها وأشكالها.. وفي كل مجالاتها ودلالاتها"⁴

وهذا التشريع مبني على معرفة دقيقة تامة بالنفس البشرية وأغوارها، وكيف لا يكون كذلك وهو تنزيل من لدن حكيم خبير؟ فالله سبحانه هو الذي خلق هذه النفس، ويعلم خباياها وأسرارها، وما يصلحها أو يفسدها. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]. ومعنى الخبير: العالم ببواطن الأمور وخفاياها، واللطيف: المطلع على ما لطف ودق، والموصل إلى

¹ رواه البخاري، كتاب الحدود، باب كراهة الشفاعة في الحدود، رقم (6788) ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم (1688)

² رواه النسائي، كتاب قطع السارق، باب الترغيب في إقامة الحد، رقم (4904) وابن ماجه، أبواب الحدود، باب إقامة الحدود، رقم (2539) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (231) (461/1)

³ انظر: محمد الأمين الشنقيطي، منهج التشريع الإسلامي وحكمته، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية (17)

⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن (1495/3)

عباده مصالحهم من حيث لا يشعرون.¹ فكل هذه التشريعات من آثار علمه وحكمته ورحمته وأسمائه الحسنی وصفاته العليا.²

وأكبر دليل على صلاحية هذا التشريع هو الواقع والتجربة، والتاريخ خير شاهد على ذلك قديماً وحديثاً.³ يقول عبد القادر عودة: "والتجربة وحدها هي التي تبين قيمة الأنظمة الجنائية، ولا عبرة بالمنطق المزوق الذي يصح مرة ويخيب أخرى، ولست آتي بجديد حين أقول هذا، وإنما أكرر ما قاله علماء القوانين الوضعية مجتمعين في اتحاد القانون الدولي، وحيث قرروا أن أحسن نظام جنائي هو الذي يؤدي عملاً إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة، وأن التجارب هي وحدها الكفيلة بإبراز هذا النظام المنشود."⁴

واستبدال هذا التشريع الرباني بهذه القوانين الوضعية إفساد للمجتمع وتضييع له، إذ إن مبنى هذه القوانين عموماً على عقوبة الحبس، والتي في حقيقتها جريمة في حق المجتمع، فضلاً عن أن تكون علاجاً له. فالحبس أو السجن يحتاج إلى ميزانية ضخمة ترهق خزينة الدولة، وحجز الرجال فيها تلك المدد الطويلة تعطيل للإنتاج وتضييع لجهودهم في خدمة المجتمع، وقتل لروح العمل والاجتهاد فيهم حتى بعد خروجهم من السجن، لما ألفوه من التعطل ووفرة حاجياتهم دون أي جهد أو نشاط داخل السجن. وهو في حقيقته إفساد للمسجونين، فهو يجمع بين المجرم الخبير والمبتدأ العادي، فيتطور المجرم العادي في الجريمة، بتعلم أساليب جديدة وبالاستخفاف بالجريمة لمخالطة أهلها، مع ما يصحبه من فساد السلوك والأخلاق. لذلك نجد أن هذه السجون ليس لها أثر كبير، بقدر ما فيها من المفساد. ونلاحظ عدم ارتداع المجرمين بها، حتى صار الواحد منهم يدخل مرات إليه، بل ويفتخر بذلك، وحتى صار هؤلاء الخارجين منه آفة في المجتمع، ومصدر خوف ورعب، دون رادع ولا زاجر.⁵

¹ انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الاحسنی، دار ابن حزم - القاهرة، الطبعة الأولى 2012م (160)

² انظر: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين (82/2)

³ انظر: عبد الرحمن عبد الخالق، وجوب تطبيق الحدود الشرعية (20)

⁴ عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (712/1)

⁵ انظر: عبد القادر عودة، نفس المرجع (732/1) عبد الرحمن عبد الخالق، وجوب تطبيق الحدود الشرعية (37)

لذلك لا نجد في شريعة أحكم الحاكمين هذه العقوبة السخيفة, وغاية ما وجد فيها تأديب وتعزير لأيام قليلة, وهو اجتهد من بعض الخلفاء.¹ وكذلك حبس المنفي إلى حين ظهور توبته كما تقدم. وأما قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ [النساء: 15]. فقد جعل الله هن سبيلا, بالجلد للبكر والرجم للمحصن.²

بل إن عقوبة السجن هذه لم يذكرها الله سبحانه إلا عن الطغاة الظالمين, من أمثال فرعون الذي قال لموسى عليه السلام فيما يحكيه الله تعالى عنه: ﴿لَئِنْ أَتَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]. ومن ملك مصر زمن يوسف عليه السلام, كما قال تعالى عنه: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42].

¹ انظر: عبد الرحمن عبد الخالق, نفس المرجع (31)

² انظر: ما رواه مسلم, كتاب الحدود, باب حد الزنى, رقم (1690)

الختامة:

في ختام هذا البحث نستخلص ما يلي:

1. حلل القرآن الكريم والسنة النبوية ظاهرة الانحراف من جميع الجوانب, خاصة في أثناء حديثه عن المنحرفين. فهو لا يكتفي بمجرد سرد وقائع حدثت أو نقل خبر مضى, وإنما يشير إلى سبب الانحراف ويذكر أثره وعواقبه, ومصير صاحبه. حتى يحصل الاعتبار والاعتاظ والفائدة.
2. لم يرد ذكر الانحراف بمفهومه المعاصر في الكتاب والسنة لكنه جاء التعبير عنه بمرادفات كثيرة تبين خطورته, كالمعصية والفساد والفسوق والجرم..
3. المفهوم الشرعي للانحراف أوسع بكثير من مفهومه في علم الاجتماع أو النفس أو القانون.
4. الانحراف قد يكون بسبب داخلي من الإنسان كالعجب والحسد والكبر, وقد يرجع إلى سبب خارجي كرفقاء السوء أو دعاة الضلال أو غير ذلك.
5. آثار الانحراف تكون عاقبتها على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.
6. علاج الانحراف يكون على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي, لا ينفك أحدهما عن الآخر, فهي مسؤولية الجميع, كل بحسبه.

التوصيات:

موضوع الانحراف في القرآن الكريم والسنة النبوية يحتاج إلى دراسة أعمق, فلو تعاون عدة باحثين من تخصصات متعددة من علم النفس والاجتماع والقانون وغيرها مع التخصص الشرعي من التفسير وعلوم القرآن السنة, لخرجوا بنتائج قيمة تفيد في علاج هذه الظاهرة وتعزز من اليقين والتمسك بالقرآن والسنة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم, برواية حفص عن عاصم, وبطريقة الكوفيين في عد الآيات, مصحف المدينة النبوية, مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة.
2. إبراهيم بن موسى الشاطبي, الموافقات, دار ابن عفان, الطبعة الأولى 1997م
3. إبراهيم بن موسى الشاطبي, الموافقات, دار ابن عفان, الطبعة الأولى 1997م
4. ابن أبي شيبة, الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار, مكتبة الرشد - الرياض, الطبعة الأولى 1409هـ
5. ابن الأثير, النهاية في غريب الحديث والأثر, المكتبة العلمية - بيروت
6. ابن الجوزي, ذم الهوى, المكتبة الشاملة
7. ابن الجوزي, زاد المسير في علم التفسير, دار الكتاب العربي - بيروت, الطبعة الأولى 1422هـ
8. ابن القيم, إعلام الموقعين عن رب العالمين, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة الأولى 1411هـ
9. ابن القيم, إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان, مكتبة المعارف - الرياض
10. ابن القيم, التبيان في أقسام القرآن, دار المعرفة - بيروت
11. ابن القيم, الداء والدواء, عالم الفوائد - بجدة, الطبعة الأولى 1429هـ
12. ابن القيم, الروح, دار الكتب العلمية - بيروت
13. ابن القيم, الصلاة وأحكام تاركها, مكتبة الثقافة - المدينة المنورة
14. ابن القيم, الفوائد, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة الثانية 1393 هـ
15. ابن القيم, الكافية الشافية, مكتبة ابن تيمية - القاهرة, الطبعة الثانية 1417هـ
16. ابن القيم, الوابل الصيب من الكلم الطيب, دار الحديث - القاهرة, الطبعة الثالثة 1999 م
17. ابن القيم, جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام, دار العروبة - الكويت الطبعة الثانية 1407هـ
18. ابن القيم, روضة المحبين ونزهة المشتاقين, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: 1983 م

19. ابن القيم, زاد المعاد في هدي خير العباد, مؤسسة الرسالة, بيروت, السابعة والعشرون , 1415هـ
20. ابن القيم, شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, دار المعرفة - بيروت 1978م
21. ابن القيم, عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين, دار ابن كثير - دمشق, الطبعة الثالثة 1409هـ
22. ابن القيم, مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, دار الكتاب العربي - بيروت, الطبعة الثالثة 1416هـ
23. ابن تيمية, اقتضاء الصراط المستقيم, الناشر: دار عالم الكتب, بيروت, الطبعة السابعة, 1999م
24. ابن تيمية, الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية, الطبعة الأولى 1418هـ
25. ابن تيمية, الرد على المنطقيين, دار المعرفة - بيروت
26. ابن تيمية, الفتاوى الكبرى, دار الكتب العلمية, الطبعة الأولى 1987م
27. ابن تيمية, أمراض القلوب وشفائها, المطبعة السلفية - القاهرة, الطبعة الثانية 1399هـ
28. ابن تيمية, مجموع الفتاوى, مجمع الملك فهد - السعودية 1995م
29. ابن تيمية, مختصر الفتاوى المصرية, دار الكتب العلمية - بيروت 1405هـ
30. ابن جرير, جامع البيان, مؤسسة الرسالة, الطبعة الأولى 2000 م
31. ابن جزي, التسهيل لعلوم التنزيل, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت, الطبعة الأولى 1416هـ
32. ابن حجر العسقلاني, فتح الباري, دار المعرفة - بيروت 1379
33. ابن حجر الهيتمي, الزواجر عن اقتراف الكبائر, دار الفكر, الطبعة الأولى 1987م
34. ابن حجر, الإصابة في تمييز الصحابة, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة الأولى 1415هـ
35. ابن حزم, الأخلاق والسير في مداواة النفوس, دار الآفاق الجديدة - بيروت, الطبعة الثانية, 1979م
36. ابن عبد البر, جامع بيان العلم وفضله, دار ابن الجوزي - السعودية, الطبعة الأولى 1994م

37. ابن عثيمين, نبذة في العقيدة الإسلامية, دار الثقة - مكة, الطبعة الأولى 1412هـ
38. ابن عثيمين, القول المفيد شرح كتاب التوحيد, دار ابن الجوزي-السعودية, الطبعة الثانية 1424هـ
39. ابن عثيمين, تفسير جزء عم, دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض, الطبعة الثانية 2002 م
40. ابن عثيمين, تفسير سورة المائدة, دار ابن الجوزي - السعودية, الطبعة الأولى 1432هـ
41. ابن عثيمين, شرح الأربعين النووية, دار الثريا-السعودية, 1424هـ
42. ابن عثيمين, شرح العقيدة الواسطية, دار ابن الجوزي - السعودية, الطبعة السادسة 1421 هـ
43. ابن عثيمين, شرح رياض الصالحين, دار الوطن للنشر - الرياض, 1426 هـ
44. ابن عثيمين, كتاب العلم, مكتبة نور الهدى - مصر
45. ابن عطية, المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى 1422هـ
46. ابن كثير, البداية والنهاية, دار الفكر 1986م
47. ابن كثير, السيرة النبوية, دار المعرفة - بيروت 1976 م
48. ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, دار طيبة, الطبعة الثانية 1999م
49. ابن هشام, السيرة النبوية, مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر, الطبعة الثانية 1955 م
50. أبو البقاء الحنفي, الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية, مؤسسة الرسالة - بيروت
51. أبو الحسن الشيخ, تراجمات الألباني, دار المعارف - الرياض, المكتبة الشاملة
52. أبو حامد الغزالي, إحياء علوم الدين, دار المعرفة - بيروت
53. أبو حيان الأندلسي, البحر المحيط في التفسير, دار الفكر - بيروت 1420هـ
54. أبو داود سليمان بن الأشعث, سنن أبي داود, دار الرسالة العالمية, الطبعة الأولى, 1430 هـ
55. أبو سليمان الخطابي, معالم السنن, المطبعة العلمية - حلب, الطبعة الأولى 1351 هـ
56. أبو عبد الرحمن السلمي, عيوب النفس, مكتبة الصحابة - طنطا
57. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني, حلية الأوياء طبقات الأصفياء, دار السعادة - مصر 1394هـ
58. أبو هلال العسكري, الفروق اللغوية, دار العلم والثقافة - مصر

59. إحسان الهي ظهير , كتاب الشيعة والقرآن , , إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان.
60. أحمد أحمد غلوش, كيفية إعداد الداعية, المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة, الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة, السنة التاسعة - العدد الرابع - ربيع أول 1397هـ
61. أحمد بن الحسين البيهقي, دلائل النبوة, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة الأولى 1405هـ
62. أحمد بن الحسين البيهقي, شعب الإيمان, مكتبة الرشد- الرياض, الطبعة الأولى 2003 م
63. أحمد بن حنبل, مسند الإمام أحمد, دار الحديث - القاهرة, الطبعة الأولى 1416 هـ
64. أحمد بن شعيب النسائي, السنن الصغرى, مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب, الطبعة الثانية 1406هـ
65. أحمد بن عثمان الذهبي, الكبائر, دار الندوة الجديدة - بيروت
66. أحمد بن عمرو البزار, مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة, الطبعة الأولى 1988م
67. أحمد بن فارس, مقاييس اللغة, دار الفكر, 1979م
68. أحمد بن محمد ابن السني, عمل اليوم والليلة, دار القبله وعلوم القرآن - جدة, بيروت
69. أحمد بن محمد الخفاجي, حاشية الشهاب على تفسير البضاوي, دار صادر - بيروت
70. أحمد بن مروان الدينوري, المجالسة وجواهر العلم, دار ابن حزم- بيروت 1419هـ
71. أحمد علوان, الانحراف السلوكي وعلاقته بالمجتمع. شبكة الألوكة-قسم الكتب, www.alukah.net
72. أحمد مختار عبد الحميد, معجم اللغة العربية المعاصرة, عالم الكتب, الطبعة الأولى 2008م
73. أحمد موسى الحازمي, اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون, دار الصمعي-الرياض, الطبعة الأولى 2013م
74. إسماعيل بن عمر ابن كثير, قصص الأنبياء, دار التأليف - القاهرة, الطبعة الأولى 1968م
75. أكرم ضياء العمري, السيرة النبوية الصحيحة, مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة, الطبعة السادسة 1994 م
76. باسم محمد أبو عليان, الانحراف الاجتماعي والجريمة, جامعة الأقصى الطبعة الثالثة 2016م
77. البقاعي, نظم الدرر في تناسب الآيات والسور, دار الكتاب الإسلامي- القاهرة

78. بكر بن عبد الله أبو زيد، الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثانية 1415 هـ
79. جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى
80. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة 1414 هـ
81. حازم خنفر، غاية المَنوّة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، دار الصديق، الطبعة الأولى 2009 م
82. حافظ حكيم، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى 1990 م
83. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة، الطبعة الرابعة 1997 م
84. خالد بن جمعة الخراز، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر - الكويت، الطبعة الأولى 1430 هـ
85. خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى 2006 م
86. دبيان الديان، موسوعة أحكام الطهارة، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثانية 2005 م
87. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، الدار الشامية - دمشق، الطبعة الأولى 1412 هـ
88. الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الرابعة، 1410
89. زكريا بن محمد السنيكي، الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى 1411 هـ
90. سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية 1408
91. سعود بن عبد العزيز الخلف، المباحث العقدية المتعلقة بالكبائر ومرتكبها في الدنيا، مجلة الجامعة الإسلامية - العدد 123
92. سعيد بن علي القحطاني، العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير - الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ

93. سعيد بن علي القحطاني، العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير - الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ
94. سعيد بن علي القحطاني، الغفلة: مفهومها وخطرها وعلاماتها وأسبابها وعلاجها، مطبعة سفير - الرياض
95. سعيد بن علي القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى 1421 هـ
96. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريسي - الرياض
97. سعيد محمد بابا سيلا، أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، دار الحكمة - بريطانيا، الطبعة الأولى 1420 هـ
98. سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين - القاهرة
99. سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الصغير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، الطبعة: الأولى 1405 هـ
100. سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية
101. سليمان بن عبد الرحمن الحقييل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، هيئة الأمر بالمعروف، الطبعة الرابعة 1417 هـ
102. سليمان بن قاسم العيد، سبل وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، مدار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى 1426 هـ
103. سيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي - لبنان، الطبعة الثالثة 1397 هـ
104. سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر 1412 هـ
105. الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم 1997 م
106. شمس الدين ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى
107. الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الأولى 1414 هـ
108. صالح آل الشيخ، التمهيد شرح كتاب التوحيد، دار التوحيد - السعودية، الطبعة الأولى 1424 هـ

109. صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة 1420هـ
110. صباح عباس، الانحرافات السلوكية الأسباب والعلاج، دار البيان العربي، ط 1 1993.
111. صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال - بيروت، الطبعة الأولى
112. ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع المسلم ومعالجتها رؤية إسلامية، محمد عبد الصمد.
113. عبد الرحمن ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار الحديث - القاهرة، الطبعة 1421هـ
114. عبد الرحمن ابن رجب، جامع العلوم والحكم، دار السلام، الطبعة الثانية 1424 هـ
115. عبد الرحمن ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى 1425 هـ
116. عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية 2003 م
117. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2000 م
118. عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم - دمشق، الطبعة الخامسة 1999م
119. عبد الرحمن عبد الخالق، وجوب تطبيق الحدود الشرعية، مكتبة ابن تيمية - الكويت، الطبعة الثانية 1404 هـ
120. عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى، دار ابن حزم - القاهرة، الطبعة الأولى 2012م
121. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى 1428 هـ
122. عبد العزيز ابن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة 1423 هـ
123. عبد العزيز ابن باز، مجموع فتاوى ابن باز، دار القاسم - الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ
124. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكاتب العربي - بيروت

125. عبد القدر بن عمر البغدادي, خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي, مكتبة الخانجي-القاهرة, الطبعة الرابعة 1997م
126. عبد الكريم النملة, المذهب في أصول الفقه المقارن, مكتبة الرشد - الرياض, الطبعة الأولى 1999م
127. عبد الكريم بن عوض السلمي, محاضرات في تعظيم قدر الصلاة, مشروع تعظيم قدر الصلاة - مكة, الطبعة الأولى 1442هـ
128. عبد الكريم زيدان, أصول الدعوة, مؤسسة الرسالة, الطبعة: التاسعة 1421هـ
129. عبد الله بن عبد الحميد الأثري, الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة, مدار الوطن للنشر-الرياض, الطبعة الأولى 2003 م
130. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي, سنن الدارمي, دار البشائر - بيروت, الطبعة الأولى 2013م
131. عبد الله بن عمر البضاوي, أنوار التنزيل وأسرار التأويل, دار إحياء التراث العربي - بيروت, الطبعة الأولى 1418 هـ
132. عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا, العزلة والانفراد, مكتبة الفرقان - القاهرة
133. عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا, محاسبة النفس, دار الكتب العلمية-بيروت, الطبعة الأولى 1406 هـ
134. عبد المنعم محمد حسين, الدعوة الإسلامية ووسائل الإعلام, المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة, الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة, السنة التاسعة - العدد الرابع - ربيع أول 1397هـ
135. عثمان الخميس, فبهدهم اقتده, دار الإيلاف - الكويت, الطبعة الأولى 2010م
136. عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني, المكتفى في الوقف والابتداء, دار عمار, الطبعة الأولى 1422 هـ
137. عزيز فرحان العنزي, البصيرة في الدعوة إلى الله, دار الإمام مالك - أبو ظبي, الطبعة الأولى 1426هـ
138. علي بن أحمد الواحدي, التفسير البسيط, عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, الطبعة الأولى 1430 هـ

139. علي بن الحسن ابن عساكر, تاريخ دمشق, دار الفكر 1415هـ
140. علي بن محمد الجرجاني, التعريفات, دار الكتب العلمية-بيروت, الطبعة الأولى 1983م
141. علي بن محمد الماوردي, النكت والعيون, دار الكتب العلمية - بيروت
142. عمر بن سليمان الأشقر, القيامة الكبرى, دار النفائس - الأردن, الطبعة السادسة 1415هـ
143. عمر بن سليمان الأشقر, عالم الجن والشياطين, مكتبة الفلاح - الكويت, الطبعة الرابعة 1984م
144. عياض بن نامي السلمي, أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله, دار التدمرية - الرياض, الطبعة الأولى 2005م
145. غراب رحمة, الانحراف, مذكرة - جامعة الوادي
146. فخر الدين الرازي, مفاتيح الغيب, دار إحياء التراث العربي - بيروت, الطبعة الثالثة 1420هـ
147. الفيروزآبادي, القاموس المحيط, مؤسسة الرسالة - بيروت, الطبعة الثامنة 2005م
148. الفيومي, المصباح المنير, المكتبة العلمية - بيروت
149. كريمة عجرود, الانحراف فردانية السلوك واجتماعية رد الفعل, المجلة الخلدونية, جامعة ابن خلدون - تيارت 2013م المجلد 12
150. لجنة من علماء الأزهر, المنتخب في تفسير القرآن الكريم, مؤسسة الأهرام-مصر, الطبعة الثامنة عشر 1995م
151. لجنة من علماء الأزهر, المنتخب في تفسير القرآن الكريم, مؤسسة الأهرام-مصر, الطبعة الثامنة عشر 1995م
152. مالك بن أنس, الموطأ, مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية-الإمارات, الطبعة الأولى 1425هـ
153. مجدي الهلالي, كيف نحب الله ونشتاق إليه, مؤسسة اقرأ - القاهرة, الطبعة الأولى 1428هـ
154. مجمع اللغة العربية, المعجم الوسيط, دار الدعوة
155. مجموعة من العلماء, الموسوعة الفقهية الكويتية, وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت, الطبعة الأولى, مطابع دار الصفوة - مصر

156. محمد ابن أبي العز الحنفي, شرح العقيدة الطحاوية, مؤسسة الرسالة - بيروت, الطبعة العاشرة 1417هـ
157. محمد أبو زهرة, الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي, دار الفكر العربي القاهرة 1998م
158. محمد أبو شهبه, السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة, الناشر: دار القلم - دمشق, الطبعة الثامنة 1427 هـ
159. محمد الأمين الشنقيطي, أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن, دار الفكر - بيروت, 1995م
160. محمد الأمين الشنقيطي, العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير, دار عالم الفوائد - مكة المكرمة, الطبعة الثانية 1426 هـ
161. محمد الأمين الشنقيطي, منهج التشريع الإسلامي وحكمته, الجامعة الإسلامية, المدينة المنورة, الطبعة الثانية
162. محمد الأمين بن عبد الله الحرري, تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن, دار طوق النجاة - بيروت, الطبعة الأولى 2001 م
163. محمد البشير الإبراهيمي, آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي, دار الغرب الإسلامي, الطبعة الأولى 1997
164. محمد الطاهر ابن عاشور, التحرير والتنوير, الدار التونسية 1984 هـ
165. محمد المرزوقي, الانحراف من وجهة نظر القانون, محمد المرزوقي للمحاماة والاستشارات القانونية blog.ml-advocates.com
166. محمد بن أحمد الأزهرى, معاني القراءات, مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود, الطبعة الأولى, 1412 هـ
167. محمد بن أحمد الذهبي, سير أعلام النبلاء, مؤسسة الرسالة, الطبعة الثالثة 1405
168. محمد بن أحمد القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, دار الكتب المصرية - القاهرة, الطبعة الثانية 1964 م
169. محمد بن إسحاق, السير والمغازي, دار الفكر - بيروت, الطبعة الأولى 1978م
170. محمد بن إسحاق, السير والمغازي, دار الفكر - بيروت, الطبعة الأولى 1978م
171. محمد بن إسحاق, السير والمغازي, دار الفكر - بيروت, الطبعة الأولى

172. محمد بن إسماعيل البخاري, الأدب المفرد, دار البشائر الإسلامية - بيروت, الطبعة الثالثة 1989م
173. محمد بن إسماعيل البخاري, الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه, دار طوق النجاة, الطبعة الأولى, 1422هـ
174. محمد بن الحسين الآجري, الشريعة, دار الوطن - الرياض, الطبعة الثانية 1420 هـ
175. محمد بن عيسى الترمذي, سنن الترمذي, دار الغرب الإسلامي - بيروت 1998م
176. محمد بن موسى الدالي, أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي, مكتبة الرشد, الرياض, الطبعة الأولى 2008م
177. محمد بن يزيد ابن ماجه, سنن ابن ماجه, دار الرسالة العالمية, الطبعة الأولى 1430هـ
178. محمد رشيد رضا, تفسير المنار, الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م
179. محمد سيد طنطاوي, التفسير الوسيط للقرآن الكريم, دار نخضة مصر - القاهرة, الطبعة الأولى
180. محمد عبد الرحمن المباركفوري, تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي, دار الكتب العلمية - بيروت
181. محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري, تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي, دار الكتب العلمية - بيروت
182. محمد عبد الصمد, ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع المسلم ومعالجتها رؤية إسلامية, دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
183. محمد عميم الإحسان البركتي, التعريفات الفقهية, دار الكتب العلمية, الطبعة الأولى 2003م
184. محمد ناصر الدين الألباني, خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه, مكتبة المعارف الطبعة الأولى 2000م
185. محمد ناصر الدين الألباني, سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها, مكتبة المعارف - الرياض, الطبعة الأولى 2002م
186. محمد ناصر الدين الألباني, سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة, دار المعارف-الرياض, الطبعة الأولى 1992م

187. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح أبي داود، مؤسسة غراس - الكويت، الطبعة: الأولى 2002 م
188. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى 2000 م
189. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثالثة 1408 هـ
190. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية - عمان، الطبعة الأولى
191. محمد يحيى حلو، البردة شرحاً وإعراباً وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، دار البيروتي - دمشق، الطبعة الثالثة 1426 هـ
192. المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية
193. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1955 م
194. الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1422 هـ
195. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الثالثة 1421 هـ
196. منصور محمد منصور الحفناوي، الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارناً بالقانون، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى 1406 هـ
197. مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، المجمع الفقهي الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، 20-22 جمادى الآخرة 1438 هـ الموقع الرسمي: ar.themwl.org
198. الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف، www.dorar.net
199. نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية - السعودية، الطبعة الأولى 1421 هـ
200. نخبة من العلماء، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد-السعودية، الطبعة الثانية، 2009 م

201. يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ

202. يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة 1998م

فهرس الآيات:

الفاحة

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [5] 154
 ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [6] 139

البقرة

- ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾. [16] 17
 ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [34] 45
 ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [36] 81
 ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾. [45] 150
 ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ وَالْمُسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [61] 124
 ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [74] 69
 ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَى فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. [74] 69
 ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [78] 57
 ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [81] 16
 ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [83] 205
 ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [88] 117
 ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [89] 34
 ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾. [93] 27
 ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [111] 87
 ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيُّ عَلَى شَيْءٍ﴾ [113] 53
 ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. [124] 204
 ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [128] 142
 ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [146] 34
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. [153] 180, 177
 ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِثِيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [155] 183, 95
 ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [165] 32
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [165] 32
 ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [170] 103, 100
 ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ [177] 177

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾. [178] 232
- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [187] 156
- ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [192] 188
- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [213] 52
- ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [217] 120
- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [220] 17
- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾. [221] 105
- ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [242] 99
- ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾. [249] 180
- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾. [250] 178, 179
- ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. [254] 51
- ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [256] 17
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾. [258] 93, 202
- ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾. [264] 121
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [264] 121
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [267] 85
- ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾. [268] 86
- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾. [274] 204

آل عمران

- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [7] 157, 164, 16, 112
- ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [8] 143
- ﴿رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [14] 90
- ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [19] 53
- ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [30] 16
- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. [33] 183
- ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [36] 144, 214
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [38] 141
- ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. [79] 213, 216
- ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [104] 197, 222
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [110] 222

- 228..... ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [113-114]
- 105..... ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ [118]
- 188..... ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [135]
- 151, 192..... ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [135-136]
- 98..... ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [144]
- 206..... ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ﴾ [159]
- 85..... ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [173]
- 84, 85..... ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ [175]

النساء

- 16..... ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [2]
- 239..... ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ [15]
- 167..... ﴿وَأِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [17]
- 189..... ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [18]
- 79..... ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [28]
- 133..... ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [42]
- 7, 8..... ﴿يُخْرِفُونَ إِلِكُمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [46]
- 20..... ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [48]
- 34..... ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [54]
- 134..... ﴿كَلَّمَآ نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [56]
- 16..... ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [112]
- 84, 86..... ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [120]
- 87..... ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [123-124]
- 30..... ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ [135]
- 225..... ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [140]
- 235..... ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [148]
- 43..... ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [155]
- 166..... ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [162]

المائدة

- 16..... ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [2]
- 15..... ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ [3]

- 30..... ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوۡا﴾ [8]
- 128..... ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوۡا إِنَّا نَصْرِيۡٓءُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [14]
- 35..... ﴿وَأَتٰل عَلَيْهِم نَبَاۥٓءُ ابْنِۤىٓ عَادَۡمَ بِالْحَقِّ ۖ إِذْ قَرَّبَا قُرْبٰنًا﴾ [27-30]
- 24..... ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ [30]
- 231, 233, 232..... ﴿إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوۡا﴾ [33]
- 235..... ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنۢ قَبْلِ أَن تَقْدِرُوۡا عَلَيْهِمْ﴾ [34]
- 233..... ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوۡا أَيْدِيَهُمَا﴾ [38]
- 231..... ﴿تَكْلَآءَ مِنَ اللَّهِ﴾ [38]
- 78..... ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [52]
- 49..... ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمۡ إِلَى الصَّلٰوةِ أَخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [58]
- 129..... ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنزَلۡ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيٰنًا وَكُفْرًا﴾ [64]
- 31..... ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِم رُسُلًا﴾ [70]
- 20..... ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوٰهُ النَّارُ﴾ [72]
- 111..... ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوۡا مِنۢ قَبْلُ وَأَضَلُّوۡا كَثِيرًا﴾ [77]
- 221..... ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [78-79]
- 84, 128, 88..... ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدٰوةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْحَضَرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [91]
- 227..... ﴿يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمۡ أَنفُسَكُمۡ لَا يَضُرُّكُم مِّنۢ ضَلٰٓٔةٍ إِذَا أَهْتَدَيْتُمۡ﴾ [105]
- 62..... ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [116]
- 145..... ﴿إِن تُعَذِّبُهُمۡ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [118]

الأنعام

- 117..... ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [25]
- 47..... ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [32]
- 181..... ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِّنۢ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾ [34]
- 75, 89..... ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنۢ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَآسَاءِ وَالضَّرَآءِ﴾ [42-43]
- 206..... ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [48]
- 167..... ﴿مَن عَمِلَ مِنكُمۡ سُوۡءًا بِمِثْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [54]
- 219, 18..... ﴿وَكَذٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيٰتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [55]
- 158..... ﴿وَإِذَا رَأٰىتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيۢ ءَايٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [68]
- 202..... ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ﴾ [80]
- 125..... ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوۡا إِيمٰنَهُمۡ بِظُلْمٍ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [82]

- 191..... ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتِدَهُ﴾. [90]
- 211..... ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [90]
- 149..... ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [92]
- 131..... ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [93]
- 164..... ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآلِيتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [97]
- 165..... ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [97]
- 223..... ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. [108]
- 117..... ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعِدَّتَهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [110]
- 80..... ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [112]
- 18..... ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [120]
- 92..... ﴿يَمْعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ [130]
- 134..... ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [132]
- 89..... ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾ [137]
- 49..... ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [140]
- 51..... ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [144]
- 18, 49, 97..... ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [151]
- 190..... ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا﴾. [158]

الأعراف

- 84..... ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. [16-17]
- 82..... ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [20]
- 191..... ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [23]
- 83..... ﴿إِنَّهُ يَرَلُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾. [27]
- 169..... ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [32]
- 140, 141..... ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾. [55]
- 141..... ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾. [56]
- 44, 94..... ﴿قَالَ أَلَمْأَلُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [75-76]
- 127..... ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [78]
- 44..... ﴿قَالَ أَلَمْأَلُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ﴾ [88]
- 179..... ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا [125-126]
- 154..... ﴿وَقَالَ أَلَمْأَلُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [127-128]

- ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ [128] 185
- ﴿وَأَن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [131] 58
- ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَخْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [132-133] 45
- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ﴾ [133] 75
- ﴿وَوَكَّمْتُ كَلِمَتَ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [137] 186
- ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [138] 114
- ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [146] 67, 43
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ﴾ [152] 124
- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ [157] 104, 6, 229
- ﴿قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [164] 227
- ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [166] 127
- ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [176] 208
- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [179] 66
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [201] 151
- ﴿وَأَذْكُرْ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [205] 64, 65

الأفعال

- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْأَمْلِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [9] 142
- ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [16] 8
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [24] 238
- ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [25] 222
- ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [30] 31
- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [38] 187, 188
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [45] 152
- ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ [48] 84, 89
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [53] 123

التوبة

- ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [25] 39
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [30] 71
- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [31] 62
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [34] 109, 111

- ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾. [35] 133
- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾. [42] 70
- ﴿لَا يَسْتَفْزِدُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾. [44-45] 70
- ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾. [67] 65
- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. [71] 228
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾. [73] 206
- ﴿الَّتَاتِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ﴾. [112] 228
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. [114] 182
- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾. [128] 145

يونس

- ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. [5] 165
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾. [7] 67
- ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾. [19] 52
- ﴿إِلَّا إِنْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾. [55] 56
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾. [75] 45
- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾. [84-85] 154
- ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. [88] 92, 144
- ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾. [106] 140

هود

- ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾. [3] 193
- ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾. [18] 133
- ﴿وَمَا نَرُكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ﴾. [27] 94
- ﴿قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا﴾. [32] 202
- ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. [40] 199
- ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. [47] 191
- ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾. [52] 193
- ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾. [61] 194
- ﴿فَبَشِّرْنَهَا بَأْسَ حَقٍّ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقٍ يَعْقُوبُ﴾. [71] 182
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾. [75] 183
- ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا﴾. [82] 127

- ﴿وَيَقُومُوا أَوْفُوا أَلْمِ كَيْالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [85] 211
- ﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [87] 149
- ﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [88] 154
- ﴿وَمَا أُريدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَلَكُم عَنْهُ﴾ [88] 212
- ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [90] 187, 194
- ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [112] 10
- ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [114] 20
- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [116] 227, 17
- ﴿وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِيَتْ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [120] 208
- ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [123] 154

يوسف

- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [5] 81
- ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [8-10] 36
- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [18] 26, 25, 184
- ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [37-38] 101
- ﴿فَلَبِثْتُ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [42] 239
- ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [53] 23
- ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [82] 26
- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [83] 184
- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [86] 142
- ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [87] 72
- ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [9] 36
- ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [98] 193
- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [99-100] 184
- ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [100] 88
- ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [101] 143
- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [108] 197, 199
- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [111] 208

الرعد

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [11] 129

إبراهيم

- ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. [5] 207
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾. [6] 207
- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [9] 209
- ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [10] : 209, 44
- ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [12] 153
- ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [22] 87
- ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [22] 154, 83
- ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [27] 52
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [34] 22
- ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. [35] 143, 144, 214
- ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [36] 145
- ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [40] : 218, 144, 214

الحجر

- ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [44] 134

النحل

- ﴿وَلَتَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [96] 180
- ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾. [99-100] 154
- ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [105] 71
- ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [106] 96
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً ي﴾ [112] 130
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [120] 212
- ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [125] 196, 202, 201, 223
- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [126] 230
- ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [127] 178
- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [128] 148

الإسراء

- ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [16] : 15
- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [17] 126

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ﴾ [31] 16,97
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [32] 160
- ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [36] 171
- ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [53] 84,88
- ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [62] 81
- ﴿وَأَسْتَغْفِرُكَ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [64] 84,82
- ﴿وَأَن كَادُوا أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ [73-74] 106
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ﴿٣٧﴾﴾ [107-109] 167

الكهف

- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [7] 91
- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [15] 70
- ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [28] 65,178
- ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [32-36] 41
- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [37] 202
- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [39] 41
- ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [46] 90
- ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [50] 11, 15
- ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [67] 178,215
- ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [82] 215
- ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [110] 12

مريم

- ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [3] 140
- ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [39] 133,68
- ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي خَفِيًّا﴾ [47] 193
- ﴿وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [48] 161
- ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [55] 218
- ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [65:] 178,180

طه

- ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [16] 111

- ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بَيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [42] 152
- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [44] 202, 205
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعَى﴾ [54] 47
- ﴿وَأَصْلُ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [79] 113
- ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [85] 114
- ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [87-88] 27, 114
- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ [90-91] 27
- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَمِرِيُّ﴾ [95-96] 27
- ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [97] 225, 224
- ﴿فَقُلْنَا يَنَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [117] 81
- ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [121-122] 191
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [124] 126
- ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [130] 178
- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [131] 160
- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [132] 215, 180, 218

الأنبياء

- ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [1] 64
- ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [3] 45, 46
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [7] 166
- ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [24] 56
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون﴾ [25] 210
- ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [58-65] 102
- ﴿فَسَأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطَفُونَ﴾ [63] 209
- ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [83] 183
- ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [84] 183
- ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [85] 182
- ﴿فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [87] 191
- ﴿وَيَذْعُونَآ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [90] 141
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [107] 237

الحج

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [11] 8,95
- ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [41] 229
- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [46] 47
- ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [53] 76
- ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [54] 76
- ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [67] 199
- ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [78] 173

المؤمنون

- ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [71] 30, 177
- ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا﴾ [109-110] 50
- ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [111] 180

النور

- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [2] 231, 237, 233
- ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [4] 11, 234
- ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [17] 188
- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [30-31] 159
- ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [31] 188
- ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [61] 23
- ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [63] 119, 156

الفرقان

- ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الطَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [27-29] 107
- ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [52] 206
- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [57] 211
- ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [70] 187
- ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [74] 145, 214

الشعراء

- ﴿لَئِن أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [29] 239
- ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [69-74] 101
- ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [99] 110

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [109, 127, 145, 164, 180] 211.....

النمل

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾. [19] 143.....
﴿وَرَبِّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾. [24] 89.....
﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ الرَّحِيمُ﴾. [29-31] 203.....
﴿قَالُوا أَظَرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾. [47] 58.....
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾. [79] 154.....

القصاص

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾. [16] 191.....
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. [38] 113.....
﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾. [76-78] 40.....
﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾. [79-80] 169, 164.....

العنكبوت

﴿الْم ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾﴾. [1-3] 95.....
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾. [23] 73.....
﴿فَقَامَنَّ لَهُ الْوُطُءُ﴾. [26] 161, 199.....
﴿وَعَادَا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِئِهِمْ﴾. [38] 90.....
﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾. [40] 15, 127.....
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. [45] 150, 149.....
﴿وَلَا تُجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. [46] 203.....
﴿وَيَقُولُ دُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. [55] 134.....
﴿يَلْعَابِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾. [56] 160.....
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. [69] 148, 173.....

الروم

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾﴾. [7-6] 164.....
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾. [41] 123.....

لقمان

﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. [13] 51, 217.....
﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾. [16] 217.....

﴿يُبَيِّنُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [17] 178, 218, 185, 229
 ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [18-19] : 219
 ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [33] : 92

السجدة

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾. [24] 178, 180, 199

الأحزاب

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [12] 77
 ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّهَا﴾ [14] 96
 ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [32] 77
 ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ [36] 17
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ [64-65] : 135
 ﴿يَوْمَ تَقْلُبُ أُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿١٧﴾ [66-67] : 100, 110

سبا

﴿ذَلِكَ جَزَايُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ [17] 130
 ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ﴾. [19] 130
 ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [31] 44
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [33] 110
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ﴾. [34] 93
 ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفٍ﴾. [46] 209

فاطر

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾. [6] 82
 ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [10] 123
 ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. [28] 167, 164
 ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾. [32] 51

يس

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [60] 81

الصفات

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [50-57] 106

- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُهَا بِالْيَمِينِ﴾. [93] 224
- ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ﴾ [101-102] 182
- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾. [106] 182
- ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [112] 182
- ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾. [142] 191

ص

- ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [8] 45, 46
- ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [24-25] 192
- ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [26] 30
- ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [41] 183
- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [44] 184
- ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [76] 81
- ﴿قَالَ يَبْلَإِيلَيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾ [75] 45

الزمر

- ﴿أَمَنْ هُوَ قُنَيْتَ عَائَةَ الْأَيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [9] 164
- ﴿إِنَّمَا يُوقِى الصُّدُورُ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [10] 180
- ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [23] 139
- ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [53] 187
- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [65] 210, 120, 20

غافر

- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [14] 140
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ [34] 200
- ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [46] 131
- ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ﴾ [55] 15
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [60] 140

فصلت

- ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَفُرِئَ آتَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [3] 165
- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [15] 45
- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [17] 117

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [33] 197, 199

الشورى

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [25] 187
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [30] 122, 220
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ﴾ [40] 235
﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [42] 51

الزخرف

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [23-22] 102
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [23] 100
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [31] 45, 46
﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [37] 89
﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ آلِيَّسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [51-54] 113
﴿الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بِعُضْفٍ لِّبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [67] 107

الجمانية

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [23] 29

الأحقاف

﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [35] 181

محمد

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [8] 120
﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [16] 117, 43
﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [17] 44
﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ﴾ [20] 77
﴿وَلِنَبْلُوَنَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [31] 183

الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [6] 236
﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [7] 15
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [15] 70

الذاريات

- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [44] 127
- ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [55] 207

النجم

- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [3] 190
- ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهَا أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [23] 31
- ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [32] 38, 19

القمر

- ﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ بِالثُّدُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا ابْشِرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ [23-25] 45

الحديد

- ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [14] 87
- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [16] 74
- ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَتُهُ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ﴾ [20] 91, 169
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [25] 208, 100, 202
- ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [27] 175

المجادلة

- ﴿فَلَا تَتَنَجَّزُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [9] 15

الحشر

- ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [10] 143
- ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [14] 48
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [18] 171
- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [19] 66, 67

الصف

- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [5] 17

الجمعة

- ﴿وَالْحِكْمَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَنِي ضَلَّلٍ مُبِينٍ﴾ [2] 204

المنافقون

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [3] 43
- ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبَاحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [4] 125

الطلاق

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [3] 153

التحريم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾. [8] 190

﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [11] 143

الملك

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. [10] 47

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [14] 3, 238

القلم

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. [4] 204

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [48] 176

الحاقة

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ﴾ [9] 16

المعارج

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [19] 22, 79

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾. [23] 149

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذُلَّةٌ﴾. [44] 132

نوح

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾. [5-9] 210

﴿وَإِنِّي كُنْتُ دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِرَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ﴾ [7] 44

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾. [10-12] 193

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [23] 61

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [26-27] 144

الجن

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. [18] 140

المزمل

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ [7-8] 152

القيامة

﴿وَلَا أُفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [2] 172

الإنسان

﴿وَجَزَلْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا﴾ [12] 180

النبا

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيِّتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [40] 133

النازعات

﴿قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ [8-9] 133

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝﴾ [40-41] 28

المطففين

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [14] 74, 118, 118, 157

الأعلى

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [9] 207

الفجر

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [5] 47

﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [27] 23

الشمس

﴿أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [9-10] 171

الليل

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝﴾ [10-5] 147

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝﴾ [8-10] 119

الشرح

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [3-2] 125

العلق

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝﴾ [6-7] 22

العصر

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝﴾ [1-3] 228

الهمزة

134..... ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۖ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾. [8-9]

الفلق

25..... ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [5]

الناس

82..... ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [5]

228

150..... ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ﴾. [1-4]

فهرس الأحاديث:

237	أتشفع في حد من حدود الله؟
109	أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين
141	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
206	ادعوا الناس، وبشرا ولا تنفرا
152	إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين
133	إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة
202	إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته
141	إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت
112, 158	إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه
151	إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط
212	ازهد في الدنيا يحبك الله
118	أسود مُربادًا كالكوز مُججًا لا يعرف معروفًا
16	اغفر لنا حوبنا وخطايانا
54	افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة
75	ألا وإن في الجسد مضغة
71,62	أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا
162	أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك
24	إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره،
92	إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها
175,60	إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه
84	إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه

83	 إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم
125	 إن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه فوضعت على رأسه
208	 إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء
189	 إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
121	 إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة
110	 إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس
65	 إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان
118,74	 إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه
227	 إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه
135	 إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة
183	 إن أيوب نبي الله صلى الله عليه وسلم لبث في بلائه
97	 أن تجعل لله ندا وهو خلقك
148	 أن تعبد الله كأنك تراه
189	 إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت فاغفر لي
183	 إن عظم الجزاء مع عظم البلاء
86	 إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة
56	 إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم
201	 إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل
39	 إن نبيا كان فيمن كان قبلكم أعجبته أمته
121	 أنا أغنى الشركاء عن الشرك
160	 انظروا إلى من أسفل منكم
200	 إنك تأتي قوما أهل كتاب
185	 إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا
28	 إنما أخشى عليكم شهوات الغي

218	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
149	إنه سينهاه ما يقول
192	إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله
222	أنهلك وفينا الصالحون؟
108	أي عم قل: لا إله إلا الله
61	إياكم والغلو في الدين
157	إياكم ومحقرات الذنوب
63	أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر
179	بشر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى تصيبه
206	بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا
187	التائب من الذنب كمن لا ذنب له
236	تعافوا الحدود فيما بينكم
32	تعس عبد الدينار، والدرهم
215	ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن
38	ثلاث مهلكات: شح مطاع
8	ثم انحرف، فانحرفت
29	حبك الشيء يعمي ويصم
237	حد يعمل به في الأرض
50	حديث أبي مخذرة في الأذان
122	حديث الأذى في المسجد يذهب أجر انتظار الصلاة
162	حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا
122	حديث تربية الكلاب في البيت
132	حديث عذاب الزنا والربا والكذب في القبر
132	حديث عذاب النمام والذي لا يستتر من بوله

133	حديث عذاب مانعي الزكاة يوم القيامة
122	حديث فوات صلاة العصر
134	حديث يؤتى بجهنم يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام
29, 177	حفت الجنة بالمكاره
217	الحمد لله الذي يُطعم ولا يُطعم، مَنْ عَلَيْنَا فهدانا
103	دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام
192	دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت
72	الراحمون يرحمهم الرحمن
105	الرجل على دين خليله
127	سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة
69	سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
177	صم شهر الصبر
199	عرضت علي الأمم
19	غفر الله لك ذنبك أوله وآخره
159	فاتقوا الدنيا واتقوا النساء
156	فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه
63	فمن يطع الله إن عصيته
91	فوالله لا الفقر أخشى عليكم
198	فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً
24	قل: اللهم فاطر السماوات والأرض
219, 109	كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير
72	الكبائر: الشرك بالله والإياس من روح الله
42	الكبر بطل الحق، وغمط الناس
19	كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا

235	كل أمتي معافي إلا المجاهرين
80	الكلب الأسود شيطان
172	الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
18	لا أحد أغير من الله
83	لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك
105	لا تصاحب إلا مؤمنا
62	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)
25	لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم
63	لا تقتله .فإن قتلته فإنه بمنزلتك
190	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
33	لا حسد إلا في اثنتين
59	لا عدوى ولا طيرة
156	لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين
88	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح
112,54	لتتبعن سنن من قبلكم شيرا بشر
29	لما خلق الله الجنة قال :يا جبريل اذهب فانظر إليها
81	لما صور الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام تركه
171	اللهم آت نفسي تقواها
145	اللهم أمتي أمتي
142	اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني
146	اللهم اهد دوسا وأت بهم
39	اللهم بك أحاول وبك أصول وبك أقاتل
146	اللهم حبيب غُبيدك أبا هريرة وأمه
38	اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين

41	ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو
208,100	ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات
20	ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه
82	ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن
221	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها
173	المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله
76	المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان
83	المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان
218	مُزُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين
231	من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له
38	من تعلق شيئاً وكل إليه
162	من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه
198	من دعا إلى هدى كان له من الأجر
185	من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر
223	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
235	من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة
164	من سلك طريقاً يطلب فيه علماً
158	من سمع بالدجال فليأمن بالله عنه
205	من سن في الإسلام سنة حسنة
190	من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه
20	من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار
163	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
175	مه عليكم ما تطيقون من الأعمال
169	موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها

175	 هلك المتنطعون
16	 والإثم ما حاك في صدرك
192	 والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه
169	 والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم
167	 والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله
88	 وإن كان أخاه لأبيه وأمه
236	 وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا
8	 ومن كان عاصيا لله انحرف به الجسر
20	 ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة
178	 ومن يتصبر يصبره الله
179	 ومن يستعفف يعفه الله
34	 يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله
167	 يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله
98	 يا أيها الناس، أيما أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة
217	 يا غلام إني أعلمك كلمات
140	 يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
143	 يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
181	 يرحم الله موسى، قد أودى
68	 يؤتى بالموت كهيفة كبش أملح

فهرس الموضوعات

أ.....	مقدمة
أ.....	الإشكالية
ب.....	أهمية البحث وأهدافه
ب.....	الأسباب الداعية إلى البحث
ج.....	منهجية البحث
د.....	الدراسات السابقة
ه.....	خطة البحث
1.....	مدخل
5.....	الفصل الأول: مفهوم الانحراف وأنواعه
6.....	تمهيد:
7.....	المبحث الأول: مفهوم الانحراف لغة واصطلاحاً
7.....	المطلب الأول: مفهوم الانحراف لغة
7.....	لفظ "الانحراف" في القرآن الكريم والسنة النبوية:
8.....	المطلب الثاني: مفهوم الانحراف اصطلاحاً:
11.....	المبحث الثاني: أنواع الانحراف
11.....	المطلب الأول: من الناحية العقدية:
12.....	المطلب الثاني: من الناحية الفقهية والقانونية:

المطلب الثالث: من الناحية السلوكية:	12
المبحث الثالث: أسماء الانحراف وأقسامه.	15
المطلب الأول: أسماء الانحراف ومرادفاته	15
المطلب الثاني: أقسام الانحراف	18
الأول: باعتبار ظهوره وخفائه.....	18
الثاني: باعتبار حجمه	18
الثالث: باعتبار أثره	19
الفصل الثاني: أسباب الانحراف وآثاره:	21
المبحث الأول: أسباب الانحراف الذاتية.....	22
المطلب الأول: تسويل النفس الأمانة بالسوء	23
أولا: مفهوم النفس والتسويل	23
ثانيا: تطويع النفس سبب قتل أحد ابني آدم أخاه	24
ثالثا: تسويل النفس سبب جريمة إخوة يوسف.....	25
رابعا: تسويل النفس سبب دعوة السامري للشرك	26
المطلب الثاني: الهوى	27
أولا: مفهوم الهوى	27
ثانيا: الهوى يضل عن سبيل الله	29
ثالثا: تكذيب بني إسرائيل الأنبياء وقتلهم بسبب الهوى.....	30
رابعا : تعلق المشركين بغير الله بسبب الهوى	31

32	المطلب الثالث: الحسد
32	أولاً: مفهوم الحسد
33	ثانياً: كفر اليهود بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد
35	ثالثاً: قتل أحد ابني آدم أخاه بسبب الحسد
36	رابعاً: أذية إخوة يوسف لأخيه بسبب الحسد
37	المطلب الرابع: العجب
37	أولاً: مفهوم العجب
38	ثانياً: تولي المسلمين يوم حنين بسبب العجب
39	ثالثاً:بغي قارون وإفساده بسبب العجب
40	رابعاً: كفر صاحب الجنتين بسبب العجب
41	المطلب الخامس: الكبر
42	أولاً: مفهوم الكبر
42	ثانياً: الكبر سبب حرمان الهداية من الله
44	ثالثاً: تكذيب الأمم للرسول بسبب الكبر
45	رابعاً: كفر إبليس بسبب الكبر
46	المطلب السادس: السفه وقلة العقل
46	أولاً: مفهوم السفه والعقل
47	ثانياً: السفه سبب لتفرق القلوب
48	ثالثاً: السفه سبب قتل المشركين أولادهم

49	رابعاً: قلة العقل سبب السخرية من الأذان
50	المطلب السابع: الظلم
50	أولاً: مفهوم الظلم
51	ثانياً: الله حجب الهداية عن الظالمين
52	ثالثاً: الظلم سبب انحراف البشرية بعدما كانت أمة واحدة على الهدى
53	رابعاً: الظلم سبب انحراف أهل الكتاب
54	المطلب الثامن: الجهل
55	أولاً: مفهوم الجهل
55	ثانياً: الجهل سبب إعراض أكثر الناس عن الحق
56	ثالثاً: الجهل سبب كفر جماعة من اليهود
57	رابعاً: الجهل سبب تطير آل فرعون وثمود
59	المطلب التاسع: الغلو
59	أولاً: مفهوم الغلو
60	ثانياً: النهي والتحذير من الغلو
61	ثالثاً: الغلو في الصالحين
62	رابعاً: الغلو في التكفير
64	المطلب العاشر: الغفلة
64	أولاً: مفهوم الغفلة
65	ثانياً: تحذير الله من الغفلة

- 66..... ثالثا: الغفلة من صفات الكفار
- 67..... رابعا: الغفلة سبب الغي والضلال
- 68..... المطلب الحادي عشر: الكفر
- 69..... أولا: مفهوم الكفر
- 69..... ثانيا: الكفر بالله واليوم الآخر سبب التخلف عن الجهاد
- 70..... ثالثا: الكفر سبب افتراء الكذب على الله
- 72..... رابعا: الكفر سبب اليأس من روح الله
- 73..... المطلب الثاني عشر: مرض القلب وقسوته
- 73..... أولا: مفهوم القلب ومرضه وقسوته
- 75..... ثانيا: قسوة القلب تحجز العبد عن التوبة
- 76..... ثالثا: قسوة القلب ومرضه منفذ لتأثير الشيطان
- 77..... رابعا: مرض القلب سبب الضعف عن الجهاد
- 79..... المبحث الثاني: أسباب الانحراف الخارجية
- 80..... المطلب الأول: الشيطان
- 80..... أولا: مفهوم الشيطان
- 81..... ثانيا: عداوة الشيطان لبني آدم
- 82..... ثالثا: تأثير الشيطان على ابن آدم
- 83..... رابعا: تنوع أساليب الشيطان في إغواء بني آدم
- 84..... المطلب الثاني: أساليب الشيطان في إغواء بني آدم

- 85 أولا: التخويف
- 86 ثانيا: الوعد والتمنية
- 87 ثالثا: النزغ بين الناس وإيقاع العداوة بينهم
- 88 رابعا: تزيين العمل السيئ
- 89 المطلب الثالث: الدنيا وزينتها
- 90 أولا: مفهوم الدنيا وزينتها
- 91 ثانيا: تحذير الله من الاغترار بالدنيا
- 92 ثالثا: الدنيا سبب ضلال الكفار
- 93 رابعا: المترفون أول من يعادي الرسل
- 94 المطلب الرابع: المصائب
- 94 أولا: مفهوم المصيبة
- 95 ثانيا: المصيبة سبب للانتكاسة والانحراف
- 96 ثالثا: الفقر سبب قتل المشركين أولادهم
- 97 رابعا: مصيبة موت النبي عليه الصلاة والسلام سبب للانقلاب على الأعقاب
- 98 المطلب الخامس: التقليد الأعمى
- 98 أولا: مفهوم التقليد
- 99 ثانيا: التقليد الأعمى سبب انحراف الأمم
- 101 ثالثا: التقليد الأعمى سبب شرك قوم إبراهيم
- 102 رابعا: التقليد الأعمى سبب ضلال قوم النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب السادس: الصحة السيئة	103
أولاً: مفهوم الصحة	103
ثانياً: نهي الله سبحانه عن الصحة السيئة	104
ثالثاً: تأثير الصحة السيئة	105
رابعاً: الصحة السيئة من أسباب الضلال	106
المطلب السابع: دعاة الضلال	108
أولاً: مفهوم دعاة الضلال	108
ثانياً: دعاة الضلال من أسباب الانحراف	109
ثالثاً: تحذير الله من دعاة الضلال	110
رابعاً: نماذج من دعاة الضلال: فرعون والسامري	112
المبحث الثالث: آثار الانحراف ونتائجه	115
المطلب الأول: آثار الانحراف الدينية	116
أولاً: الطبع على القلب والسمع والبصر	116
ثانياً: الزيف والانحراف	118
ثالثاً: حبوط العمل	119
المطلب الثاني: آثار الانحراف الدنيوية	122
أولاً: المصائب	122
ثانياً: الذلة والخزي	123
ثالثاً: المعيشة الضنكا	124

المطلب الثالث: آثار الانحراف على المجتمع.....	126
أولاً: الهلاك العام المستأصل.....	126
ثانياً: العداوة والبغضاء بين الناس.....	127
ثالثاً: زوال الأمن والنعم.....	129
المطلب الرابع: آثار الانحراف الأخروية.....	130
أولاً: العذاب في القبر.....	131
ثانياً: في عرصات يوم القيامة.....	132
ثالثاً: عذاب النار.....	134
الفصل الثالث: علاج الانحراف.....	136
المبحث الأول: علاج الانحراف على المستوى الفردي.....	137
المطلب الأول: الدعاء.....	139
أولاً: مفهوم الدعاء.....	139
ثانياً: آداب الدعاء.....	140
ثالثاً: علاج الأنبياء والصالحين انحرافهم بالدعاء.....	142
رابعاً: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لقومه بالهداية.....	145
المطلب الثاني: الاعتصام بالله والتعلق به.....	147
أولاً: مفهوم الاعتصام بالله والتعلق به.....	147
ثانياً: الصلاة.....	148
ثالثاً: ذكر الله.....	150

152	رابعاً: التوكل على الله والاستعانة به
154	المطلب الثالث: الحذر والاحتياط
155	أولاً: مفهوم الحذر والاحتياط
157	ثانياً: الحذر من أهل الزيغ
158	ثالثاً: غض البصر
160	رابعاً: الهجرة والعزلة
162	المطلب الرابع: طلب العلم
163	أولاً: مفهوم العلم
164	ثانياً: العلم يورث اليقين ويعصم من الشبهات
166	ثالثاً: العلم يورث الخشية والانقياد
168	رابعاً: العلم يقي من الاغترار بالدنيا
169	المطلب الخامس: محاسبة النفس ومجاهدتها
169	أولاً: مفهوم محاسبة النفس ومجاهدتها
171	ثانياً: وجوب محاسبة النفس
172	ثالثاً: وجوب مجاهدة النفس
174	رابعاً: الاقتصاد في مجاهدة النفس
175	المطلب السادس: الصبر
176	أولاً: مفهوم الصبر
178	ثانياً: وسائل تحصيل الصبر

181	ثالثا: نماذج من صبر الأنبياء
184	رابعا: وصية الأنبياء والصالحين بالصبر
185	المطلب السابع: التوبة والاستغفار
186	أولا: مفهوم التوبة والاستغفار
187	ثانيا: شروط التوبة
190	ثالثا: علاج الأنبياء والصالحين انحرافهم بالتوبة والاستغفار
192	رابعا: علاج الأنبياء انحراف أقوامهم بالدعوة إلى التوبة والاستغفار
195	المبحث الثاني: علاج الانحراف على المستوى الجماعي
196	المطلب الأول: الدعوة إلى الله
196	أولا: مفهوم الدعوة إلى الله
198	ثانيا: شروط الدعوة وآدابها
201	ثالثا: وسائل الدعوة
205	رابعا: أساليب الدعوة
209	خامسا: معالم نجاح دعوة الأنبياء عليهم السلام
212	المطلب الثاني: التربية والتعليم
213	أولا: مفهوم التربية والتعليم
214	ثانيا: معالم نجاح التربية والتعليم
215	ثالثا: أسس التربية
219	رابعا: بيان أسباب الانحراف وآثاره

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن النكر	220
أولاً: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن النكر	220
ثانياً: آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراتبه	222
ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروع على كل حال	225
رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الصالحين	227
المطلب الرابع: العقوبات الرادعة	229
أولاً: مفهوم العقوبات الرادعة	229
ثانياً: أنواع العقوبات	231
ثالثاً: الاحتياط والحزم في تطبيقها	234
رابعاً: صلاحيتها لكل زمان ومكان	237
الخاتمة:	240
قائمة المصادر والمراجع	241
فهرس الآيات	254
فهرس الأحاديث	274
فهرس الموضوعات	281

ملخص:

تناولت الدراسة موضوع الانحراف بمختلف أشكاله في المنظور الشرعي, وكان البحث فيها حول مفهومه وأنواعه, وأسبابه وآثاره, وطرق علاجه والوقاية منه. فخلصت إلى تقسيمه بثلاثة اعتبارات: باعتبار حجمه وظهوره وأثره. وإلى استخراج نوعين من أسبابه: أسباب ذاتية كالعجب والحسد والجهل والهوى والغفلة.. وأسباب خارجية كالشيطان والدنيا والمصائب والصحبة السيئة.. أما الآثار فتعود على الفرد والمجتمع وتشمل الدين والدنيا والآخرة. وذكر القرآن والسنة أن علاج الانحراف يكون على المستوى الفردي بالدعاء والاعتصام بالله والتوبة إليه وطلب العلم والحذر والاحتياط مع لزوم محاسبة النفس والتحلي بالصبر. وعلى المستوى الجماعي بالدعوة إلى الله والتربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعقوبات الرادعة بإقامة الحدود.

This study explores the concept of deviation in its various forms from an islamic legal perspective. It examines its definition, types, causes, consequences, and methods of prevention and treatment. The study concluded by categorizing it according to three considerations : its magnitude, visibility, and impact. The causes are divided into two main categories: internal causes—such as arrogance, envy, ignorance, desire, and heedlessness—and external causes, including Satan, worldly distractions, hardships, and negative influences. The effects of deviation are far-reaching, affecting both individuals and society across religious, worldly, and eternal dimensions. The Quran and Sunnah approach to addressing deviation includes individual-level strategies such as supplication, seeking God’s protection, repentance, the pursuit of knowledge, self-reflection, and to be patient. On a collective level, this involves calling to God, education, enjoining good and forbidding evil, and deterrent punishments through the implementation of prescribed penalties.